مجلة المجمع العلمي العراقي

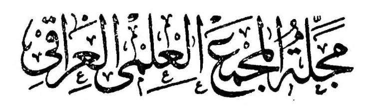


الجزء الأول – المجلد الحادي والاربعون

بغداد

١٤١٠هـ = ١٩٩٠م









الجزء الأول ـ المجلد الحادي والاربعون

بغـــــداد

١٤١٠هـ = ١٩٩٠م



مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .

★

العنوان : الوزيرية/بريد الاعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العراق



مُفرَدَاتُ اللّغَةِ العَربيَةِ
مَنابع دِرَاسَتِهَا وَتطوّرهَا

الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

مفردات اللغة العربية والحضارة :

اللغة اداة التعبير عن المحسوسات والافكار التي يدركها المجتمع وافراده، ويتطلب انتشارها ان تكون مفهومة عند المتكلم بها والسامع لها ، ونطاقها يمتد الى حدود المعرفة عندهما، ويختلف مدى هذا الامتداد تبعا لسعة الثقافة والادراك، وهو اغنى عند واسعي الادراك. وللافراد مكانة متميزة في تقرير مدى سعة المفردات والتراكيب المستعملة ، والحس المرهف والفكر العميق يقدمان مادة للغة ، وهما يتطلبان مفردات تعبر عن المحسوسات والافكار .

وتسود في كل مجتمع مفردات عامة يدركها سواد المجتمع ، غير انه بجانب هذه اللغة العامة توجد عادة مفردات محصورة بأفراد، يفهمها ويستعملها عدد قليل من الناس ، منوعة في اللفظ او في اسباغ معنى جديد على الكلمات العامة، أو بابداع تسميات خاصة ، وهي تختلف في مدى شيوعها بين الناس ، ولكنها من حيث العموم أقل انتشارا بين عامة الناس،وانما يكثر استعمالها في اوساط المثقفين .

وللاحوال المادية والثقافية دور كبير في تقرير مدى سعة اللغة وماهيتها ، فالبيئة البسيطة التي لاتحتوي الا مظاهر حضارية محدودة تقتصر حاجتها على القليل من المفردات للتعبير عن تلك المظاهر ، غير ان توسع

مظاهر الحضارة وتعدد جوانبها ورقي المستوى الفكري العام عند الجميــع أو الخاص في أفراد محدودين يرافقــه عــادة توسع في المفردات المستعملة •

ويمتد التنوع الى طريقة اللفظ والاصوات من حيث التفخيم والترقيق والحركات التي لها أهمية كبيرة في اللغة العربية من حيث اثرها في تقرير معاني الكلمات وخاصة في أواخر الكلمات •

ذكرنا ان اللغة الفاظ صوتية يعبر بها عن الملموســات والمحسوســات والمدركات وعن الافكار والاراء والاعمال العقلية وأساليبها ، ومع ان أساسها شخصي قائم على الفرد الذي يستعملها الا انها تتطلب انتشارا بين الناس ليتفقوا على معرفة دلالاتها ، ويعتمد هذا على مدى سعة الادراك الحسي والعقلي للمتكلم والمجتمع ، ومع ان للافذاذ من الافراد صفة التميز بنوع المــفردات وتعددها، الا انها من حيث العموم تعبر عن احوال المجتمع ومستواه وتوجهاته، ولن يكتب لها البقاء والخلود الا اذا كانت مفهومة عند الناس او اكثرهم •

وعند ظهور الاسلام كانت اللغة العربية الفصحى مثبتة ومستقرة في شبه وفي جزيرةالعرب واطرافها ، وتجلت هذه اللغة فيالقرآنالكريم والشعروفي عدد منالامثالوالأقوال التي وصلت الينا ، وفيالقرآن آيات تذكر بفخر انه نزل «بلسان عربي مبين» «قرآنا عربيا غير ذي عوج»، وتتضمن اصالة عروبته الالفاظ وقواعدالتركيب والاصوات•ويدلوصف القرآن الكريملغتهبالاستقامة والوضوح على ان هذه اللغة كانت عامة عندالعرب ، سائدة فيهم ، ومما يؤيد ذلك انها كانت لغة الشعر الذي نقل الينا عن تلك الحقبة وما قبلها ، ومن المؤكد انها كانت سائدة قبل ظهور الاسلام باكثر من قرن حيــث كان امرؤ القيس ينظم فيها ؛ ولابد انها كانت قائمة منذ أقدم من ذلك التاريخ ، اذ لايعقل ان تظهر وتعم فجأة ، غير ان قلة الوثائق المكتشفة المكتوبة بهذه اللغة لاتمكننــا من تحديد مدى قدمها الذي لابد ان يكون موغلا في القدم ، وليس كمــا

يدعي البعض انه احدث من اللغات المقاربة له مما توفرت عنها وثائق تعين على تحديد زمن انتشارها •

ان عمومية اللغة الفصحى بمفرداتها الاساسية وتلفظها وقواعدها لم يمنع قيام لهجات متعددة تتميز بتخصص في استعمال الفاظ او طريقة نطقها او اتباع طرق خاصة في القواعد كصيغ الجموع والتأنيث والتذكير والاضداد وأمثال ذلك مما فصلت فيه كتب النحو والصرف واشارت الى تنوعه ، ولكنها أشارت الى ان ذلك التنوع يرجع الى ان كل صيغة من هذه الصيغ المنوعة مردّه الى استعمالات محلية مستقرة •

اشارت الدراسات القديمة والحديثة في اللهجات الى عدد من الاختلافات المحلية في التلفظ ومكان انتشار كل منها ، أي العشائر التي استعملت كلا منها وأشارت كتب القراءات الى امتداد هذا التنوع في قراءة القرآن • وما ذكروه مهم ولكن يصعب القول بانه مستوعب •

العربية في العهود القديمة :

اكتشفت في الأطراف الشمالية من الجزيرة وفي اليمن نقوش فيها مفردات تخالف في صيغ لفظها وبعض قواعدها العربية الفصحى المعروفة ، وكافة هذه المكتشفات هي نقوش على الحجر ، واكثرها مكون من عبارات او اسطر قليلة مما كتبه الامراء والملوك او من شواهد القبور وتخليد الهدايا للمعابد ، ونقشها يدل على انها كانت مستعملة في زمن كتابتها ، ولكن لم تجر دراسة عن مدى انتشار استعمال كل منها ، فهل كانت لغة «رسمية» مقصورة على بلاط الامراء ورجال الدين ، أم انها كانت عامة عند «الشعب»• وتقدم الاحوالاللغوية في اليمن اجابة عن بعض هذه التساؤلات ، فقد اكتشفت فيه نقوش كثيرة مكتوبة بخط المسند وبلغة فيها كثير من الاختلافات في مفرداتها وقواعدها عن اللغة العربية الفصحى ، وبعض هذه النقوش كنقش أبرهة يرجع الى زمن

قريب جدا من ظهور الاسلام ، غير ان الصورة العامة لتطور الحضارة العربية يظهر ان أهل اليمن كانوا عند ظهور الاسلام يستعملون اللغة العربية الفصحى التي نزل فيها القرآن ونظم فيها الشعر ، اذ مع كثرة اليمانيين الذين استقروا بعد الفتوح في الكوفة والشام والفسطاط خاصة ، وولى عدد منهم مناصب ادارية وقيادات عسكرية وكان فيهم اكثر القضاة ، فانه لاتوجد اشــارة الى اختلاف لغتهم عن لغة القرآن الفصحى ، وكل هذا يدل على ان العربية كمــا تتجلى في القرآن كانت سائدة عند ظهور الاسلام وقبله في اليمن، وان لغــة النقوش كانت ضيقة الانتشار ، حتى ان الهمداني أشار الى وجودها في مناطق محدودة من جنوب شرقي اليمن ، ووصف أهلها ان « كلامهم غتم » ، وأشار في الاكليل الى قلة من كان يعرف قراءة المسند ، وكل هذا يظهر ان لغةالنقوش كانت « لغة رسمية » محصورة في بعض الاوساط الحاكمة ، ولم تكن عــامة عند الناس •

مفردات القرآن الكريم :

ان القرآن الكريم هو أول معتمد واسع وصلنا عن لغة العرب ، ومــع انه منزل لفظا ومعنى بالوحي من الله تعالى ، الا انه نزل باللغة التي يفهمها القوم الذين نزل فيهم ، «وما ارسلنا من رسول الا بلســان قومــه ليبــين لهم » (ابراهيم ٤) « لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبــين » (النحل ١٠٣) « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لداً » (مريم٩٧) «فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون» (الدخان٥٨)، ولاريب في ان الاسلام يدعو الى العمل والتفكير والتعرف ، وكان عماد الدعوة الاسلامية في القرآن الكريم قائماً على الفكر ، يدعو اليه في مخاطبة الناس ، ويستحثهم في استجابــاتهم ، فاكثر مفرداته تعبر عن أحوال الحياة الفكرية وتوجهاتهــا والنفس الانسانية وتطوراتها ، ففيه كثير من الآيات والتعابير عنالذاتالالهية

وصفاتها وأعمالها، وعن إعمال الفكر والعقل، وأساليب المعرفةمن وحي والهام، وبصر، ونظر، وتعقل، وتفكر، وادراك ، وجدل، وفيه عن الروح والنفس وخلجاتها ووساوسها وظنونها وشكوكها ويقينها، ويتكرر ذكرالتعابير المتعلقة بهذه الامور بصورة تظهر ان مفاهيمها كانت واضحة في اذهانهم مألوفة عندهم، وهي تعبر عن ثقافة فكرية عالية المستوى ، يعززها تقدير كبير للفكر والمعرفة يتجلى في تردد كلمة الحكمة ومشتقاتها (٩ ١١ مرة) كثير منها صفة لله تعالى فهو العزيز الحكيم (٤٦) والعليم الحكيم (٣٧) والخبير الحكيم (٤) وذكر القرآن الحكمة وأشار الى مكانتها المرموقة « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا » (البقرة ٢٦٩) •

وترددت بكثرة كلمة «العلم» ومشتقاتها في القرآن ، فذكر الفعل «علم» في ٤٢٧ آية منها ١٣٨ آية «علم الله» وذكر في وصفه تعالى «عليم» في ١٥٧ آية و «اعلم» في ٤٨ آية ، «عالم الغيب» في ثلاث عشرة آية « علاّم » في أربع آيات •

وأقر للعلم مرتبة عالية توازي الايمان « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) •

وفي القرآن الكريم عدد كبير من المفردات التي تعبر عن أحوال المجتمعات ونظمها وتطورها ، وكثير من هذه المفردات تكرر ذكرها فيه وهي في كل مكان تعبر عن زمن خاص يختلف عن معناه في مكان آخر ، ومن أوضح الامثلة على ذلك كلمة «الامة» التي يدل سياق نزولها على تعدد معانيها ، وقد الفت في ذلك كتب متعددة اكثرها بعنوان «الوجوه والنظائر» كما ان بعض الكلمات وردت بمعنى خاص يختلف عما صار مفهومه فيما بعد، فكلمة «شهيد» ذكرت بصيغة المفرد في خمسة وثلاثين موضعا بمعنى شاهد ، وذكرت مرة بصيغة الجمع بمعنى غير محدد المعالم «والشهداء والصديقين» ، ولم تذكر صفة لمن يقتل في سبيل الله ، الذي ورد ذكره في عدة آيات ، كلما

بأن تعبير «الشهيد» خص في الأزمنة التالية بمعنى «الذي يقتل في سبيل الله»؛ وكلمة «سلطان» ذكرت في أربعين موضعا اكثرها بمعنى « برهان » وقليل جدا منها بمعنى «صاحب السلطة» وهو المعنى الذي ساد فيما بعد من الكتب وخاصة كتب التاريخ والفقه .

وبعض الكلمات يتكرر ذكر كل منها بمعنى واحد ، الا في مكان واحد يكون لها فيه معنى مخالف للمعنى المكرر مثل كلمة اسف ، وروح ، وبحسب، وبعد ، وجثيا ، وحسبان [١] .

ثم ان عددا غير قليل من الكلمات القرآنية لم يكن معناها مألوفا في القرن الثاني الهجري ، فاعتبرت « غريبة » والفت كتب كثيرة في « غريب القرآن» رصدت هذه الكلمات ، وأوضحت معناها ، والراجح ان معناها كان معروفا في اوساط المسلمين ابان نزولها ولم تكن سائدة الاستعمال في الجزيرة، ولمعانيها مفردات اخرى ، فقل استعمالها وجهل عند العـموم معناها ، فألف المختصون كتب « غريب القرآن »لتوضيح معناها باستعمال المفـردات السـائدة في زمنهم [٢] .

ذكرنا ان القرآن الكريم عربي بمفرداته وتلفظه وقواعده ، وانه نـزل « بلسان عربي مبين » « قرآنا عربيا غير ذي عوج » وان مفرداته تعبر عن اشياء مادية محسوسة ، وعن نظم مطبقة ، وافكار قد لم تكن مقبولة عن المشركين ، ولكنها معروفة عندهم ، وبعضها ذات معان دقيقة يتطلب فهمهمـا الصحيـح مستوى فكريا خاصا ، وهذا من مصادر اعجاز القرآن .

كان فهم معاني مفردات القرآن الكريم الموضوع الرئيسي الذي عنى به علماء القرآن الاولون ، وقد اسهم فيه العلماء المتبحرون فـي اللغة والفكر ،

---

(١) الافراد في القرآن ٣٣٠ .

(٢) انظر قائمة فيها من كتاب « معجم المعاجم » لاحمد الشرقاوي اقبال . وانظر ايضا « معجم مصنفات القرآن الكريم » للدكتور علي شواح اسحاق .

وكان من ابرز ميادين الحركة الفكرية وخاصة في صدر الاسلام ، كما كان من اهم الميادين التي عنى بها العلماء في الحجاز اولا ثم امتد الى البلاد الاخرى ، فلما بدأ تأليف الكتب دون عـدد من العلماء كتبا خاصة في توضيـح معاني مفردات القرآن وآياته ، كانت العماد الاول لمادة كتب التفسير .

وكان القرآن الكريم الموضوع الاساس الذي تدارسه العرب ، فكانت آياته تقرأ في الصلوات ، وأفكاره تدرس ، ومفرداته تتداول ، وبسبب اعتماد العرب فـي قراءته على السماع دون التدوين فقـد ظهرت في تلفظ كلماته ، واحيانا في تثبيتها بعض الاختلافات ، وكانت منذ زمن مبكر مثار جدل كاد ان يصبح مهددا ، فتداركه الخليفة عثمان بن عفان وثبت له نصا واحدا فيالمفردات والتلفظ والتنظيم ، وساد مصحف عثمان ، ولكن ذلك لم يمنع اصرار البعض على قراءات خاصة مخالفة للعموم ، تمسك بهـا علماء متعمقـون وتـابعهم تلامذتهم . فكانت موضوعا عنى البعض في دراسته ، فألفوا كتبا كثيرة في « قراءات القرآن »[٣] يتبين من دراستها ان الاختلافات ظلت محدودة في طريقة تلفظ حروف العلة وعدد محدود من الكلمات .

ولما كان القرآن الكريم يهتم بالدرجة الاولى بالعقائد واساليب المعرفة الفكرية والنظم السياسية والاجتماعية المنوعة التي قامت عند شعوب متعددة وبعضها قديمة . وكثير من هذه الامور لم تكن مألوفـة في عدد مـن ارجاء الجزيرة ، فقد تمت دراسات لشرح مدلول مفرداتها ومعانيها ، وكان لاهل الحجاز القدح المعلى ، وبرز فيهم مختصون كونوا العدد الاكبر من المفسرين الاولين ، وعرضوا في ذلك خبراتهم ومعرفتهم القائمة على تتبعاتهم وعلـى ماسمعوه مباشرة او بالواسطة من الرسول (ص) .

(٣) بالاضافة الى المصدرين السابقين ، انظر جردا لهـا في كتـاب « معجم القراءات القرآنية » لعبد العال سالم مكرم واحمد مختار عمر .

المفردات العامة عند العرب :

ان المصدر الرئيسي الثاني لمعرفتنا اللغة العربية هي الروايات والمدونات التي سجلها العلماء ، وخاصة في العراق منذ القرن الثاني، وعنوا بصورةخاصة بما كان متداولا عند العشائر البدوية في المناطق الصحراوية ، ومن المعلوم ان الجيوش الاسلامية التي قهرت الفرس والروم ووسعت الدولة ومدتهــا في بلاد الشرق الاوسط ، كان قوامها العرب من كافة ارجاء الجزيرة العربيــة ومناطقها ، ومن مختلف العشائر ، وقد استقروا في الامصار الرئيسة التي كان في كل منها عشائر منوعة من مختلف منــاطق الجزيرة ، ففي البصرة كـــان المقاتلة من ازد عمان ، وعبد القيس وحنيفــة مــن البحرين وعشـــائر بــكر واطراف العراق الجنوبية ، وتميم من هضبة نجد ، كما كان فيها عدد من عــدة عشائر من الحجاز •

واستوطن في الكوفة عشائر متعددة من اليمن (خثعــم ، وهمــدان ، وحمير ، وكندة، وحضرموت) ومن عشائر الحجاز ونجد عامر بن صعصعــة وفزارة وأسد ، وطي ، وتميم •

وفي بلاد الشام عشائر متعددة من الحجاز ، واليمن ، وبادية الشـــام (لخم وجذام وكلب) •

ومثل هذه العشائر استوطن رجالها في الفسطاط ايضا •

وكانت العربية لغة هذه العشائر كافــة ، ولابد ان كل عشيرة احتفظت بلهجاتها الخاصة التي تتجلى في نطق حروف العلة والصامتة وفي اختلاف بعض الكلمات الدالة على الشيء الواحد ، ولم تسجل اخبار عن تباين واسع وعميق في هذه اللهجات ، وكانت الفصحى عامة الاستعمال يعززها القرآن الكريم والشعر الذى ظل ينظم بها •

تابع العرب بعد استقرارهمفيالامصار الاهتمام بالاداب والشعر وظلوا يتناقلون الاخبار ويروون الشعر ، وظهر فيهم شعراء حرصوا على متـابعة

التقاليد القديمة في أوزان الشعر وقوافيه ، وادخلوا صورا جديدة وعبروا عن عواطف جديدة ، وكانت مفرداتهم عربية لاتختلف عن التراث الصحراوى في ذلك ، وتظهر كثرة ماروى منه مدى متابعة التراث ، وان كان قد ازداد فيه التأكيد على مفردات وصور معينة ، واهمال استعمال بعض ماكان قديما .

وتابع العرب اهتمامهم بتناقل الاخبار ورواية « الكلم الطيب » من الحوادث والاقوال المأثورة والامثال ، وحرصوا على نقل بعضها بالنص ، أي الحفاظ على مفرداتها القديمة .

ذكرنا ان عرب الامصار جاؤوا من مختلف ارجاء الجزيرة العربية وكان اكثرهم من عشائر البادية ، غير ان فيهم عدداً من اهل الريف والمدن ، وأدى استقرارهم وتمازجهم الى ازدهار حضاري زاد من قوته استقرار الحياة المدنية وتطور الحياة الاجتماعية ونشاط الحياة الاقتصادية ، وتزايد الاعاجم في هذه الامصار وادخالهم مفردات اعجمية جديدة ، وتطويرهم الفاظ بعض الكلمات ، وادخال مفاهيم جديدة للالفاظ العربية ، واهمالهم استعمال عدد من الكلمات العربية ، وأدى كل هذا الى تطوير في اللغة العربية المستعملة في الامصار كان من أبرز ميزاتها زيادة استعمال التعابير المتعلقة بالحيادة المدنية الجديدة وشيوع معان جديدة لبعض الكلمات ، واهمال استعمال كثير من الكلمات وخاصة مما كان استعماله مقصورا على بعض العشائر او المجتمعات .

وقد ظهر بعض ذلك في معاني بعض مفردات القران الكريم وهو الكتاب المنزل الذي ثبتت الفاظه باعتراف العموم بدقة وامانة ، وقد عم استعمال كثير من مفرداته واستقرت لها مفاهيم محددة بعد كان لبعضها مفاهيم متعددة، كما صارت لبعض مفرداته مفاهيم جديدة تختلف عن مفهومها القديم ، ونسيت المفاهيم الاصلية لبعض المفردات، وتطلب معرفتها اختصاص العلماء ، وكانت

هذه مواضيع دراســات سجلت بعضها كتب بعناوين تدل على محتواهــا ، وهي «معاني القرآن » و «الاشباه والنظائر» و «غريب القرآن » •

رافق هذه التطورات اهتمام بمفردات اللغة العربية ودراستها ، وتثبيت الصحيح في تلفظ اصواتهــا وتصريفها ، واكثر من عنى بذلك رجــال من أهل الكوفة والبصرة ، ولابد انهم افادوا مما كان سائدا او معروفا في كل من هذين المصرين ، غير انه اقتصارهم عليهما لم يكن كافيــا ، لان المفــردات العامة فيهما اصبحت محدودة لها معان خاصة وتلفظ خاص ، وفيها عدد مــن الكلمات الاعجمية ، او اتخذت معاني العجمة ، فهي غير شــاملة او دقيقــة او خالصة ، فتوجهوا الى منابع اخرى يستقون منها الاحاطة بمفردات العربية وتدوينها •

لغة اهل الوبر :

وكان المنبع الاول والاقرب هم الاعراب الذين يفدون الى هذه الامصار ويقيمون فيها امدا قصيرا من اجل الزيارة او جلب منتوجات الصحراء لبيعها، او لشراء بعض المواد ، وهؤلاء الاعراب الوافدون متفرقون من عشائر متعددة يقدمون في اوقات مختلفة ، خاصة في الربيع والخريف ، واجمع امــكنتهم الكناسة في الكوفة والمربد في البصرة ، وهما في طرف الصحراء وفي غربي هاتين المدينتين ، وكثير منهم بدو ثقــافتهم محدودة ، ولكن منهم ذوي علم اصيل في مجتمعهم ، فهم غير متأثرين بمــا حدث في الامصــار من تطورات حضارية ولغوية ، وبعض هؤلاء الوافدين شعراء او رواة للشعر •

كان هؤلاء الاعراب الوافدون مصدراً ثراً للغة العربية في الجزيرة ، وجعلوا من الكناسة والمربد مركزا لحركة فكرية نشطة لم تقتصرعلى الوافدين ومن يتصل بهم ، وانما ايضا على المعنيين بالشعر و « الكلم الطيب » وبذلك زادت من الاهتمام بمفردات اللغة وساعدت على انماء جوانب اخرى مــن «علوم اللغة» كالنحو والصرف والاشتقاقات ، وكان البدو يعتبرون حجــة

لا يرقى اليها الشك في جميع مسائل اللغة ، وقد ذكر ابن النديم اسماء عدد منهم [٤] .

وقد ظل الاعراب مصدرا معتمدا في اللغة حتى القرن الرابع الهجري ، فكان ابو النجم يحرص على الاتصال بهم[٥] واليهم رحل الازهري (ت٣٧٠).

غير ان عدد الاعراب الوافدين على الامصار كان قليلا، وقدومهم موقت وغير منتظم، وكثير منهم غير مستوعب للمفردات اللغوية ، وخبراتهم وآفاقهم الثقافية محدودة وقد تكون معرفتهم محصورة بما يسود في عشيرتهم او بما يعرفونه منها ، فهي ضيقة خاصة يتطلب تقرير كونها مصدراً معتمداً لمعرفة اللغة الصحيحة تدقيقاً ومقارنة واسعتين ، وقد أدرك عدد من العلماء المعنيين ان المعلومات التي يقدمها الاعراب الوافدين غير كافية فقاموا برحلات الى أرجاء من الجزيرة لاخذ اللغة من أهلها في مواطنهم .

كانت اكثر رحلات «العلماء» الى العشائر التي تسكن هضبة نجد بين العراق والحجاز، وهي تشمل عشائر تميم وأسد وطي وفزارة وعامر بن صعصعة، ويبدو ان بعضهم زار لهذا الغرض الحجاز ايضا ، واغلب هذه الرحلات «علمية» خالصة ، غرضها تقصّي مفردات اللغة بصيغها وطريقة تلفظها ومعانيها، ويجيء في ذلك عرضا استقصاء الاشعار وأسماء الاماكن وبعض انماط الحياة، وكانت اكثر عنايتهم بجمع «المتفرد» من الالفاظ المجهولة أو غير مشهورة ولا متداولة في الامصار، وقد سجل فيها تراث الصحراء ، فهي غنية في ما يتعلق بالصحراء من حيوان ونبات وتربة وأنواء وعواطف انسانية فضلا عن قواعدها

---

(٤) انظر الفهرست لابن النديم ٦١ .
وانظر تفاصيل اوفى في كتاب « الاعراب الرواة » للدكتور عبدالرحمن الشلقاني وانظر : البيان والتبيين (٩٢) . وانظر ايضا «تاريخ الاداب العربية» لمصطفى صادق الرافعي .

(٥) الفهرست ٣٥٥ : معجم الادباء ٦٥/٢ ــ وانظر « العربية » ليوهان فوك : ١٢١ .

المستقرة التي تبرز انماطها وخصائصها في المرونة وقابلية الاشتقاق .

كانت حصيلة هذه الرحلات ثروة غنية وافرة من المفردات أضيفت الى معارف العلماء مما استقوه من أمصارهم والوافدين عليها ، ونشروهـا في أحاديثهم ومجالسهم ، ودونوا كثيرا منها في كتب بعضها عامة منوعة مثل الكتب التي عنوانها « النوادر » أو في كتب اختصت بموضوع واحد مثل « الابل » و « الخيل » و « النبات والشجر » [٦] .

ومادة هذه الكتب في جملتها مما هو موجود في الجزيرة ، وهي تظهـر تنوع احوال الجزيرة وغناها الفكري المعبر عنه بهذه المفردات ، وقد اغنـت هذه المفردات الثقافة العربية ووسعت ميدانها اللغوي ، وقدم انتشارها مـادة سليمة لمعربي الكتب الاغريقية ، وخاصة في ميدان علوم النبات والادويـة والحيوان والبيطرة[٧]، كما قدمت « للكتّاب » من العاملين في الدواوين مادة غنية لضبط كلامهم وكتابتهم بالعربية . وافادت الكتّاب والشعراء باغنـاء معرفتهم اللغوية التي ســاعدت على غني مفرداتهم ودقتها وكانـت المعتمـد لرواة الشعر العبـاسي وشراحـه ونقـاده ، وكان لهـا الاثـر الاكبر في احتفـاظ الشـعر العربي بمـا يتميـز بـه من اوزان وقـواف واخيلة ، ولم تقض عليها حركات التجدد التالية من الشعر ، ولم تبطل ضرورة استيعاب الشعراء الاطـلاع على ما قيل عند شـعراء البدو . وبسبب اهميتها الواسعة والدائمة فقد كانت أساساً غنيا في الحركة الفكرية ، وكثر دارســوها وتتابعت فيهـا مؤلفـات تبـاينت في ســعتها ومواضيعها ومدى دقتها ، واكثر هــذه المؤلفات معاجم استقى مؤلفوها مادتهم من الرواة الاول ورحلتهـم ، حيـث قلت الرحلات بعد القرن الثالث وتنـاقص قـدوم « الاعراب الوافديــن » والاعتماد عليهم .

---

(٦) انظر قائمة مستوعبة عنها في كتاب « معجم المعاجم » .

(٧) انظر كتابنا « تاريخ العلم عند العرب » .

والمادة التي جمعت من هذه الرحلات اصيلة ، ولكن يصعب الجزم بمدى قدمها وانتشارها حتى ابان جمعها ، فمن المحتمل ان مصدر بعضها فردي في محتواه او طريقة نطقه ، ولعل من هذا جاء اختلاف حركات لفظ كثير من الكلمات وتعدد معاني الكلمة الواحدة والاضداد . وكانت معلوماتها عماد المعاجم العربية الضخمة التي ألفت في العهود الاسلامية الزاهرة التي جمعت اكثر ما روى ورتبته على الحروف والمعاني دون الاشارة الى مدى انتشار استعمالها أو تطورها [٨] .

ولاريب في ان العرب الذين ظلوا مقيمين في الجزيرة ولم يهاجروا الى الامصار او يشاركوا في الفتوح كان تأثرهم ضئيلا بالمؤثرات الحضارية التي رافقت الفتوح والاستقرار ، ومن حيث العموم احتفظوا بتقاليدهم وثقافاتهم ومفرداتهم اللغوية ، فكانوا اقرب الى الاصالة والنقاوة من عرب الفتوح والامصار .

اعتمد الرواة الاولون والرحالون من جمع اللغة على مصادرهم من العشائر المحتفظة ببداوتها بين العراق والحجاز ، وهي خاصة تميم وأسد وطي وفزارة وعامر بن صعصعة وعدد من العشائر الحجازية ، وبهذا لم ينقلوا من العشائر العربية الكثيرة الاخرى مثل عشائر بكر بن وائل ، وتغلب ، ولخم ، وجذام ، وأهل البحرين وعمان واليمامة واليمن ومعظم عشائر جنوب شبه جزيرة العرب ، وبذلك لم تكن مستوعبة لكلام كافة العرب من أهل الجزيرة ، كما ان اكثر اهتمامهم كان بلغة البدو ، ولم يبدوا اهتماما بلغة الحواضر ، وقد ربطوا بموقفهم المنحاز للبداوة بين العروبة والبداوة ، مما اعلى مكانة البداوة ورفع من شأنها ، ولكنه كان مصدرا لاثارة الشكوك بصلة العرب الوثيقة في الحياة

---

(٨) انظر عن نشأة المعاجم كتاب (المعجم العربي) لحسين نصار ، والمقدمة التي كتبها رمضان عبد التواب في نشرته (الغريب المصنف) وانظر قوائم واسعة عنها في كتاب « معجم المعاجم » .

الحضرية، وقد وصلت الشكوك بكثير منهم الى حد تحاشي الاستشهاد باحاديث الرسول (ص) على أساس ان بعضاً منها مما صار مستعملا في ازمنة متأخرة في المدن ولم تحافظ على حرفية أقوال الرسول(ص).[٩] ولاريب في أن اقتران العروبة بالبداوة كان من الحجج التي استعان بها الشعوبيون على الطعن بالعرب ولا يرجع هذا الى التشكيك بسلامة نية اللغويين ، وانما يرجع الى ان اندفاعهم في هذا باعدهم عن تصوير الحقيقة كاملة وأمد الشعوبيين بالحجج على العـرب .

كانت لغة أهل الوبر «فصحى» سليمة ، وهي عامة بمفرداتها وتراكيبها النحوية والصرفية ، غير ان فيها بجانب هذه العموميـة تنوعـاً في المفـردات والتراكيب وطرق التلفظ ، وقد أشار مدونو هذه اللغة الى مصـادر بعـض هذا التنوع وذكروا العشيرة التي يسود فيها ، غير انهم اغفلوا الاشارة الى كثير منه ، الامر الذي أدى الى توسع وبعض التنوع والتعقيد في اللغة ، فـذكر اوجه للفظ عدد غير قليل من الكلمات وصفت الكلمات المنوعة الدالة على شيء ما بأنها مترادفات ، في حين ان أصول كثير منها يرجع الى التنـوع المحـلي فيها ، كما ان الفاظا جعلت لها معاني متناقضة واضدادا، وأدى ذلك الى اتساع ما وصلنا من تراث أهل الوبر ، وكثرة الشواذ والتنوع في المعاني والتلفـظ، والى صعوبة الاحاطة بالعربية ومعاجمها ، فأخذ كل باحث يختار للاستعمال مايراه ، وبدأ ينعزل «العام» السائد في الاستعمال عن « المهمل والحوشي » وكان هذا العام بدوره غير ثابت ، فهو أوسـع عند المتبحرين ، وأقـل عنـد العامة ، وهو لايسير مطردا ، فقد يزداد ويتنوع في بعض الازمنة ، ويضعف في اخرى ، واكثر ازدياده عند من يهتم بالجرس الموسيقي ويعنـي بايـراد المحسنات البديعية ، فانتشار استعمالها غير مطرد ، وهو اكثر خضوعا لتطور أساليب الكتابة .

---

(٩) انظر : المزهر للسيوطي ١/٢١٠ ، ٢١٢ .

المفردات العربية عند الحضر واهل الامصار :

ان المنبع الثالث للغة العربية هي المفردات التي استعملها أهل الامصار العربية وأهل المدن في مناطق الهلال الخصيب خاصة ، والواقع ان الدولة الاسلامية الواسعة ضمت أراضي فيها مجتمعات بدوية تعنى بالرعي ، وقرى يقطنها أهل الريف من الزراع ، وبلداناً ومدنا يقطنها سكان كثيرون يمتهن بعضهم الحرف والصناعة وأعمال السوق والتجارات ، بالاضافة الى رجال الفكر والادارة ، وكثير من المدن يسكنها من لهم صلة بالزراعة فيقومون فيها أو في بعض أطرافها بالزراعة ، أو يمتلكون أراضي تزرع في الريف •

وتتميز المدن بتنوع الحياة ومايتصل بها من نظم وأفكار ، ففيها الطبقات الدنيا ممن حياتهم رتيبة ، وأفكارهم محصورة ، ومفردات لغاتهم محدودة قد تتخذ خصائص في تلفظها ومعانيها ، وفيها العامة والسواد الاعظم الذين يعمل اكثرهم في الحرف والصناعات ، ولهم بعض الخصائص الثقافية والآفاق الفكرية التي تظهر في لغاتهم في تنوع مفرداتها وطريقة تلفظها علما بأن أكثر الغرباء في أية مدينة يكونون من هؤلاء العامة ، ومع ان هؤلاء العامة يتكلمون لغة واحدة بمفرداتها وتراكيبها الا انهم قد يستعملون مفردات محلية خاصة تعبر عن حرفهم واساليب عملهم الخاصة •

غير ان المدن تضم اكثر من غيرها اعدادا من رجال الادارة والفكر الذين لهم نطاق لغوي واسع بعدد مفرداتها وآفاق مفاهيمها ، والغالب انها متصلة بالفكر العام للعلماء ، فهي تسمو على الاقليمية والانية ، وتقرب من العمومية الواسعة الممتدة على نطاق أوسع من المكان والزمان •

وكانت في الدولة الاسلامية منذ بدء تكونها مراكز حضرية كثيرة لاتتوفر معلومات واسعة عن تركيب معظمها والحياة فيها ، وقد اولى الاسلام منذ بدء ظهوره اهتماما أوسع في الحياة الحضرية ونظمها وعقائدها ، وقد بدأت الدعوة الاسلامية في مكة وهي مركز حضري ديني وتجاري ، وانتقلت بعد عشر

سنوات الى المدينة وهي مركز حضري تسود فيه الزراعة وتقوم فيه بعـض الصناعة والتجارة ، وركزت الدعوة الاسلامية فيه على تثبيت افكار كونيـة عامة ومبادىء اخلاقية توجه سلوك الافراد ، وعلى نظم اجتماعية وسياسـية تنظم حياة الجماعة ، وكانت دولة الاسلام في السنوات الاولى قائمة في المدينة ويطلب ممن يسلم أن يقيم فيها ، فتزايد سكانها بتزايد المسلمين ، ومـع ان الزراعة بقيت حرفة غالبية السكان من الانصار ، الا ان التجـارة والاعمـال المالية ، وربما الصناعة ، ازدهرت بفضل استتاب الأمن وخبرات المهاجرين من اهل مكة ونشاط الحياة العامة ، وكان لكل ذلك أثر في زيادة اهتمام الاسلام بالحياة المدنية وعبرت آيات قرآنية عن استهجان قلق البدو وضحالة افكارهم «قالت الاعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الايمانفي قلوبكم» «الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الا يعلموا حدود ما انزل اللـه على رسوله والله عليم حكيم » وهذا الموقف العدائي كان موجها الى افكار البداوة ، وليس الى البدو الذين لقوا الترحيب عند انضمامهم الى الاسـلام واظهار استعدادهم لقبول افكاره التي يتطلب التشبع بها وقتا [١٠] .

كان للتوجه الاسلامي العام المالىء للحياة الحضرية أثر في تعزيز الحياة الحضرية ، وقواه ان المهيمنين الاولين على ادارة الدولة وتسيير دفتها اكثرهم من أهل مكة ممن تقبلوا الاسلام وكانت لهم اهتمامات وخبرات في الحيـاة الحضرية وفي التجارة ، وهذا شجع نمو الحياة الحضرية ونشرها في الدولـة ، حيث ان توحيدها السياسي أزال الحدود والحواجز بين الاقاليم ، وأولى الفرد مكانة خاصة فتيسر له حرية التنقل ، وقدم له دوافع مشجعة للعمل ، ووضع له مبـادىء لتنظيم الحياة وفق مبادىء في الاخلاق والسلوك تعزز الطمأنينـة والاستقرار والتحرر من القيود المعرقلة ، ورافق ذلك رقي في مستوى معيشة

(١٠) انظر مقالنا « الاسلام والبداوة في صدر الاسلام » المنشور في مجـلة كلية الادارة والتربية بالكويت ١٩٧٥م .

العامة ، وتوفر الموارد للافراد وازدهار الصناعة والتجارة لتأمين حاجات الناس ، وبفضل الامن والحرية لم تتعطل التجارات الخارجية •

وأدى كل ذلك الى تطور عام في المراكز الحضرية التي بقي معظمها قائما وازدهار بعضها ، كما نمت اماكن جديدة لتصبح حضرية ؛ وكان هذا التطور سلمياً ناجماً عن الاوضاع العامة الجديدة ، وازداد قوة وبرزت آثاره عندما ولى العباسيون الخلافة ، فكانت في الدولة مراكز حضرية كثيرة منبثة في كافة أرجائها تتميز عن مجتمعات البدو والرعاة وعن قرى أهل الريف ، بما كان فيها من صناعة وتجارة ونظم •

الكوفة والبصرة وبغداد :

لاريب في ان هذه المدن الكثيرة كانت تختلف في تركيبها السكاني والاجتماعي والثقافي، ولا تتوفر تفاصيل شاملةعن كثيرمن هذه المدن، فكثيرمنها لانعرف عنه الا اسمه وموقعه واحيانا اهميته ، ويمكن تصنيفها لغرض بحثنا الىثلاثة أصناف رئيسة هيمدنعربيةخالصة، ومدن استوطنفيهاالعرب ، ومدن اعجمية ، ويتناسب مقدار معلوماتنا تبعا لهذا التصنيف ، فهي واسعة عن اكثر المدن العربية وأقل عنالمدن الاعجمية ، غير ان معلوماتنا اوسع عنبعضالمدن العربية ، واخصها المدينة ، ومكة ، والبصرة ، والكوفة ، وواسط ، وبغداد ، وسامراء ، والفسطاط ، وبعض مدن بلاد الشام ، ولكن المعلومات الواسعة عن المدن الاربعة الاولى خاصة لا تصل الى حد الاستيعاب في تفاصيل نظمها وحياتها ولغة اهلها [١١] •

وكانت مؤلفات علماء البصرة والكوفة وبغداد ، هي المنبع الاكبر الذي نستقي منه معلوماتنا عن اللغه العربية ، وهذه المدن تشترك بسمات عامة

---

(١١) يذكر السيوطي ان الذي اثبت اللغة في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من أهل الامصار (المزهر ١/١١١)

حضارية ولغوية فكل من هذه المدن انشأها العرب المسلمون في مناطق زراعية مأهولة بسكان ممن لهم صلة عرقية ولغوية بالعرب وفي رقعة زراعية قليلة السكان نسبيا ، وبقربها مراكز حضرية قديمة ، فالبصرة بقرب الابلة وفرات البصرة ، والكوفة بقرب الحيرة ، وبغداد ليست بعيدةعن المدائن، كانت في كل من هذه المراكزالحضرية حركة فكرية قديمة تعرضت للركود قبيل الاسلام ، وظل كل من هذه المدن الثلاثة مركز ادارة واسعة للمتولى عليها سلطات كبيرة ويمتد الى مناطق واسعة .

غير ان لكل من هذه المدن الثلاثة خصائص تميزت بها ، ومجرى خاصاًمن التطور حدث فيها وكان له تأثيرفي الاحوال اللغوية لسكانها[١٢]، فالكوفة كان سكانها العرب منذ بدء تاسيسها من العشائر التي كانت مواطنها في الاصل في اواسط وشمالي نجد ، تميم ، طي ، اسد ، فزارة ، عامر بن صعصعة،وكذلك من عشائر الحجاز واهله ، وفيها عدد كبير من اهل اليمن (ازد السراة ، خثعم، همدان ، مراد ، حمير ، كندة ، حضرموت) وفيها ايضا بكر وتغلب وقلة من عشائر البحرين واليمامة ، ومنها يسلك الطريق الرئسي بين اقاليم المشرق والحجاز ، وهي بالقرب من الحيرة التي كانت مقر دولة عربية رعى أمراؤها الشعر العربي البدوي الخصائص ، وبسطوا سلطانهم السلمي على عشائر كبيرة من شمالي نجد (بكر وتميم) ، وتابعت الكوفة علاقتها الوثيقة بهذه العشائر التي كانت لها صلات سلمية وثيقة بمكة ، وامتدت صلة الكوفة الثقافية بالمدينة ومكة فازدهرت فيها دارسة الفقه وعلم الحديث والقرآن خاصة ، كما نشطت دراسات اللغة العربية ، وكثر المعنيون بها بمتابعة لغة العشائر في شمالي نجد ، واعتبروا سماعهم لها اساساً دون القياس والاستنباط،كما كانت صلتهم بعلم اهل الحجاز وثيقة،ومن علماء الحجازكان

(١٢) انظر عن الكوفة «حياة الشعر في الكوفة» ليوسف خليف ، و «الكوفة» لهشام جعيط .

معظم مصادر علم اهل الكوفة في السيرة والحديث •

وكانت صلة بغداد الثقافية منذ تأسيسها أوثق بالكوفة التي انتقل كثير من علمائها الى بغداد ، فنشروا علمهم ، وأرسوا توجيهاتهم الفكرية فقدموا مع اهل الحجاز الاساس الاكبر للعلم في بغداد في هذه الميادين •

غير ان الكوفة انتابها التدهور بعد تأسيس بغداد ، فقد هاجر الى بغداد كثير من اهلها العلماء والتجار ورجال الاعمال ، وعلى مر الايام فقدت مكانتها المتميزة ، واصحت مجرد بلدة تحمل بعض سمات الماضي وآثاره •

اما البصرة [١٣] فكانت اطرافها بادية قليلة السكان تعزلها رمال الصمان عن هضبة نجد ، مما جعل صلتها اوثق بالعرب الذين ديارهم في غرب الخليج العربي ، وهم بكر وعبدالقيس وازد عمان ، وقد كوّن هؤلاء معظم سكانها ، واضيف اليهم عشائر من أواسط هضبة نجد وغربها ، وخاصة تميم وبني عامر بن صعصعة ، ومن اهل الحجاز • ولم تقطنها عشائر من اليمن أو من شمالي الجزيرة وشمالي الحجاز (طي وأسد وفزارة) •

ومنطقة البصرة تتصل بالخليج العربي ، فلا يفصلها حاجز معرقل عن البحرين وعمان ، كما ان ملاحة الخليج تربطها بالبلاد الواقعة على طرفي الخليج وبالبلاد الواقعة في اطراف المحيط الهندى في افريقية والهند وجزر الهند الشرقية ثم الشرق الأقصى ، وبالقرب منها ايضا اقليما الاحواز وفارس الغنيان بالمزروعات وخاصة قصب السكر وبصناعة المنسوجات ، وكل هذا

---

(١٣) انظر عن البصرة كتابنا «خطط البصرة ومنطقتها» و «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» وانظر ايضا «الحياة الادبية في البصرة» لاحمد كمال زكي و « الشعر في البصرة في العصر الاموي» لعون شريف القاسم، و «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء » لساول بيللات ، والجاحظ والحاضرة العباسية لوديعة طه النجم .

جعل منها مركزاً تجاريا متميزاً ، وأسهم اهل البصرة بالملاحة والتجارة فكــان ذلك من عوامل دوام ازدهارها بعد انشاء بغداد •

وقد تقاطر بعض الاعاجم الى البصرة واستوطنوها شأن ما حدث في الكوفة ، ولعل كثيرا منهم كانوا عمالا وحرفيين وتجاراً ، والراجح انهم كانوا يستعملون لغاتهم الخاصة ومفرداتها وخاصة في الحرف التي اختصوا بهـا ، ولم تكن لها مفردات عربية ، كما ان كثيرا منهم تعلم العربية التي كانت اللغة السائدة • وبرز في البصرة من اهتم بدراسة مفردات اللغة وقواعد نحوهـا وتصريفها ، فكان فيها عدد من أبرز اللغويين الاولين ، ومن اشهرهم الاصمعي والخليل ، ومنهم سيبويه مؤلف أول كتاب ضخم في النحو العربي ، وظلـت دراسات اللغة العربية قائمة فيها في العصر العباسي الاول ، واسهم بعضهم في الحركة الفكرية في بغداد ، ون ابرزهم في هذا الميدان الجاحظ •

بغداد ومكانتها في اللغة :

كان تأسيس بغداد حدثاً بارزاًفي تاريخ العمران والفكر ، وقد اسهدف ابو جعفر المنصور من انشائها ان تكون مركزا عسكريا واداريا لحاشيته واسرته وحرســه وجنده ، فقاعدتهــا الاولى النظام والانضباط ، غير ان ابــا جعفر المنصور لم يغب عن باله ان تكون مدينته الجديدة مركزا لحياة اقتصادية وفكرية نشيطتين ، والواقــع انه سرعان ما تقطر اليها الناس للتوطن فــيها مستفيدين من الامن والاستقرار ، ومن تزايد الموارد الماليــة من الجبايات ولابد ان بعض الوافدين شاركوا أصحابالقطائعالاولىفيالسكنى، غير كثيرا منهم استوطن في اطرافها الجنوبية وفي جانبها الشرقي اللذين توسعا بزيادة عدد هؤلاء الوافديــن ، ووصلت حدا عاليا من النمو في زمن خلافة هرون الرشيد الذى تشير الاخبار والدلائل على وصولها في زمنه ما يقرب الاوج

من الازدهار والنشاط [١٤] .

يتبين من دراسة خطط بغداد انه كان فيها عدد من النصارى من النساطرة واليعاقبة ، ولهم في بغداد أديره قليلة ومحلة باسمهم في الجانب الغربي ، واخرى تسمى «دار الروم» في الجانب الشرقي ، ووجود هاتين المحلتين بين العدد الكبير من المحلات يدل على قلة عددهم نسبيا ، ولم تذكر المصادر لغتهم، وقد تكون السريانية ، ولكن قربها من العربية يسهل تعلمهم العربية .

وذكرت في بغداد محلة واحدة باسم المجوس في الجانب الغربي ولعل كثيرا من سكانها الاولين كانوا يدينون بالزرادشتية ويستعملون الفارسية ، الا ان عددهم محدود ومحلتهم في اقصى الاطراف الجنوبية من الجانب الغربي.

تظهر خطط بغداد انه سكنها منذ اول تأسيسها جماعات من مدن عديدة في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، والراجح ان كثيرا منهم كانوا من المقاتلة العرب الذين تفرقت سكناهم في تلك المدن لاسباب عسكرية ، ولعل غير العرب منهم كانوا يتحدثون بالعربية ايضا .

تعبر بغداد ، شأن كثير من المدن العربية الاخرى ، عن ظاهرتين في المفردات اللغوية هما ، المفردات التي يستعملها الناس ، والمفردات المدونة في المعاجم وفي الكتب المختصه باللغة .

أمّا المفردات التي يستعملها الناس فبعضها مشترك عند عموم الناس ، وبعضها منفرد باشخاص او جماعات او حرف ، ولا تدخل في ذلك ما يستعمله افراد متفرقون من الفاظ ينفردون باستعمالها او طريقة في النطق تنحصر في كل منهم .

وأمّا اللغة التي يشترك فيها عموم الناس ، وهي ماتسمى اليوم « اللغة

(١٤) انظر تفاصيل وافية عن تأسيس بغداد وسكانها وتنظيم خططها كتابنا « بغداد مدينة السلام » .

الأساسيـة » وتتميز بـمفردات محددة تتصـل بمتطلبات الحياة الـيومية والتصرفات الفردية من أسماء المستلزمات المادية العامة وما في البيئة مـن حيوان ونبات وأحجار ، والاعضاء الرئيسة للجسم ، وقواعد السلوك العام ، وفيها مفردات من النظم الادارية العامة والفرائض الدينية ، وكثيرا ما يشوب تلفظها تحريف ، وهو مايسمى « اللحن » وقد أشارت بعـض المصـادر الى «لحن العامة »، وألفت فيه عدة كتـب، فذكرت المصـادر كتبـا عنوانهـا «ما تلحن فيه العامة» ألف فيها كل من احمد بن حاتم ، والاصمعي ، وثعلب، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي حنيفة الدينوري ، وسلامة بن غياض ، وأبي عبيدة ، وأبي عثمان المازني ، وأبي الهيذام •

وألفت كتب عنوانها « لحن العامة » أو « لحن العوام » ألف كلا منها ابو هلال العسكري ، والكسائي ، وعمرو بن محمد السكوني •

وامتد اللحن الى الخاصة ، فألف في ذلك كتابـا كل مـن ابي هـلال العسكري ، وأبي أحمد العسكري ، كما ألف ابو عبيدة ما خالفت فيه العامة لغات العرب •

ولابد ان مادة اكثر هذه الكتب عن « عامة بغداد » حيث عاش معظـم هؤلاء المؤلفين ووجهوا العناية اليها ، وتدل عناوينها على انها تبحث في انحراف « التلفظ » من حيث الاصوات أو قواعد النحو ، وليس عن مادة الالفـاظ ومعانيها •

ومن المعلوم ان اكثر الناس هم من اصحاب الحرف والصناعات ويستعمل كل منهم مفردات عن مايستعمله من الادوات وأسـاليب العمـل ، وأحيانـا المعاملاتلا ، وبعض هذه الحرف عربية في أصولها ، غير ان كثيرا منها اخـذه العرب في العراق من الاعاجم ، أو استخدموا فيه الاعاجم الذين وان تكلموا العربية الا انهم يكثرون من استعمال الكلمات الاعجمية •

ان الاعتزاز بالعربية دفع اهل المدن العربية على التمسك باستعمالهـا

والحرص على الاحتفاظ بها ، ومما عزز موقفهم ان الهيئة العليا الحاكمة من الخلفاء ورجال البلاط وكبار رجال الجيش والادارة كانوا من العرب وكانوا يعتزون بالعربية ويحرصون على بقائها ، وكانوا موئل الشعراء الذين ينظمون بها ، ومصدر تقدير لمن يحسنها ، وكان مؤدبو الخلفاء ومعظم كبار رجال الدولة من المختصين بالعربية وعلومها .

ثم ان القرآن الكريم ، وهو بلسان عربي مبين ، كانت اياته تتردد في الصلوات والفرائض ، وفي اقوال الخطباء والوعاظ ، فتعين على تثبيت العربية ونشر الفاظها وطريقة نطقها .

وكان اعتداد العرب بذاتهم كبيرا وخاصة في أوائل سنى الدولة حيث كانوا المهيمنين على الدولة والاداة الكبرى في الحفاظ عليها وانمائها ، ومع ان غير العرب ازداد عددهم في الامصار، وتوسع دورهم في الحياة الفكرية ، وعلا صوتهم في الحياة العامة ، واظهر بعضهم تعصبه لقومه وحاول تحدي مكانة العرب وخصائصهم ، فجاهروا في شعوبيتهم التهجمية ، وسلكوا مسالك ظاهرة وخفية للمس بتراث العرب ومكانته، الا ان اغلب مواقفهم كانت سلبية اقتصرت على الطعن بالعرب والفخر بانجازات غيرهم دون ان يقدموا بديلا عن العربية والعروبة ، وفيما عدا كتب الدين النصرانية واليهودية فانه لم يدون شعر او نثر بغير اللغة العربية حتى اواخر القرن الرابع الهجرى ، ويلاحظ ان الكتابات بغير العربية كانت في اقاليم الهضبة الايرانية واكثرها برعاية حكام اعتزوا بتمسكهم في الدولة الاسلامية والدين الاسلامي اللذين تكون العروبة اساسا مكينا لهم ، وكانت اكثر انتاجاتهم الثقافية في الشعر والرسائل والتواريخ المحلية ، وفيها وصف اكثر من اعتزاز بالاوضاع القائمة ، وقل فيها الفخر بماض يتحدى العروبة وفي كتاباتهم مفردات عربية لاتقل عن نصف ما يستعملونه من مفردات اضافة الى تأثرهم بأساليب الشعر والنثر العربية .

لاريب في أن أوضح سبيل لمعرفة كلمات الحرفيين هي تصنيفها تبعا للحرف ، فتكتب الكلمات التي يستعملها أصحاب كل حرفة ، ولانعلم كتابا أفرد للكلمات التي يستعملها أصحاب كل حرفة ، ماعدا كتاب الدواوين ، وأبرز ما ألف فيها ، «مفاتيح العلوم» للخوارزمي ، غير ان بعض المصنفات في فقه اللغة خصصت مكانا ذكرت فيه عددا من الحرف وبعض الكلمات المستعملة في كل حرفة .

وفي الكتب التي اختصت بدراسة الكلمات المعرّبة عدد غير قليل من الكلمات الاعجمية التي استعملها العرب ، ولابد انها كانت اشيع عند العامة ، ولكن كثيرا منها استعمله العلماء ايضا ، واشهر كتابين في ذلك « شفاء الغليل بما في لغة العرب من الدخيل » ، للخفاجي ، و « المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم » لموهوب بن احمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) وفي مقدمته اشارات الى حروف كلمات اعجمية .

غير ان التطور الحضاري أدى ، بالاضافة الى تعريب عدد من الكلمات الاعجمية ، الى اسباغ معان جديدة لعدد غير قليل من الكلمات العربية الاصيلة، وكثير من هذه المعاني تعرض بدوره الى تطورات ، فصار للكلمة الواحدة معان متعددة تبعا لأحوال الزمان والمكان ، واحيانا الافراد من الكتّاب . وكثير من هذه الكلمات « المولدة » وتطور المعاني لم يدخله اصحاب المعاجم الكبيرة المشهورة في معاجمهم ، ولم تؤلف فيه الا كتب قليلة عن تطور معاني بعض الكلمات « الفنية » ، كالذي فطه الجرجاني في « التعريفات » ، كما ان الدراسات الحديثة اقتصرت على رصد بعض هذه الكلمات ، وبحثت في تطور معاني عدد محدود منها ، مما يجعل الحاجة قائمة الى معجم لغوي حضاري شامل يضم ما استعمل من المفردات ، ويرتب معلوماته عن كل منها وفقاً لتطورها عبر الزمان والمكان . ولابد ان استعمال الحسابات والاجهزة التقنية الحديثة ييسر هذا العمل الذي يتطلب جهودا واسعة جديرة بأهميته .

المفردات عند العلماء :

رافق تكوّن الدولة الاسلامية نشاط فكري واسع في دراسة ما هو قائم وتفهمه وانمائه ، وكانت عناصره الأساسية تراث عربي موروث عزّزه الاسلام واغناه بما ثبت فيه من الفاظ احتفظت بمعانيها القديمة او اسبغت عليها معاني جديدة ، وكانت ترقى الى مستوى فكري عال يتطلب معرفة خاصة بالمفردات ، فكانت طلائع النشاط الفكري في الامصار تدارس « الكلم الطيب » من حكم وامثال ، وتداول الشعر الذى يتطلب فهم مفرداته وافكاره والصور التي يعرفها ، وكان المعين الذي يستقون منه أهل البادية ، وخاصة الاعراب الذين يقدمون مادة غنية عن كثير من المفردات التي تتطلب التوضيح غير انه لابد من اكمالها بتوضيحات يقوم بها « اهل الحاضرة » الذين ظهر فيهم كثير من الشعراء وكان عندهم ينشد اكثر الشعر ويكثر تداوله .

ورافق ذلك ظهور من عنى باللغة وضبط مفرداتها وتراكيبها ، وبمرور الايام اتسعت مادتها وكثرت تشعباتها وعمقت مادتها ، وصار فهمها الشامل يتطلب تبحرا وتخصصا ، غير ان التخصص كان واسعا متشعبا ، ولم يكن ضيقا محدودا ، فضلا عنْ ان هؤلاء « العلماء » لم يعيشوا في برجهم العاجي وانما كانوا متصلين بالناس ، وكثير منهم متصلا بذوي السلطان ، فتعمقهم في البحث الذى يقودهم الى اتقان « الغريب المتفرد » لم يعزلهم عن الناس ، فكانت كتاباتهم المعبرة عن تكوينهم الفكري بسيطة واضحة ، ومفرداتها مألوفة شائعة .

الفقه :

ومنذ منتصف القرن الاول الهجرى ازداد ظهور القضايا الاجتماعية ومنها ما يتعلق بالعبادات او المعاملات او الصلات الاجتماعية بين أفرادالاسرة او بين طبقات المجتمع ، وظهر معنيون ببحثها واصدار الاراء فيها ، وكان اكثر

الاوائل منهم من اهل الحجاز ، وخاصة ممن كان يقيم في المدينة ومكـة ، واقتضت الاحوال ان يكثروا من استعمال المفردات المتداولـة في بيئتهـم وهي التي عاش فيها الرسول (ص) فكانت مفرداتهم مما استعمله الرسول (ص) وما استجد بسبب تطور الاحوال ونموها ، وكان لفقهاء المدينة في هذا الزمن المبكر مكانة خاصة ، فهم اوثق صلة بتراث الرسول(ص) والصحابة والخلفاء الاولين الذين مدوا الدولة ورسخوها ، وكانوا بعد انتقـال مقر الخلافـة الى الشام غير خاضعين مباشرة لضغط السلطات الحاكمة ، كما ان موقع الحجـاز المتوسط بين الاقاليم الرئيسة ، ووجود الاماكن المقدسة فيه يجعله اكثر ملاءمة لترسيخ النظرة الاسلامية الشاملة في الاحكام ، وبذلك استوعبوا القضايـا التي لاتشغل بيئتهم المحدودة فحسب ، بل ايضـا كثيرا مـن القضايـا التي تهتم بها بقية المناطق ، وبذلك وضعوا الخطوط العامة للفقه ونطاق دراسته، كما قدموا حلولا لكثير من قضاياه التفصيلية .

ونمت دراسة الفقه في أمصار اخرى ومنها الشام والبصرة ولكن اخصها الكوفة ، وكان فقهاؤها ذوي صلة وثيقة بفقهاء المدينة ، وقد شـجع الخلفـاء العباسيون الاولون علم أهل المدينة وعملوا على اتخاذه أساسا للعلم في بغداد، واظهر ما يعبر عن اثر اهل المدينة في العراق هو ان ابا يوسف وهو اول فقيه وصلتنا كتب منه ، كان معظم شيوخه ومصادره اهل المدينة ، كما ان محمد بن الحسن الشيباني ، وهو الفقيه البارز الثاني في العراق ، درس على فقهـاء أهل المدينة وكان ممن روى موطأ مالك .

تتميز كتب الفقه بسعة مفرداتها المتصلة بالعبادات وبجوانب الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية مما له علاقة بسواد الناس وعامتهم دون الخاصة ، وبالسلوك المقبول دون الترذل المنبوذ ، فمفرداتها متعددة ومنوعة ، ولكنهـا دائماً دقيقة التحديد لانها اساس الحكم القانوني ، ومعانيها واضحة عنـد

الفقيه الذي يستعملها ، ويدل تعددها على غنى ثروة الفقهاء اللغوية، وهي متصلة بالعامة من الناس ، ولكن لايمكن الادعاء بانها الثروة اللغوية لكل فرد ، فلابد ان الافراد اقل احاطة بها وبدقة فهمها .

ولابد ان كثر مفردات فقهاء المدينة كان مما هومستعمل في المدينةومكة، ونظرا لصلاتهما التجارية القديمة خاصة مع اقاليم غرب الجزيرة ، بما في ذلك اليمن وبلاد الشام ، فلابد انهم استعملوا المفردات العربية الشائعة عندهم منذ قبل الاسلام ، ولابد ان يكون لليمن اثر اكبر للصلة الوثيقةبين اليمن والحجاز، خاصة وأن كثيرا ممن عنى بالفقه وكذلك قضاةالامصار كانوا منأهل اليمن، غير ان ضعف صلتهم بمناطق شرقي الجزيرة يوحي بانهم لم يستعملوا ما تفرد به هؤلاء من تعابير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

ان الازدهار الاقتصادي في الحجاز ابان القرن الاول وأوائل القرن الثاني الهجري ، جلب الى المدينة ومكة عددا من الاعاجم وسلعهم ، فشاعت بينهم كلمات اعجمية منها ماكان مستعملا في المشرق ، ومن مظاهر ذلك تردد كلمة « العدل ببرنامجه » وبيع «ده دوازده» في مدونة مالك ، غير ان المفردات من الرومية نادرة ، ان كانت موجودة ، وكان وجود الكلمات الاعجمية أحد المبررات التي اعتمدها اللغويون لعدم اخذهم اللغة من أهل الحجاز .

ساعدت مكانة فقهاء المدينة على تثبيت مفردات معينة بمفاهيم محددة عند الباحثين في الفقه ، ورافق امتداد مكانتهم انتشار هذه المفردات بمعانيها المحددة في أوساط الفقهاء في كافة أرجاء دولة الاسلام ، وقد امتد هذا التأثير عبر أزمنة طويلة حتى انك لاتلقى صعوبة لغوية عند قراءة كتاب في الفقه في أوائل القرون أو في أواخرها ، وقد يكون الفرق الاساس البارز هي كتب الفتاوى والنوازل التي يكثر في كل منها تعبيرات من واقع زمن كتابتها وكثيرا ماتكون محلية .

غير ان عددا من المفردات الفقهية انحصر استعمالها وفهمها عند المختصين

من علماء الفقه ، واصبح معناها غريبا عند غيرهم ، وقد دخل بعضها في المعاجم اللغويــة العــامة ، وظل عدد منهــا معزولا ، وألف عدد قليــل من المعاجم الخاصة بهــا .

وهكذا ثبت الفقهاء استعمال كلمات خاصة متصلة بالحياة اليومية للناس ومحددة بمعان خاصة ، وهي عربية الاصول مما يدل على قدم اســتعمالها ، وبعضها يعبر عن مؤسسات مالية وادارية كانت قائمة في اقاليم اخرى مثــل «راس المــال » « ام القرى » « الحاضر » .

ومما يتصل بالفقه والكتابة . النصوص القانونية لمعاملات البيع والاجارة والارث وما اليها ، وهي تسمى في المشرق « الشروط » وفي المغرب «النوازل» وهي تقوم على أساس احكام الفقه وتستعمل مفرداته ، ولكنها تفصّــل في الحالات التي تبحثها ، وتستعمل مفردات تعبر عن الحياة اليومية وما فيهــا ، وبحكم وضعها القانوني تدقق في استعمال الكلمات ، فمفرداتها عربية سليمة ودقيقة ومما يستعمله الناس ، غير انها قــد تدخل مفردات غــير « فصيحة » شــائعة .

ذكرت المصادر اسماء عدد كبير من الكتب المؤلفة في الشروط والنوازل، بالاضافة الى فصول تكتب في كتب القضاء عن الشروط ، غير انه لم يصلنــا منها غير كتابين ألفهما الفقيه الحنفي الطحــاوي في أوائــل القــرن الرابع ، والسمرقندي في القرن السادس ، وأورد القلقشندي في «صبح الاعشى » ثلاثة نصوص عن الاراضي في العراق تتعلق بالاراضي .

ووصلت كتب كثيرة في «النوازل» مما كتب في الاندلس والمغرب، وطبع بعضها ، ولغتها عربية ، ومفرداتها مما هو مدرج في كتب الفقه او ما يستعمل في الحياة اليومية والاوضاع القائمة ، وقليل منها مفردات محلية .

كتابه الاسائل والاداب :

ومن مظاهر ازدهار الحركة الفكرية التي تتصل بها الالفاظ هي الكتابة التي يمكن تصنيفها الى ثلاثة أصناف هي : الكتابات المعبرة عن العواطف والخلجات والمشاعر والافكار مما نسميه «الاداب» ، وكتابة الرسائل السلطانية الصادرة من الخلافة ورجال الادارة ، وكتابة الدواوين المالية .

فأما الاداب فان اصولها تمتد الى ماقبل الاسلام حيث عرف العرب بتقدير « الكلم الطيب » وتناقله حكما او امثالا ، بالاضافة الى رواية الحوادث وأوصاف الاعمال، فمفرداتها عربية ومعروفة، وهي «متخيرة» بدقتها ورصانتها، وقد نمت واتسعت بعد استقرار تكون الدولة الاسلامية حيث تابع المستقرون في الامصار خاصة اهتماماتهم بآداب السلوك والعواطف التي يعبر عنها بمفردات واضحة يزداد تقديرها مع دقتها ، وقد وصلتنا منها نصوص قصيرة عن العهود الاولى ، ثم ازدادت عددا وسعة منذ أوائل العصر العباسي ، ونبغ كتاب تنوعت اساليب كتابتهم من البساطة والسلاسة والطلاقة والاسترسال الى التدقيق واعمال الفكر في صياغة الافكار وتخير الالفاظ ، وعنى بعضهم باختيار المفردات واعتبارها أساسا لسمو الكتابة وبلاغتها، وكانت كتابتهم بمفردات عربية اساسها ماجاء في القرآن الكريم وما يستعمله الناس وعمموا كثيرا من مفردات أهل الصحراء، وقلل بعضهم استعمال كلمات اخرى حتى صارت حوشية غريبة، واستعملوا مفردات بغير معناها القديم لتعبر عن صور جديدة بما في ذلك تسمية الأساليب البلاغية من جناس وطباق واستعارة وكنايات ومجاز [١٥] .

تطلب قيام الدولة الاهتمام بالكتب التي تصدر عن الخلفاء والولاة

---

(١٥) انظر في ذلك « نشأة الكتابة الفنية » لحسين نصار ، و «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» لزكي مبارك .

وأولي الامر، وهي تكتب بالعربية ، ويعنى فيها باختيار الالفاظ المعبرة بدقـة ووضوح عن الافكار المطلوب عرضها ونقلها ، فاساليبها بسيطة واضحـة ، وتعابيرها من المألوف السائد عند كاتبه ، والمفهوم عند متلقيه ، وكان اغلـب ما كتب منها في صدر الاسلام قصيرا ، ومفرداته مفهومة التعابير في زمنها ، وان كان بعضها تبدل بمر الزمن ، وروعيت في كثير منها المفاهيم الاسـلامية الجديدة، واعتمد أصحاب المعاجم كثيرا من هذه المفردات ونقلوها للاستشهاد، وقام عدد من المحدثين بجمعها في كتب من اشهرها « الوثائق السياسية في عهد الرسول (ص) والخلافة الراشدة» لمحمد حميد الله ، و «جمهرة رسائل العرب» لمحمد صفوت و « الوثائق السياسية » لماهر حمادة •

وقد كثرت هذه الكتب في زمن الخلافة العباسية ، وازداد طول كـل منها ، وبعضها يتعلق بقضايا سياسية منوعة في محتواها، فبعضهايتعلق بالادارة وبعضها يتعلق بقضايا سياسية ، وفيها افكار ولاة الامر عن السياسة والادارة ومفرداتها عربية ، وألفاظها متخيرة للتعبير الدقيق بالدرجة الاولى ، وقد دبج صياغتها كتاب يعملون في بلاط الخليفة أو الوالي ، فهم يدركون المطلوب من الكتابة ، ويصوغون الكتب بلغة عربية سليمة •

تطلبت المكانة الخاصة للغة العربية العناية بتدقيق عبارات الكتب الرسمية، وتخير الالفاظ السليمة في كتابتهـا ، فكان اتقان اللغة جـزءاً أسـاسيا مـن متطلبات ثقافة الكتاب ، وقد حث عبدالحميد الكاتب الكتـاب في رسـالته المشهورة التي وجهها اليهم اتقان العربية فقال « فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب ، وتفقهوا في الدين ، وابدأوا بعلم كتاب الله عـز وجـل ، والفرائض ، ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ، ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها •

كان حرص كتاب الرسائل السلطانية على الكتابة بعربية سليمة بمفرداتها

ونحوها من دوافع تأليف كتب تعنى بذكر المفردات العربية السليمة مرتبة في الغالب حسب مواضيعها مما يحتاجه الكاتب ، ومن أشهر الكتب الاولى فيها « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ت ٢٧٦) ، وقد اعتبره ابن خلدون أحد الكتب الاربعة الاساسية في أصول الادب ، وذكر ابن قتيبة في مقدمته ان الدافع لتأليفه انه رأى «أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ، ولاهله كارهين » ، وان «ابعد غايات كاتبنا في كتابته ان يكون حسن الخط ، قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا ان يقول من الشعر ابياتا في مدح قينة أو وصف كأس» وانه «طال عليه ان ينظر •• في علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه » وهو يقول انه عزم على معالجة ذلك بتأليف كتب خفاف في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد ، يشتمل منها على فن، متحاشياً التطويل والتثقيل •

وهو يذكر ان الكاتب يحتاج الى معارف اخرى في الهندسة والمساحة والفقه واخبار ، وأكد على ان السابقة لتأديب وتهذيب الاخلاق ، ثم يتلوها تأديب اللسان وتهذيب الالفاظ العفة ، مع تحاشي الغريب ، وانه يكره في الكتاب وحش الغريب وتعقيد الكلام •

وذكر فيه التعابير المستعملة في مختلف ميادين الحياة مرتبة حسب مواضيعها ، وتلاها بابحاث الصق بالصرف والنحو •

ومن هذه الكتب كتاب «الكتاب» لابن درستويه (ت٣٤٧) وهو يعني بضبط الكلمات • ومنها «الالفاظ الكتابية» لعبد الرحمان بن عيسى الهمداني (ت٣٢٠) ورتب الكلمات الاساسية المستعملة لمواضيعها •

ومن أشهر هذه الكتب « أدب الكاتب » لابي بكر الصولي (ت ٣٣٦) وقد ألفه «لأعلى الكتاب درجة وأقلهم فيه منزلة» ، وركز على ضبط الالفاظ والمعاملات المالية والفقهية •

وهذه الكتب هي فرع خاص من كتب الفت حسب المواضيع ومن أوائلها «الغريب المصنف» لابي عبيدة (ت٢٢٤)ووصلت اوجها في كتاب «المخصص»لابن سيده (ت ٤٥٨) ، الذي جمع الالفاظ العربية حسب مواضيعها واعتمد في مانقله على المعلومات التي دونها ابرز علماء اللغة من سبقه .

كتابه دواوين الخراج :

لكتّاب الخراج وضع خاص متميز، فهم يتعاملون بالامور المالية ومايتصل بالارض خاصة ، ويسيرون وفق نظم وتقاليد استقرت عبر مدة طويلة من الزمن ، فعملهم يتطلب استعمال مفردات تتعلق بنظم الادارة ، والارض ، والمنتوجات وأعمال المساحة والهندسة والحساب ، فهي مفردات واسعة في نطاقها ، منوعة في ميادينها ، متصلة بمعرفة الناس وبما تتطلبه النظم من مخاطبة الحكام وولاة الامور .

ولابد ان نظم الجباية والادارة المالية كانت قائمة في الارجاء التي تحكمها دول في جزيرة العرب ، وانهم كانوا يستعملون التعابير العربية السائدة في أراضي تلك الدول غير انه لم تصلنا معلومات مجزية عنها .

وفي القرآن الكريم تعابير عن السجلات وتنظيم الحسابات ، ومنها «الكتاب» و«الصحف» و«الحساب» و«السجل» [١٦] ، وإشاراتالى بعض الضرائب ومنها «الخراج» و «الصدقة» و «الجزية» ؛ ويدل ترددها على كثرة استعمالها وخاصة في مكة التي عرف أهلها بنشاطهم التجاري واتصالهم بالاقاليم العربية وبعض الاقاليم الخارجة عن الجزيرة العربية ، غير انه ينبغي عدم المبالغة في سعة نطاقها وتنوع ميادينها .

(١٦) جمع توري هذه التعابير وحللها في كتابه «التعابير التجارية في القرآن» (بالانكليزية) .

ولما توسعت الدولة الاسلامية ضمت اقاليم واسعة كانت تابعة للساسانيين في المشرق وللروم في المغرب ، وكان اكثر الاقاليم تعقيداً في نظمها العراق والشام ومصر ، حيث كان في كل منها نظم ادارية ومالية استقرت عبر مدة من الزمن ، وكانت الهيئة الحاكمة في كل منها تختلف عن غالبية السكان في أصولها وثقافتها ولغتها ، وفي كل منها دواوين منظمة أوسعها ما يتصل بالجباية المالية ، وهي وثيقة الصلة بأهل البلاد لانها تتعامل معهم في الجباية والاتفاق ، غير أن واجبها الرئيس متصل بالهيئة الحاكمة ، ولذلك كانت تكتب وثائق معاملاتها باللغة التي يستعملها الحكام وهي الفارسية في العراق واليونانية في بلاد الشام ومصر ، وبالنظر لسعة أعمالهم وتعقدها ، وخبراتهم المستقرة ، فقد ابقاهم العرب ولم يعملوا على تبديل اساليب عملهم .

غير انه بعد استقرار الحكم ادرك العرب خطر استمرار الدواوين بالكتابة بغير العربية ، فهي تعيق متابعة ولاة الامور شؤون المالية التي هي من أهم أسس كيان الدولة ، وهي تعطل ايضا معاملات عامة السكان الذين لغتهم تخالف الكتّاب ، فضلا عن مكانة اللغة الاعجمية في الدواوين فيه انتقاص لمكانة العربية التي هي من أبرز مقومات الدولة .

ومما كان ييسر عملية التعريب ان غالبية كتاب الدواوين كانوا من أهل البلاد ولغتهم في الاصل غير الاعجمية التي كانوا يتعلمونها من اجل الحصول على العمل ، وقد افقدهم استقرار الدولة العربية الامل بعودة النظام القديم ، وسرت فيهم روح الثقة ببقاء الدولة الجديدة مما تقتضي مصلحتهم الخاصة ان يتكيفوا لها ويخدموها .

ولم يكن كتاب دواوين الخراج في العراق خاصة بعيدين عن العربية، فأكثرهم كانت لغة الام عندهم هي العربية أو وثيقة الصلة بالعربية التي هي لغة الهيئات الحاكمة والمقاتلة وكثير من التجار ، فليس من الصعب احلال مفرداتها محل معظم المفردات الاعجمية التي كانوا يستعملونها ، وتنسب عملية تعريب

الدواوين في العراق الى صالح بن عبدالرحمن ، ويروى الجهشياري في ذلك انه لما ولى الحجاج العراق «كان يكتب له صالح بن عبدالرحمن ويكنى ابا الوليد ، وكان يتقلد ديوان الفارسية اذ ذاك زادان فروخ فخلفه عليه صالح بن عبدالرحمن ، فخف على قلب الحجاج وخص به ، فقال لزادان فروخ اني قد خففت على قلب الحجاج ، ولست آمن ان ازيلك عن محلك لتقديمه اياي وانت رئيسي ، فقال زادان فروخ ، لاتفعل فانه احوج الي مني اليه،قال فكيف ذلك ، قال لايجد من يكفيه الحساب ، فقال صالح اني لو شئت حولته بالعربية ، قال فحوّل منه سطرا ، فحول منه شيئا كثيرا ، فقال زادان فروخ لاصحابه التمسوا مسكنا غير هذا ، وأمر الحجاج صالحا بنقل الدواوين الى العربية في سنة ثمان وسبعين [١٧] .

يظهر هذا النص ان صالح بن عبدالرحمن كانت له صلة وظيفية بديوان الخراج وانه كان يتقن العربية والفارسية ، وان كتابة الحسابات بالفارسية كانت تلزم الولاة العرب بمراعاة ولاة الخراج الذين يستعملون الفارسية وان صالح بن عبدالرحمن لم يواجه صعوبة في نقل الحسابات ومعاملاتها الى العربية ، وان ذلك تم في سنة ٧٨ .

لم يكن لتعريب الدواوين بالبساطة التي صورها الجهشياري فهي لم تكن مقصورة على العراق ، وانما امتدت الى بلاد الشام ايضا ، كما امتدت الى تعريب النقود ، فهي جزء من سياسة شاملة ، ودوافعها واسعة تمتد الى تعزيز مكانة اللغة العربية ، وتوثيق الوحدة الثقافية والفكرية ، وافساح مجال عمل أوسع للمعتزين بها ؛ واتاحة الفرصة للولاة في الاطلاع على تفاصيل الادارة المالية .

أشار الجهشياري الى بعض نتائج التعريب فذكر ان « كان عامة كتّاب

(١٧) الوزراء والكتاب ٣٨ .

العراق تلامذة صالح بن عبدالرحمن ، فمنهم المغيرة بن ابي فروة ، كتب ليزيد ابن المهلب ، ومنهم قحذم بن ابي سليم وشيبة بن ايمن كاتبا يوسف بن عمر ، ومنهم المغيرة وسعيد ابنا امية ، وكان سعيد يكتب لعمر بن هبيرة ، ومنهم مروان بن إياس ، كتب لخالد القسري ، وغيرهم »[١٨] .

ولابد ان هؤلاء حلوا محل من كان قبلهم من المتمسكين باللغة الفارسية، وانهم كانوا رؤوس أصحاب الديوان ، اما عامة الكتاب فقد بقوا في مكانهم يستعملون العربية في المكاتبات .

ومع ان معظم الكتّاب من أهل العراق وليسوا فرساً ، الا انهم ظلوا حريصين على الثقافة الفارسية دون العربية ، فقال الجاحظ ان احدهم اذا وطىء مقعد الرئاسة « وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم ملحه وروى لبرزجمهر امثاله ، ولاردشير عهده ولعبدالحميد رسائله ، ولابن المقفع أدبه، صيّر مزدك معدن علمه ، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته»[١٩] ثم ذكر طعنهم بالقرآن والصحابة والفقهاء التابعين وانه « لم ير كاتب قط جعل القرآن سميره ، ولا التفقه في الدين شعاره ، ولا الحفظ للسنن والاثار عماده » [٢٠] .

ويتصل بهذا قول ابن قتيبةفيمقدمةكتابه «أدب الكاتب» «فابعدغايات كاتبنامنالشعر أبياتافيمدح قينة او وصفكأس، وأرفعدرجات لطيفنا انيطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لايعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله (ص) بالتكذيب وهو لايدري من نقله» ويقول «ولكنه طال عليه ان ينظر في علم الكتاب ، ومن اخبار الرسول (ص) وصحابته ومن علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه ، وانحرف الى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون

(١٨) الكتاب والوزراء للجهشياري ٣٨ .
(١٩) في ذم اخلاق الكتاب ضمن رسائل الجاحظ ١٩١/٢ – ٢ .
(٢٠) كذلك ١٩٤/٢ .

وقل منه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم » •

ان هذين النصين يتفقان على صدوف الكتاب عن علوم القرآن والحديث، ويضيف ابن قتيبة صدوفهم عن علوم العرب ولغاتها وآدابها ، ويذكر الجاحظ أسماء الكتب التي كانت معينهم في الثقافة والفكر ، وكلها ما عدا مزدك ، منقولة الى العربية بلغة سليمة ليس فيها مفردات اعجمية كما ان ابن قتيبة يذكر عنايتهم في كتب الفلسفة مما له ترجمة « تروق بلا معنى ، واسم يهول بلاجسم» أي ان نشازهم قائم على أفكارهم وليس على اللغة التي يستعملونها وهي العربية ، والواقع انه لم يعرف عن الشعوبيين فيما طعنوا به العرب ، انكارهم مكانة اللغة العربية ، وان كثيرا من غير العرب اسهموا بسعة في دراسة مختلف المواضيع المتصلة باللغة العربية ، بما في ذلك المفردات وقواعد النحو والصرف ، ومظاهر البلاغة ، ولم تبدأ الكتابة بالفارسية الا في أواخر القرن الرابع الهجري ، وبدأت عند الشعراء والادباء وليس في الدواوين ، وكانت في ظل حكام كانوا يقرون بالاسلام والثقافة العربية وحرمة الخلافة العباسية •

كانت محاولة اتقان الكتّاب اللغة العربية من دوافع تأليف كتب لتيسير تعلم مفرداتها ولاتقان نحوها وصرفها وتلفظها ، وثبّت استعمال الكتاب العربية شيوع مفرداتها وتوسع معاني بعضها لتستعمل في المؤسسات الادارية والمالية، وكانت اكثر الكتب التي عدها الجاحظ من مقومات ثقافتهم مكتوبة بلغة عربية سليمة •

غير ان الكتّاب ظلوا يستعملون في العراق ، وربما في المشرق ، عددا من المفردات الفارسية ، وخاصة في تفاصيل معاملات سجلات الحسابات، وهذه التعابير عددها محدود ، وهي فنية خاصة بتلك المعاملات فلم يشع استعمالها عند الناس •

ازدهار دراسة العلوم :

كانت شبه جزيرة العرب منوعة في شكل أرضها وتربتها ومظاهر مناخها، وفي منتوجاتها المعدنية والنباتية والحيوانية ، وكانت لكثير من أهلها صلات تجارية بالبلاد الاخرى وخاصة الاقاليم التي حولهم ، وقامت في عدة مناطق فيها ، وخاصة في اليمن وعمان والبحرين واليمامة ، حضارات تدل المعلومات القليلة التي وصلتنا عنها على تقدم واسع في الحياة المادية وما يتصل بها من زراعة وصناعة وتجارة ، وقد اثمر هذا ثروة يدل على مداها سعة المفردات التي دونها لغويو القرون الاولى رغم اقتصارهم على ماكان سائدا عند بعض قبائل الجزيرة ، وليس عن كل ما في الجزيرة ، وان قلة المعلومات التي وصلتنا عن التراث العلمي في الجزيرة مرجعه قلة الحفريات وطبيعة مادة الكتابة ، وهو ليس بأقل مما وصلنا عن معظم البلاد الاخرى .

ولايصح ان تتخذ قلة المادة التي وصلتنا عن المعرفة بالعلوم على جهلهم بها ، فقلة المدونات القديمة في الجزيرة عن الطب مثلا لايعني عدم معرفتهم التشخيص والعلاج الذي لايستغني عنه أي مجتمع . وقلة الكتب التي وصلتنا عن النبات والزراعة لايعني عدم معرفتهم بها ، ومثل هذا ينطبق على كثير من ميادين العلم ، وخاصة التطبيقية والمتصلة بحياة الناس . ولايبعد ان المعرفة الواسعة التي تدل عليها اللغة العربية في ما يتعلق بالعلوم ، رافقته أفكار وآراء عن تنظيم هذه المعرفة وتعليل اسبابها ونتائجها وآثارها .

وفي القرآن الكريم تعابير كثيرة وتعليلات واسعة عن كثير من مظاهر الكون وسلوك البشر والقواعد التي تحكم مسيرتها .

ازداد نشاط الحركة الفكرية منذ تولي العباسيين الخلافة خاصة، ورافق ذلك انتشار استعمال الكاغد مما يسر توسع تأليف الكتب ، ومما انمى هذا النشاط

تأسيس بغداد التي جمعت اعدادا كبيرة من أرجاء كثيرة ، وخاصة من الكوفة والبصرة وريف العراق ومناطق خراسان وما وراء النهر ، ورافق ذلك ازدهار الحياة الاقتصادية واستقرار الامن والسلام واهتمام الخلفاء العباسيين الاولين برعاية الحركة الفكرية وانمائها، وتتابع ازدهار معارف اللغة والادب والدراسات القرآنية والفقه التي كانت قد ظهرت منذ زمن الامويين .

وقد قدر العباسيون ان البناء الفكري السليم يستلزم ان يكون واسعا ليشمل العلوم الصرفة والتطبيقية التي عنى بدراستها علماء قدماء أجانب وألفوا فيها كتبا قيمة ، كما يشمل عددا من الكتب في الآداب والتقنيات ، وكان عدد من هذه المؤلفات بالهندية والسريانية والفارسية ، ولكن اكثرهـا واغناهـا باليونانية التي ضمت تراث الالف سنة التي سبقت الاسلام ، ونمت بفضل تشجيع الحكام واهتمام الناس فألفت فيها كتب قيمة وخاصـة في الفلـك والرياضيات والطب (٢١) .

أدرك الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور ، وهو مؤسس بغداد . أهمية التراث العلمي لهذة الامم،فعنى بتشجيع نقل كتبه الى العربية لتكون مكملة للبناء الفكري في الدولة والامة . وقد بدأ في زمنه نقل كتب في عدد من ميادين العلم وخاصة الفلك (المجسطي والسند هنـد) والطب والفلسفة ، وتتابع نشاط النقل في هذه المواضيع ومواضيع اخرى ، ووصلت أوجهـا في القرن الثالث الهجري .

وكان اكثر نقلة كتب العلوم من نصارى العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وقد حدثت في أساليب النقل تطورات، فكان اكثر أوائلها نقلا حرفيا دون مراعاة لاسلوب الكتابة العربية، وفيها كثير من الكلمات الاعجمية، ثم تطورت فاصبحت تعرض مادتها باسلوب عربي مقبول، وتناقص عدد الكلمات الاعجمية، فاستعملت

---

(٢١) انظر عن تقدير مكانتها كتابنا «تاريخ العلم في العهود الاسلامية الاولى».

مكانها كلمات عربية أصيلة ، وهي تظهر اتقان النقلة واكثرهم نصارى ، اساليب الكتابة العربية وسعة ثروتهم في المفردات العربية . وتثير التساؤل عن الاساليب التي كانت متبعة في ضمان اتقانهم العربية وكان ثمارها هذا التمثيل للاسلوب، وهذه الثروة اللغوية الواسعة . ولابد انهم أفادوا كثيرا من المفردات التي جمعها المعنيون بلغة أهل البادية ، وخاصة في التشريح والحيوان والنبات والاحجار .

عززت كتب العلم المنقولة الى العربية كثيرا من مفردات العربية المستعملة في تلك الميادين ، ووسعت نطاق نشرها ، واضفت على بعضها معاني جديدة ، فلم تعد المفردات في خلق الانسان والحيوان والنبات مقصورة على دارسي كتب اللغة ، وانما امتدت الى المعنيين بالطب بما فيه التشخيص والعلاج والأدوية واستعملت كتب البيطرة المنقولة الى العربية المفردات التي جمعها اللغويون عن الحيوان ، وأفادت الفلسفة من مفردات القرآن الكريم فاستعملت كثيرا منها واضفت على بعضها معاني جديدة مثل الكون ، والفساد والكيفية ، والكمية ، والزمان ، والدليل ، والقياس ، والبرهان ، والجوهر ، والعرض ، والكلمة ، والروح ، والنفس .

ومما أفاد في انماء مفردات اللغة العربية وتيسيرها لمتطلبات الكتابة في العلوم تعدد صيغ تصريفها ومرونتها وقابليتها على سعة الاشتقاق ، ونمو دراسات النحو والتصريف ، واستنباط القواعد التي توضحها وتيسر توسيعها.

ولم تقدم المصادر معلومات توضح الصلة بين « علماء اللغة » والنقلة والمؤلفين ، وهل ان علماء اللغة ادركوا حاجات هؤلاء الكتاب فبحثوا في مايسر عملهم ، أم ان النقلة درسوا كتب علماء اللغة وأفادوا منها ، أم ان هذه الصلات جاءت عفوية، خاصة واننا نلاحظ ان كلا من اللغويين والنقلة ومؤلفي كتب العلم لم يشر الى الاخر او الى التعابير التي يستعملها الطرف الاخر ، واذا كانت بين اللغويين وبين النقلة والمؤلفين صلات ، فما مداها وامتدادها ،

وهل اقتصرت على مرحلة التعليم الاولى ام امتدت الى المراحل المتقدمة التي يتم فيها التأليف والانتاج .

كان بعض النقل في مراحله الاولى حرفيا « فجا » أطلق عليه ابن النديم نعت « عفطي » تكثر فيه الكلمات الاعجمية مثل انـا لوطيقـا وسـوفسطيقا وارثماطيقي وابيديميا (٢٢) ، كما ان اسلوب الكتابة يتابع اسلوب كتابة ماينقل عنه ، وهو مخالف للأسلوب المألوف بالعربية، ويكون فهمه مغلقا على القاريء العربي . وهذا يدل على ضعف معرفة النقلة الاولين اللغة وضعف اتقـانهم تركيب كلامها وأساليبها (٢٣) .

غير ان النقل لم يلبث ان تطور ليصبح أقرب ملاءمة للعربية بمفرداتهـا واساليبها ، فوضعت كلمات عربية لكثير من الكلمات التي وضعها النقلةالاولون بصيغتها الاعجمية ، فوضـع الحساب مكان الارتماطيقي ، والقياس مـكان الانالوطيقي ، والوباء مكان ابيديميا .

ولجأ النقلة الى هضم معنى ماينقلونه وصياغته باسلوب عربي قـد يخالف حرفية النص الاصلي ولكنه لايخرج عن معناه ، ولقيت هذه النقول رواجا ، وكان ابرز متقنيها حنين بن اسحاق وهو حيري الأصـل ، درس في جنديسابور الطب على يد بعض السريا ن، والعربية في البصرة على يد الخليل ابن احمد ابرز علماء العربية وواضع اول معجم عربي ، ثم درس اليونانية في الاسكندرية ومكنته مواهبه من استيعاب هذه العناصر ، وادرك حاجات اهل عصره وتذوقهم اسلوب الكتابة ، فكانت ترجماته انموذجا مقبولا تابعه من

---

(٢٢) انظر « فن الترجمة في الادب العربي » لمحمـد عبدالغني حسـن « في فنون الترجمة » لوديع قسطنطين ، المنشور في مجلة المجمع العلمي في دمشق ٣/٤٥ ، ١٩٧٠ «دراسات في تاريخ الترجمة» لبول كراوس. مجلة كلية الاداب بالقاهرة ٥ ـ ١٩٣٩/١ . « ضحى الاسلام» لاحمد امين، « حركة الترجمة في المشرق الاسلامي» رشيد الجميلي .

(٢٣) انظر : الحيوان للجاحظ ٧٥/١ .

تلاه ، وجعل الكتب المنقولة منسجمة في مفرداتها وأساليب عرضها مع كتب ميادين الفكر الاخرى ، ولا تتوفر معلومات كالتي عن حنين تتصل بنشأة النقلة واعدادهم الثقافي وأحوال اتقانهم العربية والاغريقية .

ذكرنا ان النقلة تظهر كتبهم انهم اتقنوا معرفة مفردات العربية وتركيب جملها واسلوبها ، وانهم حرصوا على ان يكون ما ينتجوه منسجما مع الهيكل الفكري العام في ذلك ؛ غير انهم اسبغوا معاني جديدة على كثير من المفردات العربية لتنسجم مع الافكار الجديدة في هذه العلوم .

وكان لابد من ابقاء عدد من الكلمات التي لا مقابل لها بالعربية ومن ذلك اسماء عدد من الاماكن واحجار والنبات ، وقد حافظوا على شكلها واصواتها ، وحرفوا بعضها لتنسجم مع جرس الالفاظ العربية ؛ وكان مصدرهم الرئيسي كتاب ديسقوريدس وكتب جالينوس خاصة والتي يحتوي كل كتاب منها أسماء نباتات واحجار في أقاليم اصبحت من ضمن الدولة الاسلامية مما ييسر على النقلة ضبط اسمائها ومعرفة ماكانت تسمى به في العربية اذا كانت فيه ، غير ان الدراسة المدققة التي عرضها ابراهيم بن مراد في كتابه القيم « المصطلح الاعجمي » تظهر ان نقلة الكتب ومن اخذ عنهم لم يكونوا دقيقين دائما في ضبط الاسماء الاعجمية للادوية والنبات او تعريف ماهيتها ؛ ومع هذا فقد بقيت تتناقلها الكتب المختصة دون ان تثير معارضة حتى اشد المعتزين بالعربية والمؤمنين بأهمية التعريب ، والواقع ان هذه المفردات قليلة العدد اذا قورنت بالثروة الضخمة من المفردات العربية وهي في ميادين فكرية خاصة محدودة الانتشار ، وقد ابقتها الضرورة دون تعمد التشويه .

رتب كثير من نقلة العلوم والمؤلفين فيها معلوماتهم وفق تنظيمات خاصة تسبغ على كتبهم سمة المعجمية ، غير انهم كثيرا ما أوردوا في بحث كل مادة تعابير غير قليلة تتعلق بتلك المادة ولا ترادفها .

وقد عنى عدد من المعاصرين بجرد المفردات « العلمية الواردة في الكتب

العربية القديمة ، وأفردوها ضمائم لما نشره من هذه الكتب ؛ وهي مادة قيمة تساعد على تحديد مستعمليها وزمن استعمالها ، وان كان كثير منها عام في كتب ميدان العلم الذي تبحثه • وكثير من هذه القوائم متفرق يتطلب التوحيد والتنسيق» •

وقد ازدادت العناية بجرد المفردات العلمية في الكتب التراثية على أثر الاهتمام الكبير في تعريب العلوم الحديثة ؛ فنشطت مؤسسات وأفراد لمتابعتها، وصدرت قوائم كبيرة ، ومعجمات كثيرة في عدد من ميادين العلوم الحديثة ، وأوردوا فيها كثيرا من التعابير « القديمة » واكملوه بما أضافوه فيها ؛ وكادت كثرتها تجعلها مربكة فضلا عما في بعضها من اختلافات ؛ وهذا يدعو الى الحاجة لجرد شامل لما تم انجازه ، وتنسيقه بمجموعات موحدة ، ولابد ان التطور التقني المعاصر واستعمال الحسابات يساعد على تيسير هذا العمل وتحقيقه •



تقييس المصطلح وتوحيده في العالم العربي : المبادىء والطرائق

الدكتور جميل عيسى الملائكة
عضو المجمع العلمي العراقي
(الاستاذ المدرس بكلية الهندسة بجامعة بغداد)

(الاصطلاح) هو اتفاق أهل الاختصاص على استعمال كلمة أو عبارة للدلالة على معنى غير معناها اللغوي سداً لحاجة علمية أو حضارية . و (المصطلح) هو الكلمة أو العبارة التي تختار لهذا الغرض . و (المصطلحية) terminology هي العلم الذي يُعنى بالاصطلاح والمصطلح وما يتعلق بهما . وسيلاحظ أن كلمة (الاصطلاح) نفسَها هي مصطلح في حال استعمالها للدلالة المذكورة . فالاصطلاح لغةً هو نقيض الاختصام ، ولكنه اصطُلح به لهذا المعنى الدقيق. وغير خافٍ أنّ ثمة عَلاقةً بين المعنى اللغويّ والمعنى فإنّ للاتفاق صلة لاتخفى بالوفاق ، الذي هو نقيض الخصام . وفيما عدا ذلك هناك فرق بين الدلالة الاصطلاحية لهذه اللفظة ومعناها اللغوي الصِّرف . وهكذا يتضح أن من أهمّ مبادىء المصطلحيّة أنّ المصطلح يختار لوجود عَلاقة أو ملابسة ، ولو من بعيد ، بين معناه اللغويّ ودلالته الاصطلاحية .

ويتبع هذا أنّ من الخطل إصرار بعضهم أحيانا على استبقاء مصطلح أجنبيّ بحجة صعوبة اختيار مقابل له في العربية . فإنّ ايّ مصطلح في أيّ لغة اجنبية لم يكن ليؤدي معناه الاصطلاحيّ قبل الاتفاق والتواضع عليه .

ومثلُ ذلك من العبث إضاعة الكثير من الوقت واحتدامُ الجدل والنّقاش بين واضعي المصطلحات كلّ يرى ان مايقترحه هو الصواب وسواه خطأ • فالحدّية ليست من سمات الاصطلاح الذي عماده الاتفاق كما هو واضح •

وتكفي هنا الاشارة الى ان ثمة كثيرا من المصطلحات التي تستعمل في اللغات الأجنبية مما لايكاد سامعها يتبين العلاقة بين معناها اللغوي ودلالتها الاصطلاحية • ففي اللغـة الانكليزية مثلا ألفاظ ظاهرها أسماء للحيوانات والطيور ولكنها تتخذ مصطلحات فنية في بعض المهن والاختصاصات ، كما في اصطلاحهم بكلمة cat للدلالة على (جهاز رفع المرساة في السفن) ، وبكلمـة dog بمعنى (الملقط) و ram بمعـنى (المضخـة التي تشتغل بالطرق المائي) ، و wolf بمعنى (تنـافر الاصوات في أوتار الالات الموسيقية عند عدم توافق درجات النغم فيها) ، و hawk للدلالة على (اللوح الذي يحمل عليه الطين) ، وليست علاقة (القط) و (الكلب) و (الكبش) و (الذئب) و (الصقر) بهذه الدلالات الاصطلاحية ممـا يسهل تبينه •

وقديما كان العالم البصري الجليل الخليل بن أحمـد الفراهيدي قـد وجد ، وهو يضع علما لاوزان الشعر العربي ، أنه بحاجة الى عشرات الاسماء لأجزاء بيت الشعر وحروفه وتسكينها وحذفها واضافتها ، فاتخذ لذلك أسماءً من الخيمة والناقة وما يتعلق بهما فسمى اخر تفعيلة في صدر البيت (العروض)، وهي لغةً الناقة التي لم ترض ، وسمى الحرفين (السبب) وأصله الحبل تربط به الخيمة ، والحروف الثلاثة (الوتد) وأصله الخشبة تربط بها حبال الخيمة، وحَذْفَ ثاني حرف من التفعلية ساكنا (الخبن) وأصله عطف حاشية الخيمة وخياطتها ، وتسكين خامس الحروف متحركا (العصب)وأصله شدّ فخذي

الناقة لتدرّ ، وهكذا في عشرات الاسماء الاخرى. ومازالت تلكم المصطلحات نفسها تستعمل في هذا العلم منذ قرابة ثلاثة عشر قرناً .

ولكننا مع ذلك نرى ان من الافضل ان يكون في المصطلح الجديد علاقة ، ولو من بعيد ، بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لفائدتين ، أولاهما أن الدلالة اللغوية قد توحي لسامع المصطلح وقارئه بشيء من دلالته الاصطلاحية ، والثانية أن وجود هذه العلاقة يسهل على الدارس حفظ المصطلح .

ويتبع كل هذا ان وضع المقابلات العربية للمصطلحات الاجنبية يستلزم النظر الى الدلالة الاصطلاحية للمصطلح الاجنبي لا الى معناه اللغويّ الصرف . فان كان واضع المصطلح الانكليزي قد دعا أداة الالتقاط dog مثلا ، فلا يقتضي هذا ان تترجم المصطلح بمعناه اللغوي فنسمية الكلب وانما نختار له ما له علاقة بمعناه الاصطلاحي فندعوه (الملقط) مثلا او (الملقاط) او (اللاقطة) او نختار له أي لفظة قريبة من ذلك ، لانها أدل على المعنى المقصود .

ولنا أن نترجم المصطلح الاجنبي بمعناه اللغوي اذا كانت الدلالتان الاصطلاحية واللغوية متطابقتين . فان مصطلح calculator يمكن ان يترجم بلفظة (محسبة) مثلا لان هذا معناه اللغوي والاصطلاحي . وهنا قد تفيد العودة الى اكثر من لغة أجنبية واحدة في اختيار المصطلح المترجم . فقد لايصلح ان نختار لمصطلح head ، الذي يراد به في الفيزياء (طاقة وحدة الثقل من المائع) ، مقابله العربي (رأس) لان هذا قد لايوحي بدلالته الاصطلاحية . ولكن الترجمة العربية للمصطلح الفرنسي وهي (شِحنة) هي أدلّ في هذا المقام على المعنى المراد .

وهنا تجدر الاشارة الى ضرورة الاتفاق على صيغة مترجمة واحدة لتجنب تعدد المصطلحات للمدلول العلمي الواحد ما أمكن ذلك ٠ فان مصطلح calculator الذي مر ذكره يصلح لترجمته عدد من الصيغ الممكن استعمالها للأداة والالة ، مثل (محسبة) و (محسب) و (محساب) و (حاسب) و (حاسبة) ، الخ ٠ ولكن توحيد المصطلح يقتضي اختيار واحد من هذه الالفاظ لما يسببه تعدد المصطلحات للمعنى العلمي الواحد من بلبلة وغموض والتباس ٠

وتساعد اللقاءات بين ذوي الاختصاص ، والندوات والمؤتمرات ، وما تقوم به المجامع العلمية واللغوية والهيئات العلمية كثيرا في مثل هذا التوحيد ٠ غير ان هذا لايعني أن اللغات الحية تخلو من تعدد المصطلحات للدلالة العلمية الواحدة٠ ففي الهندسةالمدنية مثلا قد نرى أهل المهنة يستعملون في الانكليزية مصطلحات kibble و bowk و hoppit و sinking bucket و skip لمدلول واحد هو الدلو الكبير المستعمل لرفع العمال والمواد من الحفر ، أو يستعملون screw shackle و tension sleeve و turn buckle كلها للدلالة على نوع من قضيب ربّاط يستعمل لزيادة الشدّ بين الكبول والحبال٠ ومثل هذا كثير جدا ، وليس هو مما يقف حجر عثرة في تقدم مسيرة العلم والتقنيات ٠ غير ان الافضل تجنبه عند وضع المصطلحات للمدلولات الجديدة لمنع الغموض واللبس كما مر بيانه ٠

ومثل ذلك يقال في أنه يحسن تجنب تعدد الدلالات للمصطلح العلمي الواحد ما أمكن ذلك ، وهو ما يدعوه أهل اللغة بالمشترك ٠ ومن أمثلة المشترك في العربية استعمالهم في الرياضيات مصطلح (الوتر) تارة للمستقيم

الواصل بين نقطتين على منحن ، وهو ما يدعى بالانكليزية chord وتارة للضلع المقابل للزاوية القائمة في المثلث القائم hypotenuse . ومن أمثلته في الانكليزية مصطلح tangent الذي يستعمل مرة لمعنى ظل الزاوية وأخرى لمعنى المماس . ومثل هذا كثير في جميع اللغات . وتمييز المعنى في مثل هذه الأحوال لايسكن الا من سياق الكلام . غير انه قد يكون مدعاة للبس والتداخل ويجب تجنبه ايضا عند وضع المصطلحات الجديدة توخيا للوضوح العلمي .

و (التعريب) في أصل معناه استعمال المصطلح الأجنبي مع تحوير بسيط فيه لتلائم حروفه أصوات الحروف العربية ، كما عمل القدامى عندما عربوا الألفاظ اليونانية arithmetike و astronomia و rhetorike فقالوا (ارتماطيقا) و (اسطرونوميا) و (ريطوريقا) ، أو مع تكييف أيضاً في صيغة الكلمة لتشابة في وزنها الكلمات العربية مثل (الهرطقة) لمعنى الإلحاد من اليونانية heretic أي الملحد . وكان بعض الأوائل في مطالع عصر الترجمة يلجؤون الى تعريب بعض المصطلحات العلمية الأجنبية توخيا للسرعة ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أن اللغة العلمية العربية باتت مشحونة بعدد كبير من ألفاظ غير عربية مما لايوحي بشيء من معناه الى القارىء العربي عند سماعه أو قراءته لأول وهلة ، فضلا عن اختلاف الناس كثيراً في طريقة نطقه . فلم تمر بضعة عقود من السنين الا أخذوا يحلّون مصطلحات عربية محل كثير من تلك الالفاظ ، فقالوا (الحساب) بدلاً من الارتماطيقا ، و (الهيئة) ثم (الفلك) بدلاً من الاسطرونوميا ، و (الالحاد) بدلا من الهرطقة ، و (الخَطابة) بدلا من الريطوريقا ، وهكذا ، باستثناء عدد محدود من الالفاظ الاجنبية التي بقيت حتى يومنا هذا ، وهو مايشار في المعجمات الى أنه من الدخيل .

ولكن اجتثاث المصطلح الاجنبي واحلال العربي محلة لم يكن بالامر الهين • فقد تطلب جهدا لم يكن له لزوم لو أن مصطلحات عربية قد اختيرت منذ البدء لتقابل تلك المصطلحات الاجنبية • والمبدأ المهم هنا هو ترجيح اختيار المصطلح العربي على تعريب الاجنبي لكون العربي يوحي الى السامع والقارىء العربي بشيء من معناه •

ويخلق تكاثر الدلالات العلمية الحديثة يوما بعد يوم حاجة متزايدة الى استحداث المصطلحات الجديدة للتعبير عنها • ويعمد اكثر الاقوام في البلاد المتقدمة الى اللغات القديمة المماتة للاستفادة منها لهذا الغرض • فيقترض الاوربيون مثلا الفاظا من اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة للاصطلاح بها على تلك الدلالات • وعندنا في اللغة العربية عشرات الالاف من الالفاظ القديمة المبثوثة في المعجمات مما لم نعد نستعمله في لغة العصر • وهي تفيدنا حتماً في وضع المصطلحات الجديدة • فلفظة (الترابة) مثلا كان يراد بها الحمل من التراب ولاتكاد تستعمل في الوقت الحاضر بهذا المعنى • وقد اصطلح بها الان لتقابل cement اي المسحوق المحروق من الالومنيا والرمل والكلس وأكسيد الحديد والمغنيسيا ، الذي يعمل منه الملاط أو الخرسانة • ولايخفى أن اللفظ المهجور الذي ضمر معناه اللغوي يضفي على المصطلح خصوصية لايوفرها اللفظ الشائع ذو المعنى اللغوي المحدد المعروف •

والترادف من طبيعة اللغات • وهو أن ترد فيها عدة الفاظ لمعنى لغوي واحد أو يكاد يكون واحدا ، كما في ألفاظ (الباحة ، والساحة، والفِناء، والعَرْصَة ، الخ) • في العربية ، أو submerge و submerse و immerge و immerse و plunge و dip و sink ، الخ •) في الانكليزية • وقد سبقت

الاشارة الى ضرورة الاقتصار على مصطلح واحد للدلالة العلمية الواحدة . غير ان للمترادفات فائدة كبيرة في وضع المصطلحات . فهي تختار لوضع المصطلحات ذات المعاني العلمية المتقاربة التي ينماز بعضها عن بعض بفروق دقيقة . فمن أمثلة المترادفات اللغوية التي اتخذت مصطلحات علمية ألفاظ (القوة ، والطاقة ، والقدرة) . فنحن نقول في التعابير اللغوية المتشابهة (ليست لدي القوة لفعل كذا ، ولاطاقة لي به ، ولا قدرة لي عليه) . ولكن (القوة) في الاصطلاح العلمي هي المؤثر الذي يغير حالة السكون او الحركة في جسم ما ، و (الطاقة) هي القابلية لانتاج شغل ، أي لازاحة جسم مسافة معينة ، و (القدرة) هي المعدل الزمني لانتاج الشغل . وكل من هذه الدلالات العلمية متميز عن سواه كما لايخفى . ويعند لفظا stress و strain في اللغة الانكليزية من المترادفات اللغوية أيضا . ولكن أولهما اتخذ مصطلحا في الفيزياء والهندسة للدلالة على (القوى الحاصلة بين اجزاء الجسم الداخلية عند وقوع قوة خارجية عليه) ، في حين أن الثاني استعمل للدلالة على (التحرف الحاصل في الجسم بفعل قوة واقعة عليه) .

ولاريب في أن أهم المستلزمات لوضع المصطلح الجيد ان تتوفر لدى واضعيه ثلاثة أمور هي : المعرفة الجيدة بالمصطلح الاجنبي ودلالته العلمية الدقيقة ، والمعرفة بدلالته اللغوية ، واتقان اللغة العربية . ويقتضي هذا في الغالب استعانة أهلِ العلم أهلَ اللغة في العمل المصطلحي ، لندرة المتمكنين من الجوانب العلمية واللغوية جميعا .

وفي جميع الاحوال يجب التزام قواعد الصرف والاشتقاق عند وضع المصطلح العلمي . فلا يجوز مثلا ان يقال (بيضوي) مع أن القاعدة توجب

ان يقال (بيضي) ، ولا يصحّ الاصرار على (الكيمياء الحياتية) في حين أن القاعدة الصرفية هي أن يقال (الكيمياء الحيوية) ، وهذه الاخيرة مستعملة في عدد من الاقطار العربية ولاتسبب لبسا • ولا يجوز أن يقال (الابعاد المقاسة ، والبضاعة المصانة ، والاعمدة المسنودة) فان قواعد الصرف توجب (الابعاد المقيسة ، والبضاعة المصونة ، والاعمدة المسندة) •

وفي وضع المصطلح يفضل عادة اختيار اللفظة المفردة لسهولة استعمالها وحفظها • غير ان هذا لايعني وجوب التعسف في التزم هذا المبدأ • فثمة مئات المصطلحات المؤلفة من كلمتين أو اكثر في جميع اللغات ، وهو أمر تستدعيه الضرورة العلمية في احيان كثيرة • ومن أمثلته في العربية : (جيب التمام ، ونصف القطر ، ودرجة حرارة الاشتعال ، والقطع المكافىء) ، وفي الانكليزية : (dead load و shock absorber و wind - shield wiper و electromagnetism) .

ويجدر بواضع المصطلح ان يتجنب النافر الوحشي من الالفاظ ، فلا يختار (المهقعة أ مثلا مع وجود (المكواة أو الكاوية) ، ولا (النقاخ) للماء الصافي مع امكان استعمال (القراح) ، وهكذا •

وفي جميع الاحوال يلزم ضبط المصطلحات بالشكل لدى كتابتها أو طبعها ونشرها ، لأمن خطأ النطق واللبس والتداخل ، فلا تصبح (الأزْمَة أزِمّة ، والكَمين كمّيْنٍ ، والوَفَيات وَفِيّات ، ومَجْمَع اللغة مَجَمّعاً) •

وفي وسائل الاشتقاق والمجاز والقياس والسماع في العربية مجالات واسعة لاختيار المصطلحات العلمية المناسبة • فالعربية من اكثر اللغات قابلية للاشتقاق ، وفيها مئات الاوزان الاشتقاقية التي يمكن أن توفر ذخيرة كبيرة من المصطلحات العلمية على وفق قواعد محددة معروفة •

فيمكن صياغة أسماء الالات والادوات قياساً من الثلاثي المتعدي بوزن (مِفعل ، ومفعال ، ومِفعلة) على غرار (المِكبَس piston ، والمسبار probe ، والمضخة pump) • وتصاغ أيضا من اللازم والمتعدي بوزن اسم الفاعل ومبالغته تذكيرا وتأنيثا ، مثل (الخانق choke ، والطائرة aeroplane ، والخطاف hook ، والدبابة tank ، والناظور binoculars والقارورة flask ، والمشع radiator ، والمحولة transformer ، والمستقبل receiver).

وقد تصاغ من فعل بنفسه بأوزان مختلفة لدلالات هي متقاربة ولكنها تتميز بفروق دقيقة ، فيقال مثــلا (العدّاد) counter و (المِعداد) abauus . ويقال (المجهر) microscope و (المجهار) loudspeaker ويقال (الناشرة) diffuser ، و (المنشار) saw ، و (المكبّر) amplifier و (المكبّرة) nagnifying glass ، وهكذا .

ويصاغ بعض أسماء الالات بوصفها ، مثل (النّضيدة) battery و (المقطورة) trailer .

وثمة صيغ أخرى لأسماء الالة تؤخذ سماعاً ، وتكثر بوزن (فِعــال) مثل (صِمام ، ولجام ، ورتاج) ، وهي أقل بأوزان أخرى كالمُخْل lever ، والرّفش spade ، والمُنْخُل sieve ، والمُكْحُلَة kohl flask ، وغيرها) ، ويمكن الاستفادة منها أيضا في الاصطلاح •

وفي العربية من الخصائص الاخرى ماييسر عمل واضع المصطلح ، من ذلك صيغتا اسم الزمان والمكان .• فيتخذ مثلا لما يقــابل swimming pool لفظ واحد هو (مَسْبَح) بدلا من حوض السباحة ، ويقال (مَغْرِب) لمعنى hour of sunset بدلا من زمن الغروب •

ومن ذلك صيغة (التعديـة) ، فتصاغ من النوم كلمة (الانامـة) putting (one) to sleep و (التنويم) making (one) sleep • وتعديـة الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة تكاد تكون قياسية عند عدم اللبس • ونقيض ذلك (ردّ المتعدي الى اللازم) باستعمال صيغة (انفعل) أو (افتعل) وهـو مايسمى (بالمطاوعـة) ، فيقال (الانتشار ، والانكسار ، والانشطار) من (النشر ، والكسر ، والشطر) ، وفي مطـاوع (التفتيت ، والتشتيت) يقال (التفتت ، والتشتت) • وهذا التفريق بين اللازم والمتعدي من الخصائص التي تتميز بها العربية عن كثير من اللغات ، فيلزم عند عمل المعجم العلمي ان يدرج في مقابـل المصطلـح الاجنبي diffusion مثلا كلا المعنيين (النشر ، والانتشار) ، ومقابل dispersion (التشتيت ، والتشتت) ، وهكذا •

ومن ذلك ايضا الدلالة على معنى (التشريك) باستعمال وزن (التفاعل) مثل (التناظر) و (التنافر) و (التجاذب) و (التعادل) ، وهو يفيد في العمليات العلمية المتبادلة • وعلى معنى (التكثير) او (التشديد) في صيغة (التفعيل) مثل (التقطيع ، والتحفير ، والتجميع) • ومعنى (الطلب) في استعمال (الالف والسـين والتاء) في مثـل (الاستعلام ، والاستفهام ، والاستعانة ، والاستدانة) •

وكل هذا بعض معاني هذه الصيغ ، وثمة معان أخرى وصيغ أخـرى كثيرة مما يفيد واضع المصطلح •

ويعبّر (المصدر الصناعي) عن مدلولات علمية كثيرة ، ويراد به وصف الاحوال والخصائص • وهو يصاغ بالحاق ياء النسبة والهاء بآخر الاسم أو المصدر او الصفة أو حتى الجمل في بعض الاحيان ، فيقال (الشعبية ، والارجحية ، والاشعاعية ، والمطيلية ، والكهربائية ، واللاأدرية) ، ومثل هذا كثير •

وتُشتقّ مصادر كثيرة من اسماء الأعيان والاعلام ، فيقال (التفضيض ، والتذهيب ، والتزفيت ، والتطبيع ، والتبلر ، والتأكسد ، والبسترة) من (الفضة ، والذهب ، والزفت ، والطبيعي ، والبلور ، والاكسجين، وباستور) •

وليست هذه سوى إشارات سريعة الى بعض ما يمكن ان يقدمه الاشتقاق والقياس والمجاز من تيسير للاصطلاح العلمي • ولاريب في آن الاستهداء بهذه المبادىء والسير على نهج هذه القواعد العامة مما يمهد لتوحيد المصطلح العلمي العربي • ولكن يظل دخول المصطلحات حيز الاستعمال من أهم وسائل غربلتها ونخلها وتوحيدها واستبقاء أنسبها فهي لاتتوحد ما دامت باقية في الدفاتر وما لم تكتمل عملية التعريب ، ولا سيما تعريب التعليم الجامعي ، في البلاد العربية جميعا •

ولايخفى أن من أقوى دعائم التوحيد ما يعقده مركز التعريب والمنظمات والاتحادات والمؤسسات العلمية ، والمجامع اللغوية واتحادها ، من ندوات ومؤتمرات يتداولون فيها ما تدرسه وتعده لجانهم من مصطلحات ويتشاورون في اختيار أحسنها • وإنّ استمرار هذه الجهات العلمية واللغوية في اصدار المعجمات الاختصاصية لما يفضي في الآخر الى توحيد المصطلح العلمي العربي ويسند مهمة التعريب • ويظل اصدار المعجم العلمي العربي الشامل الموحد هو الهدف الأهم الذي يجب العمل على بلوغه وتحقيقه • وفوق كل ذي علم عليم •

* * *

أثر ابن جني
في عبد القاهر وابن الأثير

الدكتور احمد مطلوب

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

عضو المجمع

عرف ابن جني (ـ ٣٩٢ هـ) عالماً في اللغة والنحو على الرغم من أنه ألف اكثر من ستين كتابا في موضوعات مختلفة . ويعد كتابه « الخصائص » من كنوز العربية لما فيه من مادة علمية احتفظت بجدتها ، ولاتزال ترفد الدارسين بعلم غزير . والباحث في كتبه ـ ولاسيما « الخصائص » ـ يجد مادة وفيرة في البلاغة وان جاءت تفسيراً لقضايا لغوية . وكان لهذه المادة العلمية أثـر في البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) وضياء الديـن بن الاثير (ـ ٦٣٧هـ) ، وهي مـادة أصيلة استقى منها هذان العالمان بعـض أسسهما في دراسة البلاغة .

والقضية الاولى التي اشتركوا فيهـا هي « اللفظ والمعنى » ، وهذه قضية شغلت النقاد والبلاغيين من قبل ، وذهبوا فيها مذاهب شتى ، فمنهم من مال الى اللفظ واعتنى به ، ومنهم من اهتم بالمعنى وأشاد به ، ومنهم من أخذ بالنظم مقتدياً بالمعتزلة الذين قالوا بالنظم وعلى رأسهم الجاحظ (ـ ٢٥٥هـ) الذي عدّ النسج والتصوير أساس الابداع ، قال وهو يتحدث عن أبي عمرو الشيباني : « وذهب الشـيخ الى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحـة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة المـاء ، وفي صحة الطبع

وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير »[1] .

ومنهم محمد بن يزيد الواسطي (— ٣٠٦هـ) صاحب كتاب « اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » ، وحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (— ٣٨٨هـ) الذي ذهب الى أن بلاغة كتاب الله العزيز ترجع الى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس[2] .

ووقف ابن جني عند قضية « اللفظ والمعنى » وذهب الى أن المعنى هو الاساس ، لانه أقوى . ولا يعني ذلك أن اللفظ لاقيمة له ، فقد أولته العرب اهتماماً كبيراً واعتنت به عناية عظيمة ، قال : « ان العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى ، وبالاسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها ، فان المعاني أقوى عندها واكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها »[3] . فالمعنى عند ابن جني أقوى واكرم وأفخم ، ولكن العرب لم يهملوا الالفاظ وانما اعتنوا بها « فأول ذلك عنايتها بالفاظها ، فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقاً الى اظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ، ورتبوها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها في السمع ، وأذهب بها في الدلالة على القصد »[4] . فاهتمامهم باللفظ كان من أجل المعنى واظهاره بأجلى صورة وأبهى منظر ، « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا ترين أن العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ بل هي عندنا خدمة

---

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ — ١٣٢ .

(١) ينظر مناهج بلاغية ص ٣٩ وما بعدها للوقوف على التفاصيل .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢١٥ .

(٤) الخصائص ج ١ ص ٢١٥ — ٢١٦ .

منه للمعاني وتنويه بها وتشريف منها . ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه ، وانما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بشره ويعر[5] جوهره ، كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة »[6] .

وانتهى الى أن العرب انما « تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان من الشعر لحكماً ، وان من البيان لسحرا » ، فاذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكاً للقلوب وسبباً وسلماً الى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم ـ لاشك ـ أشرف من الخادم »[7] . وبذلك حسم القضية ، وأكد أن المعنى هو الاصل ، ولكن لابد من تهذيب اللفظ وتنقيته ، وتخير حسنه وجميله ، ليخرج المعنى بأحسن صورة وأحلى حلة . وهذا يعني اهتمام العرب باللفظ والمعنى معا ، وعدم الفصل بينهما وان صرح بعضهم بخلاف ذلك .

وأراد ابن جني أن يضع مثالا حيا للحكم على صحة ما ادعى فجاء بالبيتين المشهورين :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطي الاباطح

(5) يعر : يعيب .
(6) الخصائص ج ١ ص ٢١٧ .
(7) الخصائص ج ١ ص ٢٢٠ .

وكان ابن قتيبة (ــ ٢٧٦هـ) قد جاء بهما مع بيت آخر بينهما[٨] مثالا للكلام الذي حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لـم تجد هناك فائـدة في المعنى » ، وقال : « هذه الالفاظ كما تـرى أحسن شيء مخارج ومطالـع ومقاطع ، واذا نظرت الى ماتحتها من المعنى وجدته : ولمـا قطعنا أيـام منى واستلمنا الاركان وعالينا ابلنا الانضـاء ، ومضى النـاس لا ينظر الغـادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الابطح • وهذا الصنف في الشعر كثير »[٩] • وليس هذا بالحكم الدقيق لان في الابيات الثلاثة معنى رفيعاً لايحس به ويهتز له الا من أدى مناسك الحج وطاف طواف الوداع وأخـذ يشد رحاله على حدب المهاري ، ويتجه الى أهله وذويه ، وكله شوق الى لقاء الاحبة بعد أن كرمه الله ومن عليه بالعمرة والحج •

ووقف ابن جني عند رأي ابـن قتيبة ولم يذكر اسمه ، وقال : « فان قلت : فانا نجـد من ألفاظهم ماقد نقوه وزخرفوه ووشوه ودبجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفاً بل لانجده قصداً ولا مقاربا • ألا تـرى الى قوله : « ولما قضينا ••• البيتان » فقد ترى الى علو هذا اللفظ ومائه وصقاله وتلامح أنحائه ومعناه مع هذا ماتحسه وتراه ، انما هو : لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل • ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ رفيعتها مشروفـة المعاني خفيضتها »[١٠] • وهذا معنى كلام ابـن قتيبة الذي لم ير في الشعر حسنا الا لما في ألفاظه من رونق وحلاوة ، وعذوبة وطلاوة • ولم يأخذ ابن جني بهذا الرأي ، وانما قال : ان « هذا الموضع قد سبق الى التعلق به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما أراه القوم منه ، وانمـا

(٨) هو :

وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائـح

(٩) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ـ٦٧ •

(١٠) الخصائص ج ١ ص ٢١٧ ــ ٢١٨ •

ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق » . ثم مضى يوضح مافي الشعر من روعة معنى وجمال لفظ وبديع نسج فقال : « وذلك ان في قوله :« كل حاجة » مايفيد منه أهل النسيب والرقة وذوو الاهواء والمقة مالا يفيده غيرهم ولا يشاركهم فيه من ليس منهم . ألا ترى أن من حوائج منى أشياء كثيرة غيرها الظاهر عليه والمعتاد فيه سواها ، لان منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به . وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أومأ اليه وعقد غرضه اليه بقوله في آخر البيت : « ومسح بالاركان من هو ماسح » أي : انما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها من هذا النوع الذي هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار في القربة من الله مجراه . أي : لم يتعد لهذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح »[11] . وهذا تخلص بديع في تفسير الشعر اذ ان الشطر الاول : « ولما قضينا من منى كل حاجة » يوهم ويثير تخيلا قد يكون بعيداً عن القصد ، فلما قال : « ومسح بالاركان من هو ماسح » وضع المعنى في نصابه ، وقيده بعد أن كان مطلقا يذهب الظن فيه كل مذهب .

ووقف ابن جني عند البيت الاخير وقال : « وفي هذا ما أذكره لتراه فتعجب ممن لكان عجب منه ووضع معناه ، وذلك انه لو قال : «أخذنا في أحاديثنا» ونحو ذلك لكان فيه معنى يكبره أهل النسيب وتعنو له ميعة الماضي الصليب ، وذلك انهم قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الاليفين والفكاهة بجمع شمل المتواصلين . الا ترى الى قول الهذلي :

وان حديثاً منك لو تعلمينه

جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

---

(11) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

وقال آخـر :

وحديثهـا كالغيـث يســمعه
راعـي ســنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيـاً
ويقول من فـــرح : هياربـا

وقال آخـر :

وحدثتني ياســعد عنهـا فزدتني
جنوناً فزدني من حديثـك ياسـعد

وقال المولد :.

وحديثها السحر الحـلال لو انـه
لـم يجن قتـل المسـلم المتحـرز

الابيات الثلاثة[١٢] . فاذا كان قدر الحديث مرسلا عندهم هذا علـى ماترى فكيف به اذا قيده بقوله : « باطراف الاحاديث » وذلك ان في قوله : « أطراف الاحاديث » وحيا خفيا ورمزا حلوا . الا انه يريد بأطرافها مايتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والايمـاء دون التصريح ، وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهـة وكشفا ومصارحة وجهرا . واذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم تقدما في نفوسهم من لفظهما ، وان عذب موقعه وأنق له مستمعه . نعم وفي

(١٢) هي في ديوان ابن الرومي ج ٣ ص ١١٦٤ ، والبيتان الآخران :
شرك النفـوس وفتنـة ما مثلهـا
للمطمئـن وعقلـة المستوفـز
ان طال لم يملك وان هي اوجـزت
ود المحـدث انهـا لـم توجـز

قوله : « وسالت باعناق المطي الاباطح » من الفصاحة مالاخفاء به ، والامر في هذا أسير ، وأعرف ، وأشهر »[١٣] .

أين عبارة ابن قتيبة المقتضبة التي أذهبت روعة المعنى وجماله من هذا التحليل ؟ ان ابن جني في موقفه هذا يدل على دقة في الفهم ورقة في الذوق وبراعة في التفسير ، لانه لم يسلك مسلكاً نحويـا وانما اعتمد على الذوق وما يثير النص في نفس المتلقي من معنى ومشاعر شتى .

وكان لهذه النظرة الادبية صدى واضح في عبد القاهر الذي وقف من هذا الشعر موقف ابن جني ووجد فيه مالم يجده ابن قتيبة من قبل . وكان اعتماده في الشرح على مايثير النص من خيال وما يوحي من معنى مستنداً الى روح البلاغة العربية في التحليل . قال : « فانظر الى الاشعار التي أثنوا عليها من جهة الالفاظ ووصفوها بالسلاسة ونسبوها الى الدماثة ، وقالوا : كأنها الماء جرياناً ، والهواء لطفا ، والرياض حسنا ، وكأنها النسيم ، وكأنها الرحيق مزاجهـا التسنيم ، وكأنها الديباج الخسرواني في مرامي الابصار ووشي اليمن منشورا على أذرع التجار »[١٤] . وهذه اشارة الى ابن قتيبة ، ثم قال بعد أن ذكر الابيات الثلاثة : « ثم راجع فكرتك واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا الا الى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع ، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الاذن ، والا الى سـلامة الكلم من الحشو غير المفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التجديد ، وشيء داخـل المعاني المقصودة مداخلـة الطفيلي الذي يستثقل

(١٣) الخصائص ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .
(١٤) أسرار البلاغة ص ٢١ .

مكانه ، والاجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع الى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها واعتمد دليل حال غير مفصح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح » . وأخذ يوضح سبب الحسن والروعة في الشعر فقال : « وذلك ان أول مايتلقاك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه ان يقصر معه اللفظ وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله : « ومسح بالاركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذي هو آخر الامر ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا » فوصل بذكر مسح الاركان ماوليه من زم الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة « الاطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ماهو عادة المتطوفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط ، وفضل الاغتباط كما توجبه ألفة الاصحاب وأنسة الاحباب ، وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الاياب ، وتنسم روائح الاحبة والاوطان واستماع التهاني والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك كله. باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه . فصرح أولا بما أومأ اليه في الاخذ بأطراف الاحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حالة التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطاءة الظهر ، اذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الاباطح ، وكان في ذلك مايؤكد ماقبله ، لان الظهور اذا كانت وطيئة وكان سيرها السير السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » لان السرعة

والبطء يظهران غالبا في أعناقها ويبين أمرهما من هواديها وصدورها ، وسائر أجزائها تستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط اذا كان في أنفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في المقاديم • فقل الان هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ولو ذكرت على الانفراد وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه ، وحتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي — وان ازدادت حسنا بمصاحبة اخواتها ، واكتسبت بهاءا بمصاحبة أترابها — فانها اذا جليت للعين فردة وتركت في الخيط فذة لم تقدم الفضيلة الذاتية والبهجة التي في حسنها مطوية .•

والشذرة من الذهب تراها بصحبة الجواهر لها في القلادة واكتنافها لها في عنق الغادة ، وصلتها بريق حمرتها والتهاب جوهرها بأنوار تلك الدرر التي تجاورها ولألاء اللآلىء التي تناظرها تزداد جمالا في العين ولطف موقع من حقيقة الزين • ثم هي اذا حرمت صحبة تلك العقائل ، وفرق الدهر الخؤون بينها وبين هاتيك النفائس لم تعر من بهجتها الأصلية ، ولم تذهب عنها فضيلة الذهبية • كلا ليس هذا بقياس الشعر الموصوف بحسن اللفظ ، وان كان لايبعد أن يتخيله من لاينعم النظر ولايتم التدبر ، بل حق هذا المثل أن يوضع في نصرة بعض المعاني الحكيمة والتشبيهية بعضا ، وازدياد الحسن فيها بأن يجامع شكل منها شكلا ، وان يصل الذكر بين متدانيات في ولادة العقول اياها ومتجاورات في تنزيل الافهام لها» •

فالحسن في الشعر لايرجع الى الالفاظ وانما الى شبكة العلاقات بينها وهو ماسماه عبدالقاهر بالنظم ، ولو أخذت ألفاظ الأبيات منفردة لم يكن لها هذا الحسن • فالنظم هو الذي أكسب الأبيات مزية وفضلا ، وأظهر معناها وجلاه ، وكان للاستعارة موقع حسن ، ولولا النظم لم يكن لها هذا الحسن ،

ولم تصبح من الخاص النادر الذي لايـوجد الا في كلام الفحول . وتعمق عبدالقاهر في ايضاح هذه المسألة فقال في : « وسالت باعناق المطي الأباطح» : « أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها»[١٥] . وليست الغرابة في هذه الاستعارة لان جعل الشاعر «المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح ، فان هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها بان جعل « سال » فعلا للاباطح ، ثم عداه بالباء بـأن أدخل « الاعناق » في البين ، فقال : « بأعناق المطي » ولم يقل : « المطي » . ولو قال : « سالت المطي بالاباطح » لم يكن شيئا »[١٦] .

وهذه خطوة واسعة تضاف الى خطوة ابن جني ، فقد أخذ عبدالقاهرطرف السلك ثم مضى يسلك فيه الدر النضيد ، ويظهر روعة الأبيات وجمـالها . وكان من أثر هذه الخطوة أن نظر الى اللفظ والمعنى نظرة ثاقبة ، ورأى أنهما يكونان نسيج النص وهو ماسماه بالنظم ، ولكنه ــ كابن جني ــ رأى أن الالفاظ خدم للمعاني وبنى تصوره البلاغي والنقدي على هـذا الأسـاس ولذلك لم يقف عند شروط فصاحة اللفظة كما فعل ابن سـنان الخفاجي[١٧] وانما اهتم بصياغة الكلام وقال : ان الالفاظ رموز للمعاني التي تدل عليهـا هذه الرموز أي انها علامات للاشارة الى شيء ما ، وكرر القول بان الالفـاظ خدم للمعاني وأوعية ليزيل شبهة علقت بالاذهان وهي أن للالفاظ مزيـة وان كانت منفردة . قال : « اذ الالفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان

---

(١٥) دلائل الاعجاز ص ٧٤ .
(١٦) دلائل الاعجاز ص ٧٥ ــ ٧٧ ، وتنظر ص ٢٩٤ ــ ٢٩٦ .
(١٧) تنظر شروط الفصاحة في سر الفصاحة ص ٦٥ وما بعدها .

كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته »[١٨] • ولايعني هذا انه أهمل الالفاظ اهمالا تاماً ، فهو يؤمن بجمالها وروعتها ، قال : «واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وانما الذي ننكره ونفيّل[١٩] رأي من يذهب اليه ان يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل والعمدة»[٢٠] أي انه لاينكر فصاحة الالفاظ ونعمها كل الانكار ، ولكنه لايدخلها في تفسير الاعجاز ، ولذلك لم يدرسها على انفراد كابن سنان ، لان النظم هو الأساس أي النسج والتصوير ، وبه كان القرآن الكريم معجزا •

ولم ينتفع ابن الاثير بخطوتي ابن جني وعبدالقاهر في تفسير الشعر ، واكتفى بنقل كلام ابن جني نقلا وانتهى الى ما انتهى اليه السابق وهو ان « الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم ــ لاشك ــ أشرف من الخادم »[٢١] ، وهذا رأي ابن جني وكلامه ، ولكنه لم يشر اليه ، ليوهم ان تحليل الأبيات والنتيجة من بنات أفكاره •

ويتصل بقضية اللفظ والمعنى موضوع الحكم على المعاني والترجيح بينها ، وكان ابن جني قد تعرض له في مقدمة شرح ديوان المتنبي فقال في البيت :

نهبت من الاعمار ما لو حويته   لهنئت الدنيا بانك خالد

« فهذا هو المدح الموجه ؛ لانه كرّ آخره على أوله بقوله : « لهنئت » ».

وقال في البيت :

وما زال أهل الارض يشتبهون لي   اليك فلما لحت لي لاح فرده

(١٨) اسرار البلاغة ص ٨ .

(١٩) فيل رأيه : قبحه وخطأه لفساده .

(٢٠) دلائل الاعجاز ص ٥٢٢ .

(٢١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٣٥٢ وما بعدها ، الجامع الكبير ص ٧٠-٧٢.

« هذا بيت يحتمل معنيين : مدحاً وهجاءاً »[٢٢] .

وبنى ابن الاثير فصل « الحكم على المعاني » والترجيح بينها على هذه الفكرة ، وأشار الى قراءة ابن جني ديوان المتنبي على الشاعر فقال : « وحكى ابو الفتح ابن جني قال : قرأت على أبي الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التي أولها : «أغالب فيك الشوق والشوق أغلب » فأتيت منها على هذا البيت وهو :

وما طربي لما رأيتك بدعة　　　لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له : يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبا زنة ، فضحك لقولي»[٢٣] . ثم قال : «وهذا القسم من الكلام يسمى « الموجّه » أي له وجهان ، وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه » . وهذه عبارة مقطوعة من كلام ابن جني ، وهي توهم بان التسمية له في حين أنها للسابق .

ويتصل بهذه القضية أيضا موضوع «قوة اللفظ لقوة المعنى» وكان ابن جني قد عقد له باباً وقال انه : «فصل من العربية حسن ، ومنه قولهم : « خَشُنَ » و «اخشَوشَنَ» . فمعنى «خَشُنَ» دون معنى « اخشوشن » لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ...

وكذلك قولهم : « أعشب المكان » فاذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : « اعشوشَبَ » ومثله : « حلا » و «احلولى» و «خَلُقَ» و « اخلولق » ، و « غَدِنَ » و « اغدودن »[٢٤] . ومثله باب « فعل وافتعل» نحو «قدر واقتدر» ، فاقتدر أقوى من قولهم : « قدر »[٢٥] . ثم قال « ومن ذلك أيضا قولهم : «رجل جميل» و « وضيء » فاذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا

---

(٢٢) الفسر ج ١ ص ٢٥ .
(٢٣) المثل السائر ج ١ ص ٣٥ . ابوزنة : كنية القرد .
(٢٤) خلق : كان خليقا وجديرا . اغدودن : لان ، والغدن : اللين .
(٢٥) الخصائص ج ٣ ص ٢٦٤ .

« وُضّاء » و « جُمّال » فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه»[٢٦]، وانتهى الى أن الألفاظ أدلة المعاني فاذا « زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به » [٢٧].

ولم يعن عبدالقاهر بمثل هذا الموضوع، لانه نظر الى اللفظة من خلال السياق، فهي تكتسب الفضيلة أو تفقدها بانضمامها الى الألفاظ الأخرى مكونة جملا وعبارات. ووقف ابن الاثير عند هذه المسألة وعقد فصلا في « قوة اللفظ لقوة المعنى »، وقال ان هذا النوع « قد ذكره أبو الفتح ابن جني في كتاب الخصائص، الا انه لم يورده كما أوردته أنا، ولانبه على ما نبهت عليه من النكت التيتضمنته » [٢٨]. والحق انه لم يخرج عن ابن جني كثيرا، فقد بدأ بحثه بما انتهى اليه السابق، قال: « اعلم ان اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلابد من ان يتضمن من المعنى اكثر مما تضمنه أولا، لان الالفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للابانة عنها، فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لانزاع فيه لبيانه، وهذا النوع لايستعمل الا في مقام المبالغة »، وهذا ماختم به ابن جني كلامه. ثم بدأ ابن الاثير بما بدأ به ابن جني وذكر من الامثلة «خشن» و «اخشوشن» و «أعشب» و «اعشوشب» و «قدر» و «اقتدر» وقوله تعالى: «فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر»[٢٩]، وأضاف أمثلة شعرية لم يذكرها ابن جني.

والقضية الثانية التي اشترك فيها الثلاثة هي « المجاز » وقد عقد له ابن جني في الخصائص باباً في الفرق بينه وبين الحقيقة، وباباً في أنه اذا اكثر لحق بالحقيقة، وباباً في اقرار الالفاظ على أوضاعها الاول مالم يدع داع الى

(٢٦) الخصائص ج ٣ ص ٢٦٦ .
(٢٧) الخصائص ج ٣ ص ٢٦٨ .
(٢٨) المثل السائر ج ٢ ص ٦٠، وينظر الجامع الكبير ص ١٩٣ .
(٢٩) القمر، الآية ٤٢ .

الترك والتحول [٣٠]. وهذه من المسائل التي شغلت البلاغيين والنقاد، وكان عبدالقاهر قد وقف عندها طويلا وخاض في شعابها. وليس فيما ذكره ابن جني الا ملامح عامة، ولعل أهم مسألة تشير الانتباه هي قوله: «وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة هي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فان عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[٣١]. وذكر أمثلة وضح فيها هذا المعنى، وهذا ما قال به البلاغيون ومنهم عبدالقاهر، الا ان ابن الاثير رفض ما قاله ابن جني وفند قوله على الرغم من أنه قال: «والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين: توسع في الكلام، وتشبيه»[٣٢]، وانه أخذ بتقسيم ابن جني في كتابه «الجامع الكبير» وقال: «واعلم أنما يعدل عن الحقيقة الى المجاز لمعان ثلاثة وهي: الاتساع، والتشبيه، والتوكيد فان عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[٣٣]. وهو ما ذكره ابن جني، ولم يعلق عليه، ولكنه انتقده في «المثل السائر»، وكان السابق قد قال في قوله تعالى: «وأدخلناه في رحمتنا»[٣٤]: «أما السعة فلانه كأنه زاد في اسماء الجهات والمحال اسما هو الرحمة، وأما التشبيه فلانه شبه الرحمة — وان لم يصح دخولها — بما يجوز دخوله، فلذلك وضعها موضعه، وأما التأكيد فلانه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، وهذا تعال بالعرض

(٣٠) ينظر الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥٧. وكانت عند ابن جني فكرة وضع كتاب في المجاز، ولكنه عدل عنه لضيق الوقت. (ينظر التمام ص ١٣١).

(٣١) الخصائص ج ٢ ص ٢٤٢. قال في التمام ص ١٣٠ — ١٣١: «ولاتترك الحقيقة الى المجاز الا لضرب من المبالغة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المجاز».

(٣٢) المثل السائر ج ١ ص ٣٥٦.

(٣٣) الجامع الكبير ص ٣٠.

(٣٤) الأنبياء، الآية ٧٥.

وتفخيم منه ، اذ صير الى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين »[٣٥] .

قال ابن الاثير : «والنظر يتطرق اليه من ثلاثة أوجه :

الأول : انه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز ، بل وجود واحد منها سببا لوجوده . ألا ترى أنه اذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا ، واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا ، ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه ...

وأما الوجه الثاني فانه ذكر التوكيد والتشبيه وكلاهما شيء واحد على الوجه الذي ذكره ...

وأما الوجه الثالث فانه قال : « أما الاتساع فانه زاد في اسماء الجهات والمحال كذا وكذا » . وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب ، لانه ينبغي على قياسه أن يكون «جناح الذل » في قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل »[٣٦] زيادة على أسماء الطيور ، وذلك انه زاد في اسماء الطيور اسما هو الذل ... » [٣٧] .

وهذا تمحل من ابن الاثير ، لان ابن جني لم يقل باجتماع المعاني الثلاثة لكي يقع المجاز ، وانما هي أنواع له أو أغراض ، والتوكيد ليس التشبيه وان كان التشبيه يؤتى به للتوكيد ، وقياس « جناح الذل » على « الرحمة » غير دقيق لانه ليس كل شيء يحمل على المجاز .

ويتصل بالمجاز التشبيه المقلوب في رأي من يدخل التشبيه في المجاز ، وقد عقد له ابن جني باباً سماه « غلبة الفروع على الاصول » وقال : « هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني

(٣٥) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٣ .
(٣٦) الاسراء ، الآية ٢٤ .
(٣٧) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٦ وما بعدها .

الأعراب ، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك الا والغرض فيه المبالغة »[٣٨] . ومن ذلك قولَ ذي الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته اذا ألبسته المظلمات الحنادس

« أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلا ، وذلك ان العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء » [٣٩] .

وهذا اللون من التشبيه كثير في العربية، وقد وقف عنده عبدالقاهر وقال وهو يوازن بين التشبيه والتمثيل : « وذلك جعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهو اذا استقريت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها ، وذلك نحو انهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول فترى الشيء مشبها مرة ومشبها به أخرى » [٤٠]. وذكر له أمثلة كثيرة ووقف عندها طويلا ، ثم ذكر مثالا للتمثيل وهو قول الشاعر :

وكأن النجوم بين دجاه سُنَنٌ لاح بينهن ابتداعُ

فتشبيه السنن بالنجوم تمثيل ، والشبه عقلي ، ولكن الشاعر عكس فشبه النجوم بالسنن . وطريقة العكس هنا « لاتجيء في التمثيل على حدها في التشبيه الصريح ؛ وانها اذا سلكت فيه كان مبنيا على ضرب من التأول والتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً ظاهراً ويبعد عنه بعداً شديدا . فالتأويل في البيت انه لما شاع وتعورف وشهر وصف السنة ونحوها بالبياض والاشراق ، والبدعة بخلاف ذلك كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها » وقيل : «هذه حجة بيضاء » وقيل للشبهة وكل ماليس بحق : « انه مظلم » وقيل : « سواد الكفر » و « ظلمة الجهل »

(٣٨) الخصائص ج ١ ص ٣٠٠ .
(٣٩) الخصائص ج ١ ص ٣٠٠ .
(٤٠) أسرار البلاغة ص ١٨٧ .

يخيل انالسنن كلها جنس من الأجناس التي لها اشراق ونور وابيضاض في العين ، وان البدعة نوع من الانواع التي لها فضل اختصاص بسواد اللون فصار تشبيهه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع على قياس تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، أو بالانوار وائتلاقها بين النبات الشديد الخضرة . فهذا كله ههنا كأنه ينظر الى طريقة قوله :

وبدا الصباح كأنَّ غرَّته   وَجْهُ الخليفة حين يُمتَدَحُ

في بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر . الا ان التأويل هناك انه جعل في وجه الخليفة زيادة من النور والضياء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد ، والتأويل ههنا انه خيل ماليس بمتلون كأنه متلون ثم بنى على ذلك »[٤١] . فالفرع قد يجعل أصلا ، والاصل قد يجعل فرعا في التمثيل ايضاً ، ولكن على ضرب من التأول والتخييل .

وتحدث ابن الاثير عن هذا اللون من التشبيه وقال : «واعلم أن من التشبيه ضربا يسمى « الطرد والعكس » وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً ، والمشبه مشبها به ، وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الاصول ، ولا تجد شيئاً من ذلك الا والغرض منه المبالغة [٤٢] . وهذا كلام ابن جني نفسه ، ثم ذكر بيت ذي الرمة : «ورمل كأوراك ...»[٤٣] وعلق عليه بعبارات ابن جني فقال : « ألا ترى الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا ؟ وذلك أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء ، وهو مطرد في بابه فعكس ذو الرمة القصة في ذلك فشبه كثبان الانقاء باعجاز النساء ، وانما فعل

---

(٤١) اسرار البلاغة ص ٢٠٩ .
(٤٢) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١ ، وينظر الجامع الكبير ص ٩٧ .
(٤٣) في المثل السائر : « ورمل كارداف ... »وفي الجامع الكبير : « ورمل كأوراك ... » .

ذلك مبالغة ، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل حتى شبهت به كثبان الأنقاء »(٤٤) .

واشار الى كلام ابن جني على «غلبة الفروع على الاصول » وقال : «وهذا قد ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه الخصائص وأورده هكذا مهملا »(٤٥) . والحقيقة ان كلام ابن جني كان مفصلا وفيه أمثلة كثيرة بخلاف كلام ابن جني الذي اقتصر على ثلاثة أبيات كان ابن جني قد ذكر منها اثنين.

والقضية الثالثة هي «البناء اللغوي » ويراد به تركيب الجملة وما يطرأ عليها من تغيرات توثر في المعنى . وقد عقد ابن جني بابا سماه «شجاعة العربية »(٤٦) ، وتحدث فيه عن الحذف ، والزيادة ، والتقديم ، والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف . ولاتكاد تخرج معالجته لهذه الموضوعات عن معالجة النحاة ، فهو يذكر حذف الجملة والمفرد والحركة ، ويتعرض للتقديم والتأخير ، ويتحدث عن الفروق والفصول كالفرق بين المضاف والمضاف اليه، والفصل بين الفعل والفاعل بالأجنبي . ولم يفصل القول في هذه الأنواع ، ولم ينبه على ماتثيره من معان ، وكان عبدالقاهر قد أولى هذه الموضوعات عناية كبيرة في كتابه «دلائل الاعجاز » وكانت تعليقاته على النصوص تنطق بما يشف عما تحت التركيب ، فكانت دراسته هذه أعظم إنجاز لغوي في العربية .

وعقد ابن الاثير فصلا في «التقديم والتأخير » وفصلا في «الايجاز»(٤٧) وقد اتسمت دراسته بالطابع الأدبي وغلبة الذوق على القاعدة ، وكاناكثر

---

(٤٤) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١ .
(٤٥) المثل السائر ج ١ ص ٤٢٢ .
(٤٦) ينظر الخصائص ج ٢ ٣٦٠ وما بعدها .
(٤٧) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ٣٨ ، ٧١ ، والجامع الكبير ص ١٠٨ ، ١٢٢ .

توفيقاً من ابن جني في معالجة هذه الموضوعات ، لانه لم يقف عند قواعد النحو ، وانما اهتم بما توحي الاساليب من معنى يؤثر في النفس . وقد وافق ابن جني في تسمية هذه الموضوعات « شجاعة العربية » وبحث ستة منها بهذا العنوان وهي : الالتفات ، والاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي ، [48] وعكس الظاهر ، والحمل على المعنى ، والتقديم والتأخير ، والاعتراض[49] . ثم عاد وأطلق « شجاعة العربية » على الالتفات وحده «لان الشجاعة هي الاقدام ، وذلك ان الرجل الشجع يركب مالا يستطيعه غيره ويتورد مالا يتورده سواه ، وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات » [50] .

واطلاق « شجاعة العربية » على غير الالتفات كما فعل ابن جني في « الخصائص » وابن الاثير في «الجامع الكبير » اكثر شمولا ، فهو يضم الحذف ، والزيادة ، والتقديم ، والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف[51] كما يشمل المجاز لان منه كثيرا من « باب الشجاعة في اللغة من الحذوف والزيادات ، والتقديم ، والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف »[52] . ولعل أقرب مفهوم معاصر له هو « الانزياح » الذي يحدث عند الخروج عن المعاني الحقيقية للالفاظ والتراكيب النحوية المعهودة .

ويتصل بالتركيب اللغوي « الاعتراض » وقد عقد له ابن جني باباً وقال : « اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر

(٤٨) بحث ابن الاثير الالتفات في المثل السائر ج ٢ ص ٤ ، وقسمه ثلاثة أقسام: الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ـ الرجوع عن المستقبل الى فعل الأمر ـ الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل .
(٤٩) ينظر الجامع الكبير ص ٩٨ وما بعدها .
(٥٠) المثل السائر ج ٢ ص ٤ .
(٥١) الخصائص ج ٢ ص ٣٦٠ .
(٥٢) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٦ .

ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لايشنع عليهم ولا يستنكر عندهم ان يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك مما لايجوز الفصل فيه بغيره الاشاذاً أو متأولا »(٥٣) ومن ذلك قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم »(٥٤) ، وفيه اعتراضان :

أحدهما : قوله : « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » لانه اعتراض به بين القسم الذي هو قوله : « فلا أقسم بمواقع النجوم » وجوابه الذي قوله : « انه لقرآن كريم » .

الثاني : وفي هذا الاعتراض نفسه اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو « قسم » وصفته التي هي « عظيم » ، وهو قوله : « لو تعلمون » . قال ابن جني : « فذانك اعتراضان كما ترى ، ولو جاء الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، انه لقرآن كريم ، وانه قسم عظيم لو تعلمون » .

ومنه اعتراض : « والحوادث جمة » بين الفعل وفاعله في قول امرىء القيس :

ألا هل أتاها ــ والحوادث جمة ــ
بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

ومنه اعتراض : « وأبيك » بين الموصول والصلة في قول الشاعر :

ذاك الذي ــ وأبيك تعرف مالك والحق يدفع ترّهات الباطلِ

ومنه الاعتراض بين الفعل ومفعوله . وبين المفعول الاول والثاني . وبين اسم ان وخبرها ، وبين المضاف والمضاف اليه . وبين المبتدأ وخبره . والاعتراض

(٥٣) الخصائص ج ١ ص ٣٣٥ .
(٥٤) الواقعة ، الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

«في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، ودل على فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفسه ، وقد رأيته في أشعار المحدثين ، وهو في شعر ابراهيم بن المهدي اكثر منه في شعر غيره من المولدين »[٥٥] .

وعقد ابن الاثير للاعتراض فصلا ، وقال ان « بعضهم يسميه الحشو »[٥٦] وأشار الى أن « الجائز منه وغير الجائز انما يؤخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى فيها » ولذلك لم يتطرق اليه لان كتابه « موضوع لمن استكمل معرفة ذلك » وليس المراد ههنا « من الاعتراض الا مايفرق بين الجيد والرديء ، لاما يعلم به الجائز وغير الجائز » ولذلك ضمن كتابه الكلام على الاعتراض الذي شمل وصفي الفصاحة والبلاغة فقط[٥٧] . وكأن ابن الاثير يعرض في هذا الكلام بابن جني الـذي نظر الى الموضوع نظرة نحوية . ثم قسم الاعتراض قسمين :

الاول : لايأتي في الكلام الا لفائدة ، وهو جار مجرى التوكيد ، وهذه عبارة ابن جني : « وهو جار عند العرب مجرى التوكيد » . ثم ذكر مثالا له الايات التي استشهد بها ابن جني ، وقال ان فيها اعتراضين ، وبيّنهما كما ذكرهما ابن جني ، وختم كلامه بعبارة السابق نفسها : « فذانك اعتراضان كما ترى » وأضاف اليه فائدة هذا الاعتراض فقال : « انما هي تعظيم لشأن المقسم به في نفس السامع ، ألا ترى الى قوله : « لو تعلمون » اعتراضا بين الموصوف والصفة ، وذلك الامر بحيث لو علم وفي حقه من التعظيم ، وهذا مثل قولنا : « ان هذا الامر لعظيم بحيث لو تعلم يافلان عظمته لقدرته حق قدره » فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ، ويظل متطلعا الى معرفة عظمه » .

---

(٥٥) الخصائص ج ١ ص ٣٤١ .
(٥٦) المثل السائر ج ٢ ص ١٨٣ .
(٥٧) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ١٨٤ ، الجامع الكبير ص ١١٨ .

وذكر آيات اخرى ، وأشار الى فائدة الاعتراض فيها ، ثم ذكر أبياتا شعرية ، ونبه على مافيها من اعتراض •

الثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا وفي المعنى فسادا ، وهو مما يبحث في التقديم والتأخير ، ومن ذلك قول بعضهم :

فقد ــ والشك ــ بين لي عناء
بوشك فراقهم صرد يصيح

قال : « فان في هذا البيت من رديء الاعتراض ما أذكره لك ، وهو الفصل بين « قد » والفعل الذي هو « بين » ، وذلك قبيح لقوة اتصال « قد » بما تدخل عليه من الافعال • ألا تراها تعد مع الفعل كالجزء منه ، ولذلك ادخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى : « ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك »[٥٨] وقوله تعالى : « ولقد علموا لمن اشتراه »[٥٩] ، وقول الشاعر :

ولقد أجمع رجليّ بها
حذر الموت واني لفرور

الا ان فصل بين « قد » والفعل بالقسم فان ذلك لابأس به ، نحو قولك : « قد ــ والله ــ كان ذاك » • وقد فصل في هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذي هو « الشك » وبين الخبر الذي هو عناء بقوله : « بين لي » ، وفصل بين الفعل الذي هو « بين » وبين فاعله الذي هو « صرد » بخبر المبتدأ الذي هو « عناء » فجاء معنى البيت كما تراه كانه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها الى مكان بعض »[٦٠] •

وكان ابن جني قد وقف عند هذا البيت في باب الضرورة وقال :

(٥٨) الزمر ، الآية ٦٥ .
(٥٩) البقرة ، الآية ١٠٢ .
(٦٠) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٠ ، الجامع الكبير ص ١٢١ .

« أراد « فقد بين لي صرد يصيح بوشك فراقهم والشك عناء » • فقد ترى الى مافيه من الفصول التي لاوجه لها ولا شيء منها »[٦١] • فهذا في الشعر جائز الا انه لايستساغ في النثر والى هذا أشار ابن الاثير بقوله : « واعلم أن الناثر في استعمال ذلك اكثر ملامة من الناظم ، وذاك ان الناظم مضطر الى اقامة ميزان الشعر ، وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن في مثل هذه الورطات ، وأما الناثر فلا يضطر الى اقامة الميزان الشعري بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ، ولهذا اذا اعترض في كلامه اعتراضا يفسده توجه عليه الانكار وحق الذم »[٦٢] • ولعل الوقوف على البيت المنسوب الى الفرزدق وهو :

وما مثله في الناس الا مملكا
أبو أمه حي أبوه يقاربه

يوضح الاتفاق والاختلاف بين هؤلاء الثلاثة الاعلام ، وكان ابن جني قد ذكره وعلق عليه بقوله : « انما جاز مافيه من الفصل بين ما لايحسن فصله لضرورة الشعر »[٦٣] ، وقوله : « ومراده فيه معروف وهو فيه غير معذور »[٦٤] • وقوله : « وحديث مافيه معروف فلندعه ولنعد عنه »[٦٥] • وان الفصل في البيت بين أجزاء الكلام أدى الى التعقيد وهو ضرورة شعرية ، ولا يدل هذا على ضعف الشاعر وانما قد يكون لانفعاله • ولابن جني تعليل طريف قال : « فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورة على قبحها وانخراق الاصول بها ، فاعلم أن ذلك على ماجشمه منه وان دل من وجه

(٦١) الخصائص ج ١ ص ٣٣٠ .
(٦٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٩١ ، الجامع الكبير ص ١٢٢ .
(٦٣) الخصائص ج ١ ص ١٤٧ .
(٦٤) الخصائص ج ١ ص ٣٣٠ .
(٦٥) الخصائص ج ٢ ص ٣٩٣ .

على جوره وتعسفه ، فانه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه[٦٦] ، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره على اختياره الوجه الناطق بفصاحته بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام ، فهو وان كان ملوما في عنفه وتهالكه فانه مشهود له بشجاعته وفيض منته . الا تراه لايجهل ان لو تكفر في سلاحه أو اعصم بلجام جواده لكان أقرب الى النجاة وابعد عن الملحاة[٦٧] ، لكنه جشم ماجشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله ادلالا بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه » . ثم قال : « فاعرف بما ذكرناه حال مايرد في معناه ، وان الشاعر اذا اورد منه شيئا فكأنه لانسه بعلم غرضه وسفور مراده لم يرتكب صعبا ولا جشم الا أمما[٦٨]، وافق بذلك قابلا له أو صادف غير انس به الا أنه هو قد استرسل واثقا وبنى الامر على ان ليس ملتبسا »[٦٩] . وقريب من هذا ما ذهب اليه بعض المعاصرين[٧٠] كالدكتور ابراهيم أنيس الذي قال : « ألست ترى معي أن المعاني قد تزاحمت في ذهن الفرزدق فتزاحمت الالفاظ واختلط بعضها ببعض بينما الشاعر في شغل عنها وقد تملكته العاطفة وسيطرت عليه الفكرة فلم يعبأ بنظام الكلمات على النحو المألوف للناس ؟ لسنا نبالغ اذن حين نقرر أن الشاعر يفر من كل ما هو مألوف معهود محلقا في سماء الخيال لايكاد يشعر بالالفاظ كما يشعر بالمعاني . فاذا سيطرت عليه الصورة سيطرة تامة فقد يسوق لنا مثل هذا النظام الغريب الذي نراه في بيت الفرزدق »[٧١] . والدكتور لطفي عبد البديع الذي قال : « فما يعده عبد القاهر وغيره من

(٦٦) تخمط الفحل : هدر وثار ، وتخمط : تكبر .
(٦٧) تكفر : اعتصم . الملحاة : اللوم .
(٦٨) هو اليسير . والبين من الأمر .
(٦٩) الخصائص ج ٢ ص ٣٩٢ – ٣٩٣ .
(٧٠) ينظر بحوث لغوية ص ٥٦ وما بعدها .
(٧١) من أسرار اللغة ص ٣٢٦ .

البلاغيين بناءا على معاني النحو فسادا في التأليف وخللا في النظم ليس الا صورة من صور التركيب توخاها الشاعر في اللغة . والنحو بأحكامه أعجز عن أن يستوعب أسرار اللغة الشعرية ووجوهها التي يدق فيها النظر فهو يقيم منها أصولا عامة يجريها على أشياء متباينة لاتكاد تتضح معها الخصائص المتفردة للكلام والفاعلية والمفعولية والابتداء والخبرية وغيرها لاتغني وحدها في بيان الاثار الشعرية لمواقع الالفاظ في العبارات »[٧٢] .

والسيد ابراهيم محمد الذي قال ان الضرورة الشعرية « تكشف عن الخصائص الفردية التي بها يظهر روح الشاعر أو الاديب . فمغالبة القوة التي يصنعها اطراد العادة اللغوية لايمكن تفسيره الا بالتسليم بان قوة مناهضة بعثت على النشاط الجديد الذي به خالف التعبير ما استقر عليه الاستعمال إذ اطراد الاستعمال اللغوي من شأنه أن يصبح قوة تتسلط على كل تعبير ناهض اذ تتكون العادة اللغوية التي عليها يطرد التعبير وتستقر في عقل الجماعة اللغوية فلا ينفك عنها أي تعبير جديد . على أنه وان كانت الضرورة الشعرية خروجا على القواعد النحوية ، فهي ليست خروجا على اللغة لان الشعراء بحكم حياتهم في اللغة لاينفكون عنها بحال » . ثم قال : « ولكن التحليل الاسلوبي لبيت الفرزدق وفيه التقديم والتأخير ، ووضع الكلام في غير موضعه يتضمن البحث عن العلل الروحية التي نشط عنها التعبير وتتحصل بها القيمة الفكرية التي يتضمنها البيت ولا تظهر الا به »[٧٣] . فابن جني كان سباقا الى هذه المسألة وقد وصفها وصفا دقيقا ، ولو أخذ عبد القاهر برأيه لتجنب الخوض في فساد النظم ولفسر التركيب اللغوي في بيت الفرزدق وغيره تفسيرا قريبا من حالة الشعراء وانفعالهم في أثناء العملية الشعرية والخلق الفني .

(٧٢) التركيب اللغوي للأدب ص ١٠ .
(٧٣) الضرورة الشعرية ص ٩٧ – ٩٨ .

قال عبد القاهر : « فانظر أيتصور أن يكون ذمك للفظه من حيث أنك أنكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا ، أو سوقيا ضعيفا ، أم ليس الا لانه لم يرتب الالفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر فكد وكدر ومنع السامع أن يفهم الغرض الا بان يقدم ويؤخر ، ثم أسرف في ابطال النظام وابعاد المرام ، وصاركمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها باب من الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين آوضاعها »(٧٤) . وعد هذا البيت من شواهد فساد النظم ، وذلك ان الشاعر تعاطى ماتعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، فقدم وأخر ، مما اكسب البيت فسادا في النظم أدى الى التعقيد(٧٥) .

وذكر ابن الاثير البيت فقال : « ومعنى هذا البيت : « وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه » . وعلى هذا المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه ، وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه كان يقصده ويتعمده ، لان مثله لايجيء الا متكلفا مقصودا ، والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد »(٧٦) .

لقد اتفق الثلاثة على مافي البيت من تقديم وتأخير اكسبه تعقيدا ، وهو عند ابن جني من الضرورات الشعرية ، وربما ولد انفعال الشاعر مثل هذا التركيب ، ولا يعد دليلا على ضعف الشاعر بل قد يدل على جموحه واسترساله في نظم الشعر ، وهو في حالة الخلق والابداع . وليس في البيت ـ عند عبد القاهر الفاظ ينكرها الذوق السليم . وليس فيها وحشي غريب يأباه الفهم

---

(٧٤) أسرار البلاغة ص ٢١ . وتنظر ص ٦٦ .
(٧٥) ينظر دلائل الاعجاز ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(٧٦) المثل السائر ج ٢ ص ٤٦ ، الجامع الكبير ص ٢٣١ .

الثاقب ، وقد جاء التعقيد فيه من أن الشاعر لم يرتب الالفاظ على حسب ترتيب المعاني في الذهن ، ولو فعل ذلك لكان واضحا .

والبيت عند ابن الاثير من أمثلة المعاظلة التي أحد أسبابها التقديم والتأخير وهي من سمات شعر الفرزدق ، وقد كان يقصد ذلك ويتعمده ، ولو ترك الشاعر نفسه على سجيتها لاسترسل وجاء تركيب شعره سلسا لاينوء بالتعقيد .

لقد انتهى العلماء الثلاثة الى نتيجة واحدة وان وصلوا اليها بطرق مختلفة حددتها عوامل عدة : منها اختلاف ثقافتهم ، وتفاوت اذواقهم ، وتباين نزعاتهم الفنية ، فابن جني نحوي لغوي ينظر الى النص نظرة لغوية ، وعبد القاهر نحوي ينظر الى النص نظرة بلاغية ، وابن الاثير أديب ينظر الى النص نظرة فنية ، ويرتاب في أحكام اللغويين والنحاة ، وقد حمل عليهم حملة منكرة ولا سيما على ابن جني ، قال : « هذا أبو الفتح ابن جني قد كان من علم النحو على درجة لم ينته اليها غيره ، ومع هذا فلما انتدب لتفسير شعر المتنبي كشف عن عورة كان في غنى عن كشفها ، لانه اخطأ في مواضع كثيرة خطأ فاحشا »[٧٧] . وقال تعليقا على بيت المتنبي :

تبل خدي كلما ابتسمت
من مطر برقه ثناياها

والبيت « من الابيات الحسان التي تتواصف ، وقد حسن الاستعارة التي فيه انه جاء ذكر المطر مع البرق . وبلغني عن أبي الفتح ابن جني ـ رحمه الله ـ انه شرح ذلك في كتابه الموسوم بالفسر[٧٨] الذي ألفه

(٧٧) الاستدراك ص ١٤ ، وتنظر ص ١٥ ــ ١٦ ، ص ١٨ .
(٧٨) طبع الدكتور صفاء خلوصي جزءين منه باسم « الفسر » .

في شرح شعر أبي الطيب فقال : « انها كانت تبزق في وجهه » فظن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويقع على وجهه ، فشبهه بالمطر . وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره . واذا كان هذا قول امام من ائمة العربية تشد اليه الرحال ، فما يقال في غيره ؟ لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب »[٧٩] .

وصفوة القول : لقد أثر ابن جني في البلاغة العربية وظهر هذا الاثر في بلاغيين كبيرين هما : عبدالقاهر الجرجاني وضياءالدين بن الاثير ، وكان تأثر عبد القاهر واضحا في اتجاه ابن جني المتمثل في اهتمامه بالقواعد والاصول من غير خوض في الجزئيات والوقوف على النصوص وتحليلها . وقد اتخذ عبد القاهر اصول النحو وقواعده منطلقا له ولكنه تجاوز المعاني الاول وبحث عما وراء العبارة أي عن المعاني الثواني« معنى المعنى » ، وعما توحي من أثر . وكان تحليله للنصوص رائعا ، وكانت أحكامه دقيقة ، ولعل وقوفه على الابيات : « ولما قضينا من منى كل حاجة ... » واهتمامه بالمعاني وجعل الالفاظ خدما لها كان بتأثير ابن جني الذي لم يشر اليه إلا مرة واحدة وهي قوله : « ان كان أبو الفتح ابن جني قال ما قال في قول المتنبي : « وفيها قيت يوم للجراد » حتى تكون فضيلة يكون المتنبي بها أشعر من بيت الحطيئة[٨٠] ، فمحال أن يكون البيت بزيادة تقع في مجرد الاغراق من دون صنعة تكون في تلك الزيادة أشعر من البيت ذي الصنعة

(٧٩) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٣ .

(٨٠) قال محقق الكتاب : كأنه يعني ببيت الحطيئة والله اعلم قوله :

قروا جارك العيمان لما تركته
وقلص عن برد الشراب مشافره
سناما ومحضا انبت اللحم واكتست
عظام امرىء ماكان يشبع طائره

ولا سيما مثل صنعة الحطيئة التي لايبلغ المتأمل لها غاية في الاستحسان الا رأى أن يزيد »[81] . وفي هذا دليل على ان كتب ابن جني كانت أمام عبد القاهر وهو يبحث في البلاغة ، ويرسي نظرية النظم .

وكان تأثر ابن الاثير بابن جني واضحا ، اذ نقل منه التعليق على الابيات : « ولما قضينا من منى كل حاجة ... » واستوحى منه الحكم على المعاني والترجيح بينها ، وقوة اللفظ لقوة المعنى ، والعدول الى المجاز ، وغلبة الفروع على الاصول ، وشجاعة العربية ، والتقديم ، والتأخير ، والاعتراض . وقد أشار في هذه الموضوعات الى ابن جني ، ولكنه انتقده وأظهره بمظهر من لايفقه فهم النصوص ولا يحسن تفسيرها ، وهذا تجن على ابن جني ، لان ابن الاثير اقتفى أثره ، وأخذ منه الاسس العامة في هذه الموضوعات ، ونقل بعض عباراته وكل ما قاله في تفسير الابيات : « ولما قضينا ... » . وكان لابد من أن يختلف عنه لانه كان يحكم الذوق اكثر من تحكيم القاعدة اذ « مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم »[82] .

هذه وقفة قصيرة عند ابن جني وأثره في البلاغة ، أريد بها أن تكون مقدمة لدراسة ابن جني بلاغيا وناقدا ، ففي كتبه مادة بلاغية ونقدية غزيرة ، وستكون دراسة هذا الجانب حلقة في تأريخ البلاغة والنقد ، وطريقا يفضي الى تلمس اللمحات البلاغية والنقدية في غير كتب البلاغة والنقد ، وهي لمحات أصيلة تنفع في دراسة النصوص وتحليلها في ضوء علم اللغة الحديث والنظريات النقدية المعاصرة .

---

(٨١) دلائل الاعجاز ص ٥٦٤ .
(٨٢) المثل السائر ج ١ ص ٥ .

المصادر :

١ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية ـ ضياء الدين بن الاثير . تحقيق حفني محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
٢ ـ أسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق هـ ـ ريتر استانبول ١٩٥٤ م .
٣ ـ بحوث لغوية ـ الدكتور احمد مطلوب . عمان ١٩٨٧ م .
٤ ـ التركيب اللغوي للأدب ـ الدكتور لطفي عبدالبديع . القاهرة ١٩٧٠م.
٥ ـ التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق الدكتور احمد ناجي القيسي والدكتورة خديجة عبدالرزاق الحديثي والدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.
٦ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ ضياءالدين بن الاثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .
٧ ـ الحيوان ـ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .
٨ ـ الخصائص ـ ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م وما بعدها .
٩ ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٨٤م .
١٠ـ ديوان ابن الرومي . تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة (ج ٣ سنة ١٩٧٦م) .
١١ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبدالمتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م .
١٢ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة . تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
١٣ـ الضرورة الشعرية ـ السيد ابراهيم محمد . الطبعة الثانية ـ بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
١٤ـ الفسر ـ شرح ديوان المتنبي ـ ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق الدكتور صفاء خلوصي . بغداد (ج ١ سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م) .
١٥ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياءالدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م .
١٦ـ من أسرار اللغة ـ الدكتور ابراهيم أنيس . القاهرة الطبعة الثانية .
١٧ـ مناهج بلاغية ـ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

المستدرك
على دواوين الشعراء

محمد بن بشير ــ شبيب بن البرصاء ــ المغيرة بن جبناء ــ
طريح الثقفي ــ عبيد بن أيوب ــ عويف القوافي ــ
العتابي ــ عبدالله بن طاهر ــ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ــ
الخريمي ــ أبو الشيص ــ الحماني العلوي ــ ابزون العماني ــ

الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب/جامعة بغداد

ترتبط عملية تحقيق الشعر ونشره بتاريخ عريق ومدرسة منهجية موغلة في القدم تثبتت أصولها في القرن الثاني الهجري ، واستقامت قواعدها بعد هذا التاريخ حتى أصبحت طريقا معروفا ، ومنهجا متبعا ، ومسلكا من مسالك العمل العلمي المزدهر • وقد حققت هذه العملية لديوان الشعر الغربي مادة ثرة ، وتراثا كبيرا ، واتنفعوا منه في كل مجال ، واستخدموه في كل موضع ، واستعانوا به في كل تفسير ، وقد أضاف الشعر بكل أشكاله الى اللغة وفروعها ما أغناها ووسع دائرتها ، حتى أصبح القرن الثالث الهجري قرن ازدهار لغوي ونحوي وبلاغي الى جانب الازدهار الذي عرفته الرواية الشعرية بما جمعه الرواة من أشعار الشعراء والقبائل •• ويقف الاصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني وابن الاعرابي على رأس هذه الطبقة ويليهم السكري ابو سعيد الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٥ أو ٢٩٠ الذي يعد ثقة صادقا فاذا جمع جمعا فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة فقد جمع أشعار

ما لايقل عن خمسين شاعرا من الجاهليين والاسلاميين الى العباسيين وشرحها كلها أو أكثرها ...

وبقيت صناعة الدواوين وجمع الشعر تأخذ مكانها حتى شملت مجاميع الشعر وكتب الحماسة والنوادر والامالي ، وامتدت الى كل مجال ، وانتشرت في كل حقل فاستمدت كتب التـاريخ منها شواهدها ، كما اعتمدت كتب البلدان ومعاجم اللغة على دواوين الشعر في مجال الاستشهاد والتدليـل والاحتجاج .. وقد حفظ لنا هذا النهج ثروة كبيرة ، وثبت لنا مجموعة من الحقائق للاستدلال .

وعلى الرغم من الحرص الدقيق الذي رافق عمليـة الجمع والرواية والمتابعة فقـد اختلفت الدواويـن الشعريـة من حيث كمية الشعر باختلاف الرواة . فشعر النابغة برواية ابن السكيت تختلف عنه برواية محمد بـن حبيب ، وتختلف الى حد ما عن رواية الاصمعي ، وكذلك الامر بالنسبة لشعر امريء القيس وعنترة والاعشى وزهير وغيرهم من الشعراء ، على أن هذا الاختلاف لايقدح في صحة الرواية أو يشين وجه صحتها ، أو يغير من صدق اسنادها . لان طرق الرواية مختلفة ، ومواطن الاعتماد متعددة ، وموارد السند متشعبة وهذا مـا حمل بعض المحققين في عصرنا الحـاضر علـى أن يجمعوا الروايات ويوفقوا بينها للوقوف علـى مجموع كامـل من نسخ الديوان . وتظل عملية الجمع غير قادرة على الاستكمال مادامت الروايـة الشعرية رافدا من روافدها والمظان الرئيسة غير متوفرة .

وهذا مادفع الباحثين والمحققين الى الاستدراك والتعقيب حول ما نشر من شعر أو جمع من أبيات ، وانني لعلى ثقة أكيدة ان معظم دواوين الشعر التي نشرت عن طريق النسخ المخطوطة أو المجموعة ستظل غير كاملة الى حد كبير وان كانت صورة النسخ المخطوطة أكمل الى حد ما ، وهذا ما يفسر

لنا حركة الاستدراك المتعاقبة التي يقف عليها الباحثون وهم يقدمون في كل زمن ما يضيف الى الشعر المطبوع ما يكمل مسيرته ويحقق وجوده ويهتدي الى توضيح معالم الشاعر أو العصر •

وقد حاولت صنع تعقيب واستدراك قبل أكثر من تسع سنوات على أشعار مالك بن الريب وعبيدالله بن الحر وكعب بن معدان الاشقري ونصر بن سيار وعبد الصمد بن المعذل في مقالة نشرتها في مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الثاني ــ المجلد الحادي والثلاثون) في جمادى الاولى ١٤٠٠ ، نيسان ١٩٨٠ • والشعراء الثلاثة الاوائل هم من الشعراء الذين جمعت شعرهم ضمن كتابي (شعراء أمويون) الجزء الاول والذي نشرته عام ١٩٧٦ • وبعد ثمان سنوات على نشر هذا التعقيب وقفت على كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن آيدمر من رجال النصف الثاني من القرن السابع الهجري • الذي أصدره الاستاذ الفاضل المحقق الدكتور فؤاد سزكين مدير معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت ضمن منشورات المعهد ومن سلسلة ج (عيون التراث) وهي سلسلة طبعت بالتصوير عن مخطوطات مجموعة فاتح مكتبة السليمانية • استانبول •• وهي جانب من الجهود الخيرة التي يضطلع بها الدكتور سزكين خدمة لتراث الامة وتعزيزا لما قدمته الحضارة العربية الاسلامية الى العالم من خلال جهود علمائها واجتهاد فضلائها • أقول وقفت على هذا الكتاب وقد وجدت فيه مقطعات جديدة يمكن اضافتها الى ما جمعته من شعر الى الشعراء الذين جمعت شعرهم وهم محمد بن بشير وطريح الثقفي والمغيرة بن حبناء وعويف القوافي وشبيب ابن البرصاء وعبيد بن أيوب وهذا ما حملني على التعقيب ودفعني الى أن اتابع اجزاء هذا السفر الخالد لاستدرك على عملي واعقب على جمعي لتكون الفائدة أكبر ، واذا كان بعض المحققين يجد في ذلك غرابة فانني أجد نفسي

في غاية الارتياح وانا أعثر على عدد من الابيات الشعرية التي تضيء جوانب من حياة أولئك الشعراء الذين قمت بجمع شعرهم من المصادر التي توفرت لدي وبما وقفت عليــه من المصادر وان سروري يعظم واعتزازي يكبر اذ وجدت من الاخوة المحققين من يضيف الى الشعراء الذين صنعت دواوينهم شعرا جديدا .

والله أسأل أن يمنحنا السداد في الرأي والحكمة في العمل والاخلاص في الوفاء لتراث امتنا لنخدم هذه اللغة الكريمة ونعمل على إحياء خصائصها الرائعة التي تمثلت في فكر علمائها وأدب فضلائها وشعر شعرائها . انه نعم المولى ونعم النصير ...

عبداللــه بن طــاهر :

الامــير الشــاعر . شــاعر عربي في فــارس من أمــراء ولايــتي بوساع وشعره من أعمال خراسان ، وصف بانــه رجــل فصيح متكلم ومفوّه توفي في خلافة الواثق سنة ٢٣٠هـ .

جمع شعره الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي ونشره في مجلة المورد

ونشر الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي شعر عبيدالله بن عبداللــه بــن طاهر وما تبقى من حياته في مجــلة كلية الاداب ــ العــدد العشرون ــ ١٤٠٢ ــ ١٩٨٢ وقد سبق نشره في مجلة الخليج العربي العدد الســادس سنة ١٩٧٦ .

والدراسة التي قدمها للشاعرين دراسة تاريخية موثقة اعتمدت المصادر الاساسية في حياتهما وتابعتهما متابعة دقيقة ووقفت عند الاسباب المؤثرة في حياتهما وبين اثرهما في الحياة الثقافية والفكرية والسياسية لما عرفا بــه من مواقف عربية اصيلة وانتماء صادق .. ولغرض اســتكمال بعض الجوانب التي يمكن معرفتها من خلال المقطعات التي وقفت عندها آثرت تثبتهــا مــع

اعتزازي بجهد اخي الكريم الدكتور قحطان الذي خاض غمار جمع الشعر وهو المؤرخ الثبت والمتخصص في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة ..

[١]

قال عبدالله بن طاهر ٢/٣٦

وما احسن الايجاز فيما تريده
وللصمت في بعض الاحايين أوجز
إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً
فأنت عن الأبلاغ في القول أعجز

ويروى الاول ..
يخوض أناس في الكلام ليوجزوا ..

[٢]

وقال عبدالله بن طاهر ٢/١٨١

افعل الخيرَ ما استطعت وان كان
قليلاً فلن تُحيط بكلِّه
ومتى تفعل الكثير من الخير
اذا كنت تاركاً لأقله

[٣]

وقال عبدالله بن طاهر ٢/١٨٩

اقمتَ ببلدة ورحلتْ عنها
كلانا بعد صاحبه غريب

اقــل الناســ في الدنيــا ســروراً
مُحــبٌّ قــد نــأى عنــه الحبيــب

وعقب عليه صاحب الكتاب .. اقول لاقليل يبقى من السرور ولا كثير من بعد الحبيب .

[٤]

وقال عبدالله بن طاهر ٢/٣٣٦

إن الفتــوح على قــدر الملــوك وهمّات
الــولاة واقــدام المقــاديم

[٥]

وقال عبدالله بن طاهر ٢/٢٨٦

نــزول الهوى ســقم علــى المــرء فادح
وفي بــدني للحــب داع وصــائح

إذا المــرء لــم تقــرح بطون جفونــه
فما قرحت في الجســم منه الجوانــح

تــرى أن لــي ذنبــاً إذا ملــت منبئــاً
لمــن عــادني في الحــب انيَ صــالح

ومــا الســانحات البارحــات نوائــح
ولكــن اعضــاء المحــب نوائــح

[٦]

وقال عبدالله بن طاهر ٣/٢٥

ألا انمــا العينان للقلــب رائــد
فمــا تألفــ العينــان فالقلــب آلفــ

[٧]

عبدالله طاهر ٤/٣١٣

قيل لما دخل عبدالله بن طاهر نيسابور أول دخلة وقع غيث كثير حتى انعقد الثرى وكان قبل ذلك قد حبس القطر وقحط الناس فقام اليه بزاز من دكانه وانشأ يقول :

قد قحط الناس في زمانهم
حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان في ساعة لنا جمعا
يامرحباً بالأمير والمطر

قال فاستحسن عبدالله ذلك منه وسأله فقال انت قلتهما قال : لا ولكني تلقفتهما من السلف فحفظتهما فأعجبه صدقه واجازه بجائزة حسنه وأمر أن لايشترى القماش والبزّ الا منه •

[٨]

قال عبدالله بن طاهر ٥/٥٢

ليس في كل ساعة وأوانِ
تتهيّا صنايع الأحسان
فاذا أمكن الزمان فبادر
حذراً من تعذّر الأمكان
فاذا امكنتك يوماً من الدهر
فبادر بها صروف الزمان

فتشاغل بها ولاتله عنها
حذراً من تعذّر الامكان
ليس غير الآله والعمل
الصالح يبقى وكل شيء فانِ

[٩]

وفي ٥/٢٨

ليس يبقى عى صُروف الزمان
غير شكر الأخوان والخُلاّنِ

[١٠]

وقال ٥/٣٦

اهلك والليلُ ايها الرجلُ
قد طال هذا الرجاء والأمل
عَوّل على الصبر واتّخذ سبباً
الى الليالي فإنها دُوَلَ
ما أبعدَ المكرُمات من رجلٍ
على نَوالِ الرجال يتكّلُ

[١١]

٥/٤٣٠

وقول عبدالله بن طاهر وتنسب لابي الحسن المرادي

لا تنزلِـــنَّ بنيســـابور مُغتربـــاً
إلا وحبلُـــك موصـــول بسلطـــانِ
اولا فلا ادبٌ يُغنـــي ولا حســـبٌ
يجـــزي ولا حرمـــةٌ ترعـــى لانســـان

[١]

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ٢/٤٩

اذا لـــم يـــكن صـــدر المجـــالس سـيداً
فـــلا خـــير فيمـــن صدَّرتـــه المجـــالس
وكـــم قـــائل قـــد قال مـــالك راجـــلاً
فقلـــت لـــه من أجـــل انـــك فارس

ويرويان لابي عبدالله الحسين بن خالويه ..
وفي مجموع شعره روي البيت الثاني فقط ..

[٢]

وقال عبيد الله بن عبدالله بن طاهر ٢/٥٧

إذا مـــا الدهـــر صـــال علـــى رجـــال
فأنت لنـــا مـــن الأزمـــان جـــار

[٣]

وقال عبيدالله بن عبدالله ٢/١٠٣

أراهـــا تَمخَّـــضُ بالمُـــكرات
فيـــاليت شـــعري مـــا الزّبـــدة

الا إن زُبدتهـــا فرجـــــة
كحـــلٍّ العِقـــال مـــن العُقَـــدة

[٤]

وقال عبيدالله بن عبدالله ٢/٢٢٤

العمــــر أقصـــر مـــدةً
مـــن أن يمحـّــق بالعتـــاب
أو أن يُكـــدّر مـــا صفـــا
منـــه بهـــجر واجـــتناب
فلتغنـــم الساعـــات منـــه
فمرهـــا مـــرّ الســحاب

[٥]

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ٢/٢٣٤

ألم تــر أن الضرب في الجـلد كَلْمُـهُ
وكلـم كلام الســوء في حَيّــة القلب
كذلـك مكـروه الكلام إذا جــرى
اشــد على الأحــرار من مؤلـم الضرب

[٦]

٣/١١٨

تخيّـر إذا كنـت في الأمـر مرســلاً
فمبلـغ اراء الرجـــال رسولهـــا

ورو وفـــكـرّ في الكتـــاب فإنمــا
باطــراف أقــلام الرجــال عقولهــا

[٧]

ويرويان للتنوخي •
١٨٨/٣
وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

يــا محنـــة الدهـــر كفّـــي
إن لـــم تكـــفي فخفّـــي

مـــا آن أن ترحمينـــــا
مـــن طـــول هـــذا التشـــفي
ثـــور ينـــال الثريـــا
وعالـــــم متخـــــفي
ذهبـــتُ أطلـــب بختـــي
فقيـــل لـــي قـــد توفـــي

[٨]

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ٢٥٩/٣

خليـــلي للبغضـــاء حـــال مُبينـــة
وللحـــب آيـــات تـــرى ومَعـــارف

الإ انما العينان للقلب رائد
فما تألف العينان فالقلب آلف
وما تنكر العينان فالقلب منكر
وما تعرف العينان فالقلبُ عارف

[٩]

جـ٤/١٥١
قال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

فإن كنت عن شكري غنيا فانني
الى شكر ما اوليتني لفقير

لو أن امرأً يخفى الهوى عن ضميره
لمتُّ ولم يعلم بذاك ضمير
واني سألقي الله ياليلُ لم أبح
بسرّك والمستخبرون كثير
وان الذي ضنّت به من نوالِها
عَليَّ وان منّت به ليسير

[١٠]

جـ٤/١٩٢
قال ابو على الحاتمي انشدني محمد بن يحيي قال : انشدني ميمون بن هارون عن اسحق بن ابراهيم الموصلي النديم ...

وعهدي بليلي وهي ذات موصّد
تــرد علينــا بالعشــي المراميــا
فشــاب بنو ليــلى وشبــاب بنو ابنهــا
وهــذي بقايا حــب ليلى كمــا هيــا

[١١]

٢٨٣/٤

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

في كــل شــيء شــرف
يكــره حتى في الكــرم
وربمــا الــفى لا
افضــل مــن الفــ نعــم

[١٢]

٢٩٢/٤

حكي عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر انه كان يشرب في متنزه لــه وعنده ماني الموسوس فقال عبيدالله .

أرى غيمــا تولــفه جنوب
واحســب أن ستأتينــا بهطــل
فحــزم الــرأي أن تدعــو برطــل
فتشربــه وتأمــر لــي برطــل

[١٣]

جـ ٤/٢٩٢

قالوا العتاب يهيج الضِغن قلتُ لهم
وتركه يبعث البغضاء والمللا
فلا تعاتب صديقاً ما استطعت ولا
تترك عتاب صديق يكثر الزللا

[١٤]

٥/٢٣٢

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

فإن ذا اللّسن يَلقى حتفَه ابداً
مُمثَّلاً بين عينيه من الوجل
وذا الشباب له شاءٌ يُماطله
فلا يزال بعيدَ الهمّ والأمل

[١٥]

٥/٤٩٥ والثاني في ٥/٢٤٠
وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر معارضاً

وانما المرءُ عقلُهُ فاذا
أحرزَ عقلاً فبعدَه أدبُه

والحسبُ العقل لا النصاب فقل
مُصرّحاً قيمةُ امرىء حسبه

[١٦]

٥/٥١٤
وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

يقولون آفات وشتى مصائب
فقلتُ أسمعوه لا عليه عيارُ
اذا سلمت للمرء منهن نفسُه
واخوانُه فالحادثات حُيار

سعيد بن حميد :

اديب عباسي له رسائل واشعار جمعها الاستاذ الفاضل الدكتور يونس احمد السامرائي ونشرها في بغداد ١٩٧١ وقدم له بدراسة مستفيضة بلغت ثلاثاً وسبعين صفحة وجمع بعض رسائله ونقوله التي جاوزت الاربعين وثلاثاً وسبعين قطعة شعرية والحق بالكتاب مانسب اليه من اشعار وخرجها تخريجاً علمياً دقيقاً وقد اعلمني اخي الدكتور يونس بانه استدرك على كتابه استدراكات جديدة وهو في طريقة الى اعادة طباعته وتأمل ان تكون هذه الاضافات اغناءً لما اجهد نفسه به من معلومات .

٣/١٢
قال سعيد بن حميد ..

لى صاحب كبرت علي جهاته
فلبستُ منه تحيُّر المرتاب

طـالت معـاتبتي لـه وتألـفي
فأقـلّ نفـع تـألفي وعتـابي
أو ليـس مـن نكـد الزمـان تقربـي
ممـن يـرى قربـي اشـد عـذاب
أيقنـت أن الصابريـن علـى الأذى
يؤتون أجرهـم بغـير حسـاب
فصبرت محتسبا وكـم مـن صـابر
دارت لـه العقبى بحسـن ثـواب

وقال سعيد بن حميد ٣/١١١
تجنّبتهـم والقلـب صبٌّ اليهـم
بنفـسي ذاك المنـزل المتجنّـبُ
إذا ذُكروا اعرضتُ لامـن ملالـة
وذكرُهـم شـيء الـيّ محبّـب
علـى أنهـم أحلـى من الأمـن عندنا
واعـذب مـن صفو الحيـاة واطيـب

وقال سعيد بن حميد ٣/١٢١

تـراك أصبحـتَ في نعماء سـابغةٍ
إلاّ وربـك غضبـان عـلى النعـم
ياحـجة اللـه في الأرزاق والقسـم
ومحنـة لـذوي الألبـاب والهمـم

وتنسب لعبدان وقال المؤلف وتروى لسعيد بن حميد ••

وقال سعيد بن حميد ٣/٣٢٦

رويـدك لاتعجـل الى الهجـر أو تـرى
سَـلُـوك أدنى من هـواك الى القلـب
فـانك لاتـدري إذا هـي آعرضـت
اتحيـا سقيمـاً أو تمـوت من الحـب
ولاتبخلن بالعـذر إن جـد عتبهـا
عليـك وان كنـت البريء مـن الذنب
فإنـك موقـوف على السـقم والبـلى
إذا وقعـت بـين الملامـة والعتب

وقال سعيد بن حميد ٣٢٨/٣

زائـر زارنـا ينازعـه الشـوق
قريـب الهـوى بعيـدُ اللمـام
خـائف للعيـون يحسـب عينيـه
رقيبـاً عليـه دون الأنـام
كان أوحى عنـا انصرافـاً مـن الطرف
واخفـى مـن زائـر فـي المنـام
زار يهـدي السـلام لـم أر فصـلاً
بـين توديعـه وبـين السـلام

وقال سعيد بن حميد ٣٠٠/٣٥٢

سـخّى بنفسي عـن الدنيـا وزينتهـا
إني أراهـا بكـم ضَنَّت فلـم تَعَد
ضنت عليَّ بمـن أهـوى فجُدتُ لهـا
بمـن سواه فلـم أجـزع على أحد

وقال سعيد بن حميد ٤٧/٤

طرحت الهدايا واتّكلت على الذي
علمتَ ولي فيه اعزّةٌ مجير
وحسبك إني اصحب الدهر كله
بنفس غنيٍّ واعتذار فقير

وقال سعيد بن حميد ٩٦/٢

اذكر أبا جعفر حقاً امتّ به
إني واياك مشغوفان بالأدب
واننا قد رضعنا الكأس درّتها
والكأس درّتها حَظٌّ من النسب

وذكر المحقق الفاضل في القطعة العاشرة عجز البيت الثاني فقط وقال : يبدو انه عجز بيت لم يرو صدره ، وأولى جاءت في المصدر (أدلى) ولعله تحريف .

وقال سعيد بن حميد

٢٢٦/٥

لجّت عواذِلُه تَعاتبه
وخلبْنَ دون مواقع العُذْر
وتصرّمت أيام لذّته
فمضَين عنه بجدّة العُمُر
وخَلَتْ منازل من أحبته
قذفت بهم عنها يدُ الدهر

نـــذرا لزمـــان اتـــى بفرقتنـــا
نُـــذْراً فـــآب بصـــالح النـــذر
واشـــدّ مـــالاقيـــت بعدهـــم
انـــي فُجعْـــتُ بهـــم وبـــالصبر

وقال سعيد بن حميد ٥/٢٣٦

واغتفـــر قِلـــة الهديّـــةِ منْـــى
إنّ جُهـــدا المُقِـــلّ غـــيرُ قليـــل

وقال سعيد بن حميد ٥/٢٧٤

وحســبُك اني اصحبُ الدهــر كـُلـّه
بنفــسٍ غنــيٍّ واعتـــذار فقـــير

وقال سعيد بن حميد ٥/٣٥٩

هديـــتي تقـــصر عـــن همـــتي
وهمـــتي تعـــلو عـــلى مـــالي
فخـــالص الـــود ومحـــض الـــولا
أحســـن مـــا يُهديـــه امثـــالي

٥/٤١٩

يضاف هذا البيت الى القطعة [٨] في الصفحة ١٢٣ ويكون تسلسـله الثالث :

مـــا كـــل مَـــنْ انكرتـــه
ورأيـــتَ جفوتـــه بعـــاتبْ

وقال عبيد بن ايوب ٤/٩٠

على حين احكمت الأمور وبعدما
نقدت القوافي مثل نقد الدراهم

[١]

وقال عويف القوافي ١/٣٠٧

إذا يكريّة ولدت غلاماً
فيالؤماً لذلك من غلام
يزاحم في المآدب كل عبد
وليس لدى الحفاظ بذي زحام

قال شبيب بن البرصاء ٤/٢٥٤ .

تجرى احاديث تلهينا وتعجبنا
يشفى بها حيث تلقى غُلة الصادي

ويبدو ان البيت من القطعة العاشرة في ديوانه / ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

وقال المغيرة بن حبناء ١/٢٧٩ .

اذا الحرب حلت ساحة القوم أبرزت
عيون رجال يعجبونك في الأمن
يهيجونها حتى اذا نزلت بهم
رأيتهم لايستحون من الجبن
فباست امرىءٍ واست التي زحرت به
جنى الحرب يوما ثم لم يغن ما يجني

[٢]

قال المغيرة بن حبناء •

فلــولا أن فرعــك حــين ينمـي
وأصـلك منتهــى فرعــى وأصــلي

وانــي ان رميتــك هيــض عــظمي
ونالــتني مــتى أرميــك نبلــي

اذا انكرتــني انــكار خــوف
يضيــق حشــاك عن شــتمي واكلي

وقال طريح ٢ / ٢١٦ •

الشــيب غايــة من تأخــر حينــه
لايســتطيع دفــاعه مــن يجــزع

وهو من ابيات ذكرت في القطعة التاسعة عشرة من شعره/٣٠٦–٣٠٧

قال طريح ٣ / ١٦١ •

يصف نــاقة :

تــكاد تخــرج من انساعهــا مرحــا
اذا ابنُ ارضٍ عــوى بالبيــد او ضبحا

[٣]

وقال ٣ / ٣٣٩ •

ساشــكره شكريــن شــكرا لحاجــة
قضاهــا وشــكرا انهــا لــم تنــكد

قضى حاجتي ســـمحا بها متيســـــرا
فعـــال امـــرىء للصالحـات معوّد

[٤]

وقال : ٤ / ١٣٤ •

فاكســني البـشر انه شــاهد العــرف
كمــــا شــــاهد القنــوط الوجـــوم

[٥]

وقال ٤ / ١٣٨ •

فاليــك ارتحلــت يشـــفع لــي قـــر
بي ونصح لكــم وغيــب ســـليم

[٦]

وقال ٤ / ٣٥٨ •

كـــأن اعـــداءه ومــا حملـــوا
يومـــا ومــا ابرمــوا ومــا نسـجوا
بعــوض غيــل نــالت يــدي أســد
وهــل يــضر الضرغـــامة الهمـــج

والبيتان من ابيات القطعة الرابعة في شعره والقطعة رقم [٤] وهـي الابيات التي يخاطب بها الوليد بن يزيد •

٢٧٦/٢

وقال محمد بن بشير •

اذااقتصر المولى سعى لك جاهدا
لترضى وان نال الغنى عنك ادبرا

وقال محمد بن بشير البصري ٤٥/٢ •

اما لو أعي كلّ ما اسمع
واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفِدْ غير ما قد سَمِعت
لقيل هو العالم المصقِع
ولكنّ نفسي الى كل شيء
من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا احفظ ما قد جمعت
ولا انا من جمعه اشبع
واحضر بالصمت في مجلسي
وعلمي في الكتب مستودع
ومن يك في علمه هكذا
يكن دهره القهقرى يرجع

وقال محمد بن بشير ١٢٩/٢ •

[٣]

استودع العلم قرطاساً فضيّعه
لبئس مُستودَع العلم القراطيس

[٤]

وقال محمد بن بشير ٢/١٤٩ .

اصبر لمرٍّ قضاء الحق معترفا
فقد صبرنا لطول المطل مذ حين

[٥]

وقال محمد بن بشير ٢/٢٧٧ .

شتان ما مجلس له زَجَلْ
تكاد فيه الخصوم تَقْتَتِل
تجمعوا فيه للمراء ولم
تجمعهم خيفة ولا وجل
ومجلس سالم من القيل والقا
ل به في سكونه المثل
في القصف والعزف واللذاذة وال
افراح واللهو عنك لي شَغَل

[٦]

ويضاف البيت المذكور في ٣/٥٢ الى القطعة الرابعة في الصفحة/٢٠٣ ويكون تسلسله الثالث .

أو عزيز لم تلق يوماً عليه
مستطيلاً في عقب يوم قصير

[٧]

١٠٠/٣

وأبيات محمد بن بشير أولها :

اسمع وصاتي وانتفع بوصاتي
فلتحيَيَّن بذاك خير حياة
بادر الى اللذات ان هي امكنت
لغد وليس غد له بموات
حتى إذا فاتت وفات طلابها
ذهبت عليها نفسه حسرات
تأتي المكاره حين تأتي جملة
وترى السرور يجيء في الفلتات

ويروى ..

وقال صاحب الدر الفريد : وهذا شعر متنازع يروى لابي العتاهية وهو يقول . بكلامة اشبة ويروى لمحمد بن حازم وتروى لمحمد بن بشير .

إذا لم تكن حافظاً واعياً
فجمعك للكتب لاينفع
تحدّث بالجهل في مجلس
وعلمك في الكتب مستودع
إذا ذكر الناس ما عندهم
ذكرنا وفي ذاك مستمتع
ولكنها لذة تشتهى
الى مثلها مثلنا يرجع

[٨]

وقال محمد بـن بشير الأزدي الخارجي ٤/١٧٧ •

فتى وقفَ الأيـام بالعتـب والرضـا
على بـذل مال أو على حـد مُنْصُـل
ومـا ان لـه من قطرة ليس تحتهـا
غمامـة غيـث أو ضبابـة قَسْطَـل

[٩]

وقال محمد بن بشير يمدح ٤/١٨٨ •

فذلّـل اعنـاق الصعـاب بيأسـه
واعنـاق طـلاب النـدى بالفواضـل
فمـا انقبضت كفّـاه الا بصـارم
ولا انبسـطت كفّـاه الا بنائـل

العتابي : حياته وما تبقى من شعره

للدكتور ناصر حلاوي

هو ابو عمرو كلثوم تغلبي شامي ينزل قنسرين ويسكن الرقة ، ولد في رأس عين قرب منابع نهر الخابور وكانت وفاته سنة ٢٠٨ ، حسب على اصحاب البديع ، شغف بثقافات عصره فزار بغداد والرقة واختلف الى خزائن الكتب وتميز نثرة ــ كما تميز شعره ــ بطابع البديع وكان يردد ان المعاني روح الكلام •• نشر في مجلة المربد العدد ٣ ــ ٤ التي تصدر عن كلية الاداب ــ جامعة البصرة •

الجزء الاول : ٢٦٤ .

وانشد العتابي :

إذا أبدى أمرؤ خلقاً طريفاً
أتى من دونه الخُلُقُ التليد

٢٩٦/١

اذا انت صالحت امرأ قد وترته
فكن حذراً من كيده غير آمن
ولا تأمنَنْ ذا جنَّة حط قوسه
ولا تأمننَّ النبل جوفَ الكنائن

١٠/٢

انشد العتابي

إذا كان الظلوم يقود قوماً
ارادوا الرشد ظَلَّ من يقود
ينال برفقه ذو الضعف مالا
ينال ببطشه الرجل الشديد
كبير الشر يبدو من صغير
ومن مستصغر الشرر الوقود
فدع للود عند الصرم عودا
لعل أخاً تصارمه يعود
اذا ابدى امروء خُلقاً طريفا
أتى من دونه الخُلُق التليا

فلا تمــزح ... غــير عمــد
مزاحـك مـن أخٍ مـا لا تريـد
تـرى الأشـقى بمـا لـم يجـن يشقى
ويسـعد بـالا ياطيـل السـعيد
اذا لـم تبـلُ دين المـرء سـرا
فـلا يغـررك سـمنٌ أو سـجود
تـرى درعـا علانيـة لقـوم
وهـم في سـر امرهـم اسـود
يغضّـون الفنـون لنـا ريـاء
كأنهـم اذا هجـدوا هجـود
اذا عـف امـرؤ في القـوم فانظـر
أعـفٌ في الأمـانة أم حـرود

٢ / ٢٥٨ .

امـات الليالـي شوقـه غـير زفـرة
تـردد مـا بـين الحشـا والترائب

٢ / ٢٨١ .

أمطليـني و سـوّفي
وعدينـي ولا تفـي
اتركيـني معلقـا
أن تجـودي وتسـعفي
فعسـى يشـتفي الزمـان
بحـدي فأشـتفي

انـــا راض بمـــا صنعت
ولـــو كـــان متلفـــي

۳/ ۹۲ .

قال العتابي ..

بهجـات الثيـاب يخلقهـا الدهـر
وثـــوب الثـــناء غـــض جديـــد
فاكسني مـا يبيـد اصلحـــك اللـــه
فـاني اكســوك مـــا لا يبيـــدُ

وقد أورد المحقق الثاني وحده .

۳ / ١٢٥ .

قال العتابي .

تـرك اللهـو حـين عـاتبه الشـــيب
ولاحـــت منـــه كواكـب زهـــر
كـان في فسـحة مـن العـذر أيـا
م صبـــاه فمـــاله الـيـوم عـــذر

وقال العتابي ۳/۳۳۳

زيّن اخاك بحسن وصـف فضلـه
وبَبثّ مــا يأتي مـــن الحســنات
وتجــاف عـن عثراتـه وإسـائه
مـن ذا الـذي ينجـو مـن العـثرات

وقال العتابي ٣/٣٥٠

ستكسب ما ترجو ولو كنت كارهاً
ككسبك ما تخشى وانت مجانيه

وقال العتابي ٤/١١١

يضاف هذا البيت الى القطعة [٥٤] ويكون تسلسله السابع :ــ

غلب الموت كل حيلة محتال
وأعيا بدائه كل راق

وقال العتابي ٤/١١٣

غضضت على الأقدار نفس ابن حرة
اذا ضامه المقدور انجده الصبر

وقال العتابي ٤/١٧٣

فتى ظفرت منه الليالي بنكبة
فاقلعن عنه داميات المخالب

وقال العتابي ٤/٢٣٩

فما لركوب الحزم حظ لمخفق
سوى أنه ينجو من اللوم راكبه

وقال العتابي ٤/٣٥٩

كأن الدهر من صبري مغيظ
فليس تعينني منه الخطوب

يحـــاول ان تلـــين لـــه قنـــاتي
ويـــأبى ذلـك العـــود الصليـــب

وانشد العتابي ٥/٥١٢ ٠

يقـعُدُ الجـــدُّ بالبليغِ فيـــكدي
لشَـقى جَـدّه ويجـدي الصمـوتُ

وقال عمرو بن كلثوم العتابي ٤/٢٢٥

فـلو كـان للشـكر شخـص يبـين
اذا مـــا تـــأمله النـــاظر
لصوّرتـــه لـــك حتى تـــراه
فتعـــلم أنـــي أمـــرؤ شـــاكر
ولكنـــه كامـــنٌ في الضمـــير
يحركـــه الكـــلم الســـائر

الخريمي ابو يعقوب اسحاق بن حسان المتوفي سنة ٢١٤ للهجرة جمـع شعره وحققه الدكتور علي جواد الظاهر ومحمد جبار المعيبد وساعدت جامعة بغداد على نشره وطبعته دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧١ ٠

قال ابو يعقوب الخريمي من قصيدة يذكر فيها ذهاب احدى عينيه يقول منهـا :

سكبتُ الدمـع منـكِ عليـك حزنـاً
وقـلّ لفقـدكِ الدمـعُ الســكوب
وكنـــتِ منـــيرتي وسراج وجهـــي
وكانـت لـي بـــك الدنيـا تطيب

يموت المرء وهو يعد حيا
ويخلف ظنك الأمل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضاً
فان البعض من بعض قريب

وقد أورد المحققان البيت الرابع وبيتاً اخر.. في المنسوب اليه..ويبدو ان القصيدة طويلة كما ذكرها صاحب الدر الفريد .

وفي ص ٢/١٢

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة
وفي بعضها غرّاً يُسوّد فاعله

قال ابو يعقوب الخريمي .. ٥/١٧١

أيغسل رأسي أو تطيب مشاربي
ووجهك معفور وانت سليب
نسيبك من أمس يُناجيك طرفه
وليس لمن تحت التراب نسيب
وإني لأستحيي أخي وهو ميّت
كما كنت استحييه وهو قريب

يبدو ان تسلسل القصيدة [٢٩] فيه اختلاف لاني وجدت اربعة ابيات متتالية هي :

١ ـ تهضمني الأعداء من بعد موته
وسدّد نحوي الطرف من كان يخشع

الذي اخلت به القصيدة وهو مذكور في الدر الفريد ٥/٢٣١ .
ويليه البيت [٢٢] و [٢١] و [١٨] .

اذا انت لم تــدفع بحلـمك جـاهلا
سفيهـاً ولـم تقـرن به مــن يجـاهله

لبسـت لـه ثـوب المذلـة صـاغراً
وأصبـح قـد أودي بحقـك بـاطله

فـأبق على جُهّـال قومـك إنـه
لـكل حليـم موطـن هـو جـاهله

ويضاف الى القطعة [٢٣ ب] البيت التالي المذكور في ٢/٢٢٥ .

والنفس أشره شيء مـا بسـطت لهـا
لا يشـبع النفـس الا التـرب والمـدر

وقال الخريمي في ٢/٢٤٦

النـاس عنـد علي حـين تذكرهـم
كالشـوك يـذكر بـين الـورد والآس

ومن القصائد المحدثات[1] التي لم يقل الناس في مثل معناها قصيدة أبي يعقوب اسحق بن حسّان الخريمي في أبي دُلَف القاسم بن عيسى العجلي يستعطفه ويستقطعه ضيعة ويصفها :ــ

١ ــ الأمَـنْ دعـاني ومَـنْ دلـني
عـلى وافـدي ورسـولي خـروف

---

(١) تفرد المؤلف برواية هذه القصيدة للخريمي . ولم يرها جامعـا ديوانـه الأستاذان الدكتور علي جواد الطاهر والسيد محمد جبار المعيبد . وذكرا منها أربعة أبيات متفرقة رويت في الحيوان والبيـان والتبيـين وعيون الأخبار . وقد أشرنا اليها في الحواشي (نقلا عن كتاب المنثور والمنظوم) القصائد المفردات التي لامثل فيها لطيفور تحقيق الدكتور الفاضل محسن غياض .

٢ ـ على رائدٍ لي أرسلته
إلى بلدٍ ذاتِ عزٍّ وريف
٣ ـ لينظرَ هل لي بها متجرٌ
وهل من ولي بها ومضيف
٤ ـ وهل يجدنَ أخي قاسماً
أبا دُلَفٍ ذا الفعالِ الشريف
٥ ـ على العهدِ أم غيرته الدهورُ
والدهرُ منتقلٌ ذو صروف
٦ ـ وهل حققَ الظنَّ في حاجتي
فأشكرُ أم خانَ عهدَ الحليف
٧ ـ فاني امرؤٌ قادني ودُّهُ
إليه قيادَ العسيرِ العنيف
٨ ـ وخبرني عنه زوّارهُ
بقولٍ شريفٍ وفعلٍ طريف
٩ ـ فأرسلتُ لي رائداً حامداً
طويلَ المقامِ بطيءَ الخفوف
١٠ـ صُملاً يزاحمُ زاورهُ
بركنٍ صليبٍ ووجهٍ كثيف
١١ـ يظلُّ يخاتلُ بوّابَهُ
ويسترقُ السمع خلفَ السجوف
١٢ـ فقد مرَّ شهرانِ لم يأتني
له خبرٌ غير قولٍ حصيف
١٣ـ له ظاهرٌ وله باطنٌ
يشوبُ الرجاءَ بهولٍ مخوف

١٤ـ فـإنْ خروفاً فـلا تَلحَـــهُ
خـروفٌ وإنْ لـم يجلـل بصـــوف

١٥ـ فلو شـاءَ فـرَّج عـن أمـــرهِ
وفــرَّج غمـــةَ قلـــبٍ أســـوف

١٦ـ أبـا دُلَـفٍ دلفـتْ حـاجتي
إليـك ومـا خِلتُهـــا بالدلـوف[٢]

١٧ـ وكلّفنيـكَ الهـوى والمُنى
وهمـةُ نفسٍ ألـــوفٍ عَـــزوف

١٨ـ فأمســى فـؤادي لـه حنَـــةٌ
إليــكَ حنـــينَ العجـوزِ الألـوف

١٩ـ ومَنْ لـكَ إنْ كنتَ ذا إربـــةٍ
مـــن العالـمين بشـــيخٍ وصيـف[٣]

٢٠ـ يفرّجُ عنـكَ سـدولَ الهمـو
مِ ويعلـــو الخطـوبَ برأي حصيـف

٢١ـ ويلقـاكَ إنْ أنـتَ كشفتَـــهُ
بسرٍّ عفيـــفٍ وجَهـــرٍ طريــــف

٢٢ـ لــه كَلِـمٌ فيـكَ معقـــولةٌ
إزاءَ القلـوبِ كركـبٍ وقـــوف[٤]

٢٣ـ فإنْ كنتُ قد حُزتَ لي ضيعـةً
مـــن المرغمـــاتِ لِئـــامَ الأنـوف

---

(٢) هذا البيت في البيان والتبيين ١/١١١ وديوانه ٤٧ .
(٣) في عيون الأخبار ٣/١٧ وديوانه ٤٧ والرواية فيهما :
تملك ان كنت ذا اربـة ومن العـالمين لشـيخ وصيـف
(٤) في البيان والتبيين ١/١١٢ وديوانه ٤٧ .

٢٤ـ تـدرُّ عـليَّ أحاليبُهـا
دُرورَ خِلوفِ الصفيِّ الصَفوف[٥]

٢٥ـ منمنمةٌ مثلَ مرطِ العَرو
سِ بَروحٍ صَنوفٍ ورَوضٍ نَطوف

٢٦ـ ترى كلَّ خضراءَ مثلَ الفتا
ةِ تراءَتْ لخُطّابِها في الشفوف

٢٧ـ كأنَّ صفيرَ عصافيرها
بأغصانِها سامرٌ ذو عزيف

٢٨ـ اذا استننتْ الريحُ في فرعِها الـ
صبوح (سمعتَ) اصطفاقَ الدفوف[٦]

٢٩ـ كأنَّ فواكهَهَا بعدما
تشرّصُ على صفحاتِ الرفوف

٣٠ـ تُضاحِكُ من حُسنِها بنتها
وقد لحقتْ بأعالي السقوف

٣١ـ طرائفَ أذْخَرُها للعبادِ
وللزورِ والطارقِ المستضيف

٣٢ـ كأنَّ الكروم إذا أقبلت
بسلكين من يانعٍ أو وطيف

٣٣ـ فروعُ عذارى بني عامرٍ
يحسِّرنَ عن نَطفَاتِ الشنوف

---

(٥) الخلوف : ضرع الناقة والصفوف : الناقة الكثيرة اللبن .
(٦) في (م) : استفاق الذفوف . وسقطت كلمة (سمعت) فاثبتناها ليستقيم الوزن والمعنى .

٣٤ـ وهـذا زَبيـبٌ لأضيافِهـا
وهـذا حبيسٌ بطـونَ الخُلوف (٧)

٣٥ـ حـلالا طـابخ
كهـل حنيـف (٨)

٣٦ـ كأنَّ خناديقَ جيشِ الملوكِ
سطورُ أخاديدِ حَربٍ صفوف

٣٧ـ إذا الـزرعُ أسبلَ واستأسدتْ
أسِرَّةُ نَبتِ جميعِ الصنوف

٣٨ـ حَسبتَ على سُوقِهِ وقَّفاً
مُسمئلةً وطيوراً عكوف (٩)

٣٩ـ لظَلَّتْ بَيادِرُه ترتمي
بأظعانِ مُعتدلاتٍ حنوف

٤٠ـ ترى كلَّ كدسٍ كقصرِ الأميرِ
أحاطَ به بيدرٌ كالحليف

٤١ـ كأنَّ المواشي بينَ الرياضِ
بُعيدَ الشتاءِ وقبلَ المصيف

٤٢ـ عَرائفُ من خَثعمٍ هاجروا
فحلّوا أسرَّةَ وادي ثقيف (١٠)

---

(٧) الخلوف هنا : الخلق من الوطاب : وهو يقصد النبيذ في عجز هذا البيت.

(٨) كذلك رسم الناسخون هذا البيت ، وهو مضطرب محرف لم اهتد الى وجه الصواب فيه .

(٩) وقفا : جمع اوقف : وهو الطير الذي في يديه حمرة تخالف سائر بدنه . ومسمئلة : جمع مسمئل : وهو طائر ايضا .

(١٠) في (م) عرائق من خثعم .

٤٣- يُراعي الكباشَ خلال النعاجِ
في ظلِ مَسْرجٍ ونجدٍ ظَليفِ[١١]

٤٤- ترى كلَّ أملحَ ذا حمرةٍ
وأعيسَ أهدبَ سبطَ الصنيف[١٢]

٤٥- يَحيسُ ويختالُ في مشيه
من البَغْي مثلَ اختيالِ العَريف[٣١]

٤٦- يُحاضرُ بلجاءَ مثل الفتاةِ
أدنَتْ على الخدِّ فضلَ النصيف[١٤]

٤٧- يظلُّ بها يعتري موضعاً
يشقُّ جوانبَها بالظلوف

٤٨- حَوامي الكِلي مُدمَجات الشَوى
غِلاظُ الرقابِ عِراضُ الدفوف

٤٩- ترى كلَّ وقصاءَ مثلَ العروسِ
هَموسَ السُرى في نواحي العَزيف[١٥]

٥٠- تريغُ إلى مُخرَجٍ دعلجٍ
دعَاها إليه درورُ الخلوف[١٦]

٥١- وأغلب فضفاض جلد اللبانِ
يدافعُ غبغبَهُ بالوظيف[١٧]

(١١) ظليف : مرتفع . (١٢) الصنيف : الهدب .
(١٣) يحيس : يسحب ذيله ويختال في مشيه والأحوس : الجريء .
(١٤) يحاضر : يسابقها في الجري . والنصيف : الخمار .
(١٥) الوقصاء : القصيرة العنق ، والعزيف : المكان المقفز يسمع به عزف الرياح .
(١٦) المخرج : كبش له لونان ابيض واسود ، ودعلج : حسن الوجه .
(١٧) البيت في الحيوان ١٩٣/٧ وديوانه ٤٧ والغبغب : ماتدلى من الجلد تحت الحنك ، والوظيف : مقدم الساق . وفي (م) : كالعطيف .

٥٢ـ فحُولاً تَعَدَّتْ لأيامها
أقاطيعَ من سَائمٍ أو عليف

٥٣ـ فيوماً تَغدَّى على بَدْئِها
ويوماً تَعشَّى خلالَ العنيف (١٨)

٥٤ـ ويوماً تُقلَّدُ أرسانُها
طوالعَ من طولِ كرِّ الوَجيف

٥٥ـ قوافلَ من سفرٍ نازحٍ
بكلِّ فتىً شنَنْشَنِيٍ خفيف

٥٦ـ ويوماً يفيءُ لفرسانِها
من الوحشِ كلُّ زهوقٍ سحوف

٥٧ـ يَلَهوَجُ بينَ غريضِ اللحامِ
والدهنُ من كسبِها والصَّفيف(١٩)

٥٨ـ لقاحاً تدرُّ على المُترين
غريضَ الحليبِ ومحضَ الصريف

٥٩ـ كأنَّ ضَريبَ جَنِي الشها
دِ فيها سبائجُ قطنٍ نديف

٦٠ـ يطيفُ بها (النحلُ) ثبتَ الجنانِ
ماضي الحُميَّا خفيفٌ دفيف(٢٠)

---

(١٨) البدء : المرعي السيء والعنيف : اول المرعى واحسنه .

(١٩) في (م) : مترج بين . ولهوج الشواء : لم ينضجه . وغريض اللحام الطرية والصفيف : الشواء .

(٢٠) سقطت كلمة (النحل) فاثبتناها ليستقيم الوزن والمعنى . والحميا : تصغير الحمى وهي التي يلدغ بها .

٦١ــ شـوامِذ فيهـا بأذنابِهـا
دِقـاقُ الخصورِ لِطافُ الطروف(٢١)

٦٢ــ عوامِـلُ تـأوي بمـا يُجتنَـى
الى سـهلاتِ الأحـاليلِ جـوف

٦٣ــ لهـا أزْمَـلٌ حـولَ بنيانِهـا
كهمهمـةِ الرعـدِ أو كالقصَيـف (٢٢)

٦٤ــ هي الأمُّ تجمـعُ قوتَ العِيـالِ
وتقضي مذمَّـةَ حَـقِ الضيـوف

٦٥ــ وتجـبرُ للجـارِ مـن كَسرِهِ
وتحمـلُ كَـلَّ الفقيرِ الضَعيـف

٦٦ــ ويضحى النهـارَ بهـا خِلفـةٌ
شَريجـانِ مـن شـارعٍ أو حريف (٢٣)

٦٧ــ وهـذا يَبيـعُ وذا يشـتري
وهـذا يُعـالجُ نقـدَ الأُلـوف

٦٨ــ وشَيخُـكَ منتصـبٌ بينهم
بقَلـبٍ نبيـلٍ وجسـمٍ نَحيـف

٦٩ــ فهـاتيكَ هَمِّـي وفيهـا الرضا
ولسـتُ بـراضٍ بـأمرٍ طَفيـف

٧٠ــ فـإن كنت قـد حُزتهـا منعمـاً
كوصـفي فَوقيِّتَ شـرَّ الحتـوف

(٢١) شوامذ : رافعة اذنابها .
(٢٢) أزمل : صوت .
(٢٣) الشريج : النهر ، وشارع : مستقيم . وحريف : نهر منحرف .

٧١ـ فـأنتَ الشريـفُ وفوق الشريفِ
وأنـتَ العفيـفُ وفـوقَ العفيــف

٧٢ـ وإلاّ فـإنّي امــرؤٌ لـم أزلْ
ألاقـي الرجـالَ بنفـسٍ عـَزوف

٧٣ـ أصـونُ الإخـاءَ وأجزي البلاءَ
وألبسُ للنـاسِ ثـوبَ العــروف

٧٤ـ أبـا دُلَـفٍ لا تهاون بهـا
ولا تلقهـــا في غمـارِ اللفيــف

٧٥ـ فلسـتَ بواجـدِ أُختٍ لهـا
بمـا بـينَ مـصرَ وبـينَ القطيــف

٧٦ـ وإلاّ فقـامتْ عـلى قاسـمٍ
نَوائـحَ كـلِّ رَنـونٍ هتـوف

ابو الشيص :

ابو جعفر محمد بن عبدالله بن رزين ، ينتهي نسبه الى خزاعة وابـو الشيص لقب غلب عليه ويرجح محققه الاستاذ الفـاضل الدكتور عبـدالله الجبوري انه ولد في الحقبة المحصورة بين سنتي (١٢٦ ـ ١٣٦) في الكوفة ونشأ بها وطبع ديوانه سنة ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ باسم اشعار ابي الشيص الخزاعي للمحقق نفسه واعيد طبع اشعاره مرة ثانية باسم ديوان ابي الشيص الخزاعي عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ . وهذا الاستدراك على طبعته الجديدة .

قال ابو الشيص ١/١٨٦

الحمــد للــه رب العــالمين عــلى
بعــدي وقربــي مــن غــي وارشــاد

مـا صـرت الا ككمـون بمزرعـة
يحيى بـذكر أمـانيٍّ وميعـاد
لم يبـق لي فـوق وجه الأرض مضطرب
وليـس تثبـت فـوق المـاء أوتـادي
اذا استتب لنـا وصـل نعيـش بـه
عدنـا وعـاد هوانـا في ابـي جـاد

وقال ابو الشيص ٤/٣٢٧

قضيـت على نفسـي مخـافة سـخطها
ولي حجج في الحـب أضوى من الشمس

وقال ٤/٣٣٠

قلبـي مُحـابٍ لـكم راض بحبـكم
اسـترزق اللـه قلبـاً لايحابيـكا

ويضاف الى القطعة [٢٣] البيت الذي ورد في الجزء الثاني ٢٦٥ في الوزير يعقوب بن داود وزير المهدي :

وليـس يعقـوب كالمبـدي منـا صحـة
وغِـلّه كامـن كالنـار في العـود

وقال في هامش الصفحة ٢/١٩٥

ابكيـك والعـين لهـا حرقـة
مـن دمعـة هـاجت ولـم تسـكب
ان تذهـب الـدار بسكانهـا
فـان مـا في النفـس لـم يذهـب

ان كـــان ذنبي طـول حـبي لـكم
فـــاعف فــاني لســت بالمذنـب

ايزون العمـاني .

شاعر عماني لقبه الكافي ، انفرد صاحب كشف الظنـون بذكر تاريـخ وفاته عام ثلاثين واربعمائة . نشر ديوانه الاستاذ المحقق هلال ناجي في حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ وقدم له بدراسة اوضح فيها انه ولأول مرة يكشف عن شاعر لم يدرس من قبل ولم يهتد لجمع شعره وكان مجهولا من قبل الكثيرين وفي عام ١٩٨٢ وفقه الله للحصول على مصورة مخطوط أصله في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وهو مجموع شعري يضم مختارات لعدة شعراء . ويحتجن المختار ثلاثمائة وتسعة وخمسين بيتاً ويقع المختار في عشر ورقات وقد وجد المحقق في هذا النص منطلقـاً لاحياء الشاعر وتطوير دراسة حياته في ظل النصوص الجديدة وقد ذيله بمختارات مـن شعر الشاعر تناثرت في بعض المخطوطات والمطبوعات مما ليس له وجـود في المختار من شعره وقد ضم الذيل سبعين بيتا وقد استدركت عليه بهاتـين القطعتين .

قال ابزون بن مهبزذ العماني ملغزا في البحر اولها :

وما صـــاحب أدت بـــه خيـــلاؤه
الى أن مشى عرضـــاً وذاك عجيـــب

يجـر فضـول الذيـل طـوراً وتـــارة
يشـمر عنـه الذيـل وهـو مهيـــب

كفيـــل بـأرزاق العبـــاد مـــوكل
أكـول لأرزاق العبـــاد شـــروب

بغيض الى بعض الرجال وإنه
لعند رجال آخرين حبيب

وقال ابزون العماني ١/٣٠٥
لقد ذم طول الليل في الحب معشر
اضرّ بهم في ليلهم الم الهجر
وما لقصير الليل عندي رونق
على مذهبي حتى يكون بلا فجر
اذا بات من أحببته لي معانقا
فياليت ليلي كان أطول من عمري

ابو علي البصير :

شاعر عباسي نشر شعره الدكتور يونس احمد السامرائي في الجزء الثاني من كتاب شعراء عباسيين وطبع في بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م وقدم له دراسة مستفيضة تناول حياته وشعره ونثره .

قال ابو علي البصير :
اذا كنت لاتدري ولم تك بالذي
تسائل من يدري فكيف اذاً تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل
فمن لي بأن تدري بانك لاتدري
اذا جئت في كل الأمور بنعمة
فكن هكذا أرضاً يطاك الذي يدري
ومن أعظم البلوى بأنك لا تدري
وانك لا تدري بأنك لا تدري

قال ابو علي البصير ٥/٢٠٩

واذا تنـــــكّر لــــي اخٌ
تـــاركته في حُســـن مَـــسٍّ
وصرفـــتُ عنـــه مودتـــي
فـأرحتـه وأرحـــتُ نفـــسي

ويروى ..

وطويت نفسي دونه ..

وقال ابو علي البصير ٥/٣١٤

مُوَرّدةٌ طـافت فأحيـتْ جوانحـاً
قفـاراً جفاهـا الخصبُ والعيشة الرغْدُ
مذاقتهـا شـَهدٌ ونكهتهـا نـدٌّ
وعيشتهـا رغـدٌ وصبغتهـا وردُ
ومـا الخلدُ في الدنيـا بعيـش تطيلـهُ
ولكنمـا عمـرُ السرور هـو الخلْدُ

الحمـاني العلوي :

جـ ٢/٢١٤

قال الحماني يمدح ٥/٥٢٢

يـلقى السـيوف بوجهـه وبنحـره
ويقيـم هـامته مقـامُ المغفـر
ويقـول للطـرف اصطبـر لشبـا القنـا
فهدمـت ركـن المجـد إن لـم تعقـرِ
نيطـت انـاملُه بقـائم مُرهـفٍ
وبنـشر فـائدة وذروة منـير

ما إن يُريدُ اذا الرماح شجرنه
ذرعاً سوى سربال طيب العُنصر
السيف والرمح خدام له أبداً
لا يبلغان له جداً ولا لعبا

جـ٢/٢٣٢

ألم اك يوم الروع أول طاعن
وان كنت وسط الحي كنت لهم مُزنا

١٤٨/٣

تعز بصبر لا وجدّك لا ترى
عراص الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى
وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

وذكر في الجزء الرابع ٢٨٢ أبياتا منسوبة الى محمد بن علي الحماني ومنها البيت الذي نسبه لعلي بن محمد الحماني في الجزء الثاني ٢١٤ • وهي :

في كفه صارم لانت مضاربه
يسوسنا رغباً ان شاء أو رهبا
السيف والرمح خدام له أبداً
لا يبلغان له جداً ولا لعبا
يرضى فيرضيها عن كل مجترم
ويغضبان على ذي النصح ان غضبا
تجري دماء الأعادي بين أسطره
ولا يحسّ له صوت اذا ضربا
فما رأينا مداداً قبل ذاك دماً
ولا رأينا حساماً قبل ذا قصبا

نِهَايَةُ الأَنْدَلُسْ

اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع

طبيعة الصراع بين الأندلس واسبانيا النصرانية

١ ـ حرب الاسترداد ومولد مملكة غرناطة :

يبدأ بقيام مملكة غرناطة طور جديد من أطوار الصراع مع العرب في الاندلس (Le Reconquista) ، وقد بدأت إسبانيا هذه الحرب منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، أي حينما تفككت الدولة الأسلامية في الأندلس ، وانتثرت إلى عدّة دويلات صغيرة متنافسة هي دول الطوائف . وبلغت الأندلس أيام الطوائف من التفرق والضعف مبلغاً عظيماً ، حتى لاح للاسبان أن عهد الدولة الاسلامية أوشك على الزوال ، وأنّ الفرصة قد سنحت لتضرب ضربتها الحاسمة . وكانت مملكة قشتالة تتزعمّ إسبانيا وتقودها في ميدان الصراع على المسلمين ، وكان ملكها الفونسو السادس يعمل بذكاء لاستغلال منافسة الدول الاسلامية وتفرّق كلمتها ، ويغلب أميراً على أمير ، حتى بالاستيلاء على مدينة طليطلة من يد صاحبها يحيى بن ذى النون . وذلك في صفر من سنة (٤٧٨ هـ ــ أيار ــ مايو ١٠٨٥ م) ، وكانت طليطلة أوّل قاعدة إسلامية عظيمة تسقط في يد الاسبان ويعتبر بعض الباحثين سقوطها ختام التفوق السياسي للمسلمين في الأندلس ، وبدأ مرحلة التفوّق السياسي لاسبانيا النصرانية . وعلى كل حال فقد كان سقوط طليطلة نذيراً خطيراً للمسلمين في الأندلس ، يذكرهم

بقوة العدو المتربّص بهم ، ويحذرهم عاقبة التنابذ والتفرّق ، فاجتمعت كلمة أمراء الطوائف يومئذ على الاستعانة باخوانهم فيما وراء البحر في عدوة المغرب ، وكان المرابطون يومئذ قد بسطوا سلطانهم على سائر بلاد المغرب ، وبدت دولتهم قويّة شامخة ، فاستجاب ملكهم يوسف بن تاشفين إلى صريخ الأندلس ، وكانت هزيمة إسبانيا النصرانية على يد قوّات المغرب والأندلس في معركة الزلاقة(٤٧٩هـ - ١٠٨٦ م) فاتحة حياة جديدة للأمة الأندلسية . ولما اضمحل سلطان المرابطين في الأندلس بعد ذلك بنحو ستين عاما . خلفهم الموحِّدون في ملك المغرب والأندلس ، فاحرزوا على الاسبـــان نصراً حاسماً في معركة الأرك الشهيـــرة ، التي انتصرت فيها جيوش يعقوب المنصور ملك الموحِّدين على جيوش الفونسو ملك قشتالـــة (٥٩٣ هـ - ١١٩٥ م) ، فانكمش الاسبـــان بعدها إلى مدى حين ، ولكنها عادت فاجتمعت كلمتها تحت لواء الفونسو ملك قشتالة ، وسارت الجيوش المتّحدة إلى لقاء المسلمين بقيادة ملك الموحِّدين محمد الناصر ولد يعقوب المنصور ، فأصيب المسلمون في موقعة العقاب بهزيمة فادحة (٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م) وأخذ سلطان الموحِّدين في الأندلس يتداعى من ذلك الحين ، وبدأ مصير الأندلس يهتزّ في يد القدر . ولم تمض مدة وجيزة أخرى ،حتى بدأت قواعد المسلمين في الأندلس تسقط تباعاً في يد الاسبان : قرطبة (٦٣٣ هـ) ، بلنسية (٦٣٦ هـ) ، شاطبة ودانية (٦٣٨ هـ) . مرسية (٦٤١ هـ). إشبيلية (٦٤٤ هـ) ، وهكذا سقطت عدة من قواعد الأندلس التالدة ، ومنها عاصمة الخلافة القديمة في يد إسبانيا النصرانية في مدة عشرة أعوام فقط . ولقيت الأندلس أعظم محنها في تلك المدة العصيبة .ولاح لاسبانيا النصرانية أنّ حرب الاسترداد القومية لن تلبث حتى تتوّج في أعوام قلائل أخرى . بالقضاء على ما بقي من تراث الاسلام في الأندلس .

ولكن شاء القدر أن تمخّض هذه المحنة التي اجتاحت الأندلس في أوائل القرن السابع الهجري ، عن قيام دولة إسلامية جديدة ، هي مملكة غرناطة ، تتمتّع من صغرها بكثير من عوامل الفتوة والحيويّة . وفي الوقت الذي خيِّل فيه

لاسبانيا النصرانية أنها أصبحت على وشك الاجهاز على المملكة الاسلامية ، كانت بذور صراع مرير طويل الأمد تنمو وتتوطّد . وإذا بالنهاية المرجوّة تستحيل إلى بداية جديدة . ولقد استطالت هذه المرحلة الأخيرة في حرب الاسترداد زهاء مائتين وخمسين عاماً ، ثبتت فيه المملكة الاسلامية في غرناطة لهجمات إسبانيا النصرانية المستمرة ، وعملت على استغلال كلّ فرصة للمطاولة والمقاومة ، وأبدت في الجهاد على صغر رقعتها وضآلة مواردها ، بسالة عجيبة . وكانت كلّما شعرت بالخطر الداهم يكاد ينقضّ عليها ويودي بحياتها ، استغاثت بجارتها المسلمة من وراء البحر ، أو عصفت باسبانيا النصرانية ريح الخلاف والتفرّق ، فشغلتها عن إرهاق المملكة الاسلاميّة حيناً من الوقت ، حتى شاء القدر بعد طول الجهاد ، أن تنتهي هذه المعركة القاسية الطويلة ، إلى نهايتها المحتومة ، وأن تنهار المملكـة الاسلامية الصغيرة تحت ضغط القوّة القاهرة ، وأن تختتم حياتها المجيدة أبية كريمـة .

٢ ـ طبيعة الصراع الاسلامي النصراني في الأندلس :

إستمر هذا الصراع قروناً بين الدويلات العربية ،وبين الدول الاسبانية ، وكانت العوامل القومية والدينية تمتزج بأدوار هذا الصراع في معظم أطواره ، وكانت تشتد حيناً وتخبو حيناً تبعاً لتطوّر الحوادث . ولما افتتح المسلمون إسبانيا ، وسيطرت الدولة الاسلامية على معظم أنحائها ، قامت المملكة الاسبانية النصرانية الناشئة في قاصية الشمال ، ترقب الفرص للتوطدّ والتوسّع . بيد أنها لم تجرؤ على تحدى المملكة الاسلامية والنزول إلى ميدان الحرب قبل أواخر القرن التاسع الميلادي ، ففي ذلك الوقت اضطرمت الأندلس بالفتن والثورات الداخلية ، وشغلت حكومة قرطبة بأمر الثوار ، وكانت غزوات الملوك الاسبان لاراضي الدول العربية يومئذ، غزوات عبث يغلب عليها حبّ الانتقام وجمع الغنائم والاسلاب ، ولم يكن يطبعها شيء من تلك الروح الدينية العميقة ، التي جمعت أوروبا النصرانية تحت لواء كارل مارتل لمحاربة العرب على ضفاف اللّوار ،والتي حفّزت شارلمان فيما بعد إلىعبور

جبال البرنيه وغزو الأندلس أيام عبدالرحمن الداخل . غير أنّه لما اشتدّ ساعد الأندلس في أيام عبدالرحمن الناصر (أوائل القرن العاشر الميلادي) وظهرت المملكة الاسلامية في أوج قوّتها وظفرها . ونفذت الجيوش الاسلامية غير مرة إلى أعماق ممالك الاسبـــان ، وشعر الاسبـــان بالخطر الداهم على كيانهم ، أخذت العوامل الدينية والقومية تستيقظ من سباتها ؛ واتّحدت المملكتان النصرانيتان : ليون ونافار على مقاومة الخطر الاسلامي . وكانت المعارك التي نشبت في تلك المدّة في عهد أردونيو الثاني وولده راميرو بين المسلمين والنصارى ، تحلوها من الجانبين فوق نزعتها القومية ، نزعة دينية واضحة ، فكانت غزوات المسلمين تحمل الجهاد ، ويهرع أهل الثغور إلى مرافقة الجيش لمقاتلة الاسبان ، وكان يرافق جنود الاسبان إلى القتال جموع غفيرة من الأحبار ورجال الدين ، يسقطون إلى جانب الفرسان في ساحة الوغى . وكانت هذه الصبغة القومية الدينية تبدو كلما اشتدّ الخطر من الجنوب على إسبانيا النصرانية . ففي أواخر القرن العاشر ، في عهد الحاجب المنصور ، حينما اشتدّت وطأة الأندلس على إسبانيا النصرانية ، وغزا المسلمون أقصى وأمنع معاقلها الشمالية ، اتّحدت الممالك النصرانية الثلاثة : ليون ، وقشتالة ونافار ضد المسلمين في جبهة دفاعية موحّدة وبدت كذلك موحّدة الرأي والقوى ، حينما عبرت جموع البربر إلى الأندلس تحت لواء المرابطين ، لتنقذ الأندلس من خطر الفناء الذي كان يهدّدها ، من جرّاء تفرّق ملوك الطوائف . وكانت معركة الزلاقة تحمل في نظر المسلمين طابع الجهاد في سبيل الله ، وتطبعها في نظر الاسبان صبغة صليبيّة واضحة ، وكانت نصراً للأندلس على إسبانيا وكذلك كان نصر المسلمين أيام الموحّدين في موقعه الأرك ، ثم هزيمتهم بعد ذلك في موقعة العقاب ، يحمل كلاهما من الجانبين هـــذا المعنى الدينيّ العميق . ويجب أن نذكر أنّ الحروب الصليبيّة بدأت في المشرق بعد معركة الزلاقة بقليل ، واستمرّت تضطرم ايضاً في مصر والشّام

زهاء قرنين . وبلغت ذروتها أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي معاصر السلطان يعقوب المنصور الظافر في معركة الأرك . ولم يكن شك في أنّ النزعة الصليبية التي دفعت بجحافل الغرب إلى الشرق الاسلامي ، كانت تحـدث صـداها قوياً في إسبانيا وفي الغـرب الاسـلامي . وفي الوقت الـذي كانت فيـه جيـوش الصليبيين تحـاول أن تغـزو مصـر في المشرق أوائل القرن السابع الهجري ، كانت قواعد الأندلس الكبيرة تسقط في أيدي الاسبـان ، وكانت إسبـانيا تبـدو يومئذ إزاء الأندلس موحّـدة الرأي والقوى ، كما كانت الجيوش الصليبية الأوروبية تسير إلى الشرق متحدة لتحقيق الغرض المنشود .

وقد ظهر صدى النزعة الصليبية في إسبانيا على شكل آخر ، هو قيام الجماعات الدينية المحاربة ونعرف أنّ جماعات الفرسان الدينيّة قامت في الشرق في ظلّ الصليبيين ، واشتهر منهم بالأخص جماعة فرسان المعبد أو « الداويّة » ، كما تسميهم الرواية العربية ، وفرسان القديس يوحنا أو الاسبتارية ، وكانت هذه الجماعات الدينية المحاربة ، تشدّ أزر الأمراء النصارى وتؤدى للصليبيين أثناء السلم والحرب خدمات جليلة . كما أنّ قيامها في المشرق كان أثراً من آثار المعـارك الصليبية ، فكذلك قيامها في إسـبانيا كان أثراً من أثار الصراع بين النصرانية وبين الأندلس المسلمة ، ذلك أنّ بعض الفرسان والرهبان الورعين المتحمسين ، كان يحزنهم تفرّق الصليبيين وتخاذلهم أحياناً في مقاتلة المسلمين وكانوا يرون أنّه لابدّ من قيام جماعات غيورة مخلصة من الفرسان ، تنذر نفسها للدفاع عن الدين وعن الأراضي النصرانيّة . وكانت قدوتهم في ذلك جماعات المسلمين من أهل الثغور والمرابطة ، فقد كانت هذه الجماعات المجاهدة التي ترابط عنـد حدود الأراضي الاسلامية ، تبـدى في القتـال بسـالة منقطعة النظير ، وتؤدى للجيوش الاسلامية أجلّ الخدمات . فلما أنشئت جماعة فرسان المعبد (الداوية) في بيت المقدس سنة (١١١٩ م) عقب قيام المملكة اللاتينية

بقليل ، كان لقيامها صدى عظيم في إسبانيا ، ولم تمض أعوام قلائل ، حتى قامت أول جمعية دينية محاربة في أراغون على عهـد الفونسـو المحارب ، في صورة فرع لجماعة فرسان المعبد ، وأبدى الفونسو في تأييدها حماسة ، وانتظم في سلكها الكونت ريموند برنجار أمير برشلونة ، وأقطعت عدة حصون وأراضي شاسعة عن حدود أراغون ، كما احتلت عدداً من الحصون في قشتالة ونمت بسرعة، وأخذت تضطلع في ذلك الحين بدور مهم في سائر المواقع التي تنشب بين العرب والاسبان .

وقامت في قشتالة بعد ذلك بقليل أعظم الجمعيات الدينية المحاربة ففي أواخر عصر القيصر الفونسو ريموند يس (١) ملك قشتالة، قامت حوالي سنة (١١٥٠م) جمعية فرسان دينيّة قوية في بعض أديار منطقة شلمنقة ، وسمّيت بجمعية القديس يليان ، ثم سمّيت بعد ذلك بجمعية فرسان القنطرة . وفي وفي سنة (١١٥٨ م) قامت جمعية دينية محاربة أخرى ، ربما كانت أشهر وأقوى جماعات الفرسان التي ظهرت في إسبانيا في هذا العصر ، وهي جمعية فرسان قلعة رباح » ، ونشأت لأول أمرها على يدجماعة من الرهبان الذين أبلوا في الدفاع عن تلك القلعة الحصينة ضد المسلمين، واتخذت قلعة رباح مركزاً لها، وقامت أيضاً في البرتغال عدّة فروع لفرسان المعبد (الداوية) وفرسان القديس يوحنا (الأسبتارية .) . وظهرت هذه الجمعيات الدينية المحاربة ولا سيّما فرسان القنطرة وفرسان قلعة رباح في كثير من المعارك التي نشبت في تلك العصور بين المسلمين والنصارى . وكان تدخلهم في كثير من الأحيان من عوامل النصر والانقاذ للجيوش النصرانية . بيد أنّهم بالرغم من صفتهم الدينية والصليبية ، كانت تحدوهم بواعث وأطماع دنيويّة . وكان ظمأ الكسب واجتناء المغانم روحهم المسيِّرة . وكانوا يسيطرون على قلاع كثيرة وأراضٍ واسعة ، ويعيشون في بذخ وترف . بما يحصلون عليه من الاقطاعات والهبات والنذور الوفيرة ،

(١) Alfonso Raimundez ، وتعرفه الرواية الاسلامية باسم ادفنش ابن رمند أو السليطين .

وكان تدخلهم في شئون السياسة والعرش يشتدّ أحياناً ويفضي إلى أحداث وتطورات خطيرة .

كانت إسبـانيا حين بدأت حـرب الاستـرداد الحقيقـة في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي ، عقب سقوط القواعد الأندلسية الكبيرة ، تجيش جانب نزعتها القومية بهذه النزعة الصليبية الواضحة ، على أنه يمكن القول إنّ ظهـور هـذه النزعة الدينية العميقة في حروب الاسبـان على المسلمين ، لم يكن ملحوظاً بصورة واضحة حينما كان التفوّق في القوة للأندلس المسلمة أيام الدولة الأمويّة ، وحينما كان ثمـة نوع من التوازن في القوى السياسية والعسكرية بين الأندلس المسلمة وإسبانيا النصرانية أيام المرابطين والموحّدين ، وتدل حوادث التاريخ الأندلسي حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، على التعصّب القومي والديني لم يكن دائماً ظاهرة بارزة بين النصارى والمسلمين ، فقد كان الفريقـان المتحاربان يحترم بعضهم بعضاً ،وكان التعصّب الديني قاصراً على جماعات القساوسة والأحبار ،لأنّ المسلمين كانوا متسامحين للغاية مع المسيحيين ، حتى وصف المسلمون بالأناشيد الأسبانية القديمة بأنّهم خصوم شرفاء ، ولا يشعر النصارى نحوهم ببعض ، لأنهم وجدوهم أفضل معاملةً من القوط وأعدل حكماً وأكثر تسامحاً وأقل ضرائب مفروضة على النصارى ، يقول دوزى : « إنّ الفارس الاسباني في العصور الوسطى ، لم يكن يحارب من أجل دينه أو وطنه ، بل كان مثل « السيد » يحارب لكسب عيشه سواء في ظلّ أمير مسلم أو أمير نصرانيّ . ولقـد كان السيد نفسه أقرب إلى روح المسـلم منه الى الكاثوليكي » (٢) وفي حياة « السيد » الكمبيادور (الكنبيطور) (٣) نفسه

Dozy : Recherches sur L'Histoire et Littérature de L'Espage Pendant le moyenâge ; V. 11. P. 203 & 233.

(٣) وبالاسبانية (El Cidcampeador) ومعناها : السيد الباسل جدا .

أوضح مثل لاتّجاهات الفروسية الاسبانية في تلك العصور ، فقد نشأ « السيد » وظهر في كنف أمير مسلم ، وتقلّب في خدمة الأمراء المسلمين والنصارى على السواء ، بل لقد خدم الأمراء المسلمين أكثر مما خدم الأمراء النصارى ، ولو لم يمت وهو في خدمة الجانب النصراني ،لما حفلت به الأساطير الاسبانية،ورفعته إلى مرتبة البطل القومي(٤) . وفي أحيانٍ كثيرة، نرى المرتزقة من الفرسان والجند النصارى يعملون في الجيوش الاسلاميّة . وفي مواطن عديدة من تاريخ إسبانيا النصرانية ، نرى الملوك والأمراء الاسبان خلال الحروب الأهلية يلوذون بحماية الأمراء المسلمين ، فقد لجأ سانشو ملك ليون إلى حماية عبد الرحمن الناصر حينما استأثر أخوه أردونيو بالملك دونه ، ولجأ الفونسو السادس ملك قشتالة إلى حماية المأمون بن ذى النون أمير طليطلة حينما تغلّب عليه أخوه سانشو الثاني وعاش في بلاطه حتى توفى أخوه ، فلما ارتقى عرش قشتالة كان أعظم مشاريعه أن ينتزع طليطلة من يد القادر بن ذى النون ولد المحسن إليه . وفي سنة ٩٩٠ م قدّم برمودد (برمند » الثاني أخته زوجة لحاكم طليطلة المسلم. ولم يكن زواج الأمراء المسلمين من الأميرات والعقائل النصارى أمراً نادرا ، وربما كان تاريخ بلنسية

(٤) يختلف التفكير الغربي في تقديره للسيد الكبيادور ومنزلته من البطولة، فيرى دوزي في كتابه : (Le Cid) نه ليس سوى جندي مغامر يجمع في شخصه من رذائل عصره اكثر مما يجمع من فضائله . ويجاريه في هذا الراي معاصره الفرنسي رينان ، ويقول : «انه لم يفقد بطل بخروجه من حيز الاسطورة الى حيز التاريخ كما فقد السيد» . ولكن الاسباني منذث بيدال يخالف هذا الراي ، ويبالغ في تقديره للسيد ويقول : « ان الشعر والتاريخ يتفقان في شأنه ، وانه بالعكس لايوجد بطل ملاحم اكثر لمعانا منه في ظل التاريخ» .
وهكذا فقد دأب المؤلفون الاسبان على الانحياز المطلق ، بل التعصب لكل ماهو اسباني .

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أسطع مثل لهذا الامتزاج والتفاهم بين الفريقيين المتحاربين . ولم يحجم أمراء المرابطين في الأندلس حينما انهارت دولتهم في إفريقيّة وكل ّالموحّدون في انتزاع الأندلس من أيديهم ، عن الاستعانة بالفونسو ريمونديس ملك قشتالة وحليفه غرسية ملك نافار على محاربة الموحدين . ولم ينقطع هذا التعاون بين المسلمين والنصارى . حتى بعد أن بدأت مرحلة الاسترداد الأخيرة ، فقــد كان محمد بن الأحمر في بداية أمره ينضـوى كما ذكرنا تحت حماية ملك قشتالة . ونجد من الجانب الآخر أمراء النصارى يلوذون من وقت إلى آخر بحماية المسلمين ،حتى من ذلك الوقت الذي تضاءلت فيه المملكة الاسلامية فنرى الأنفانت فيليب حينما ثار على أخيه الفونسو العاشر . يلتجيء مع جماعة من النبلاء إلى حماية أبي يوسف المنصورملك المغرب . ويستقرّ ضيفاً على بلاط غرناطة ، حتى انتهى ملك قشتالة إلى مصالحتهم واسترضائهم (١٢١٨ م) ، وفي سنة (١٢٨٢ م) اضطر الفونسو العاشر نفسه حينما ثار عليه ولده سانشو وانتزع منه العرش ، إلى الاستعانة بالسلطان أبي يوسف ، وأرسل إليه تاجه مقابل ما ينفقه على معاونته ، فاستجاب إليه وأمدّه بالمال والجند ، وفي سنة (١٣٣٢م) قام حاكم الفرنتيرة النصراني ضده مليكه الفونسو الحادي عشر ، وتحالف مع غرناطة وعاون بذلك في ردّ النصارى من جبل طارق . وكانوا على وشك الاستيلاء عليه . ولما نشبت الثورة ضد ولده بيدرو القاسي (دون بطره) ونزع عن عرشه ، ونشبت بينه وبين خصومه موقعة مونتيل الفاصلة سنة (١٣٦٧) ، كان إلى جانبه فرقة من الفرســان المسلمين ، أمدّه بها حليفه الغنيّ بالله ملك غرناطة ، وهكذا كان التعاون السياسي والحربي يجرى بين الفريقين من آونة إلى أخرى ، حتى في تلك العصور التي مال فيها نجم الأندلس إلى الأفول ، ولم تكن تحول دون عقده عوامل القومية والدين . وكانت العلاقات التجارية أيام السلم تجرى بانتظام . وتنظّم بمعاهدات وديّة بين الفريقين ، ومن ذلك معاهدة الصداقة والتحالف التي عقدها محمد بن يوسف

ملك غرناطة مع مرتين ملك اراغون . لتنظيم العلاقات والمبادلات الحرّة ، وتنظيم التحالف السياسي بين المملكتين (٥)

ويجب ألاّ ننسى ما كان هناك من علاقات المودة والتفاهم بين جماعات الفرسان من الفريقين . وقد كانت الفروسية الاسبانية في العصور الوسطى ، تقتبس كثيراً من تقاليد الفروسية الأسلامية وخلالها الرفيعة ، وتنظر إليها بعين التقدير والاحترام ، وكانت مباريات الفروسية تجمع بين أنبل الفرسان من الجانبين ، وكانت كثيراً ما تعقد في العاصمة الاسلاميّة في جو من العطف والحماسة ، ويهرع إلى شهودها ألوف من المسلمين والنصارى ، وكانت هذه الاجتماعات المثالية التي تتسم بالبهجة والتي تجمع بين العنصرين الخصمين أبعد ما تكون عن الاعتبارات القومية والدينية ، وقد كانت غرناطة التي اشتهرت بفروسيتها النبيلة البارعة مسرحاً لكثير من هذه المباريات الشهيرة .

تلك هي الصورة المتباينة ، التي تقدمها الينا معركة السلطان والقوّة ، ومعركة الحياة والموت . و الحرية والاستعباد ، بين الأندلس المسلمة واسبانيا النصرانية ، ذلك أنّ بواعث الدين والقومية لم تكن دائماً كلّ شيء في هذا الصراع المضطرم الطويل ، ومع ذلك فقد كانت النزعة الدينية للمسلمين والصليبية للنصارى ، تبدو كلّما لاح شبح الخطر الداهم على كيان أحد الفريقين ، أو كلّما اتخذ النزاع بين الفريقين صبغة حاسمة ، ولما شعر الاسبان أنها أضحت بعد الاستيلاء على القواعد الأندلسية الكبيرة ، وتضاؤل المملكة الاسلامية في مركز التفوّق والغلبة ، لم يكن ثمة ما يدعو لأن تتخذ حرب الأسترداد التي تلت بعد ذلك بين الاسبان وبين مملكة غرناطة ، ألواناً دينية أو قومية عميقة ، ذلك لأنّ معركة السلطان قد بتّ فيها نهائياً بظفر إسبانيا النصرانية . وأضحى القضاء على الأندلس مسألة وقت فقط . وكان الاسبان كلما

(٥) Lea : History of the Inqiustion ; V. 1. P. 52 — 55.

حاولت أن تعجل تحقيق هذه الغاية القومية الخطيرة ، عاقتها المنازعات والثورات الداخلية ، أو ردّها تدخل الدولة الاسلامية القوية فيما وراء البحر ، على أنّه ماكان يبدو تفكّك المملكة الاسلامية قوياً واضحاً، وما كادت حرب الاسترداد تدخـل في طورها الأخير ، حتى بدت النزعة القومية والدينية واضـحة قوية في جهة إسبانيا النصرانية للقضاء على مملكة غرناطة ، ولما اتحدث إسبانيا النصرانية نهائياً ، وتم اندماجها في مملكة موحّدة بزواج فرديناند ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة اتخذت حروب غرناطة الأخيرة لوناً صليبياً عميقاً ، يذكيها ويزيد من ضرامها حماسة هذه الملكة المتعصبة . ومن حولها الأحبار المتعصبون ، وأسبغ على فرديناند لقب « الكاثوليكي » ، وعلى ايزابيلا لقب « الكاثوليكية» ، وكان أول عمل قام به الجند القشتاليون حينما دخلوا غرناطة في (٢ كانون الثاني – يناير – ١٤٩٢ م) أن رفعوا الصليب فوق أبراج الحمراء ، ورفعوا إلى جانب علم قشتالة علم القديس ياقب ، وأقام الرهبان القداس داخل قصر الحمراء ، ودفنت الملكة ايزابيلا وزوجها فرديناند في غرناطة ، تنويهـا بظفرهما على الاسـلام ، وكانت سياسة الاسبـان إزاء الأمة الأندلسية المغلوبة ، منذ إكراهها على التنصير في عصر فرديناند ، على مأساة النفي النهائي في عهد فيليب الثالث ، تقوم على بواعث دينية وصليبية محضة يصوغها ويمليها أحبار الكنيسة ، ويدعمها ديوان التحقيق بقضائه الكنسيّ المروّع ووسائله الدموية ، وعلى الجملة ، فقد كانت جهود إسبانيا النصرانية في القضاء على الأمة الأندلسية ، تمثل منذ بدايتها إلى نهايتها مأساة من أروع وأشنع مآسي التعصب الديني والقومي التي عرفها (٦) التاريخ .

وهكذا ، فحين كان المسلمون أقوياء ، شاع تسامحهم في الأندلس ليس بين المسلمين حسب ، بل بين النصارى أيضاً ، فصانوا النصارى ومعابدهم ،

(٦) نهاية الاندلس (٦٦ ــ ٧٥) .

وأطلقوا الحرية الدينية إطلاقاً كاملا ، وكان النصارى بينهم سعداء غاية السعادة ، في أمن واستقرار ودعة .

فلما ضعف المسلمون وأصبح النصارى أقوياء ، نصّروا المسلمين قسراً ، وقتلوا وعذّبوا وحرقوا ، وأخيراً نفوا مابقّى من المسلمين في إسبانيا ، فلم يبق فيها مسلم واحد ، كأنهم لم يكونوا فيها قروناً ولم يعمروها .

مملكة غرنـاطة عقب وفـاة ابن الأحمر

١ ـ ولايـة محمد الفقيـه واحداث ايـامه :

لما توفى محمد بن الأحمر مؤسّس مملكة غرناطة ، خلفه في الملك ولده وولىّ عهده أبو عبدالله محمد بن محمد بن يوسف الملقّب بالفقيه لعلمه وتقواه ، وكان مولده في غرناطة سنة (٦٣٣ هـ ـ ١٢٣٥ م) ، وهو الذي رتّب رسوم الملك للدولة النصريّة ، ووضع ألقاب خدمتها ، ونظّم دواوينها وجبايتها ، وخلع عليها بذلك صفتها الملوكية . وكان يتمتّع بكثير من الخـلال الحسنة ، من قوّة العزم ، وبعد الهمّة ، وسعة الأفق ، والبراعة السياسية . وكان عالماً أديباً ، يقرض الشعر ، ويؤثر مجالس العلماء والأدباء(٧) . ولأوّل عهده نشط ملك قشـتالة الفونسو العاشر الى محاربة المسلمين ، وكان مثل أبيه فرديناند الثالث يرى أنّ دولة الاسـلام في الأندلس قد دنت نهايتها ، ويتربّص الفرصة بمملكة غرناطة الفتيـةّ . ويحاول كأبيه القضاء عليها قبل استفحال أمرها . ولم يكن ملك غرناطة بغافل عن الخطر الذي يتهدّده في مشاريع قشتالة . وكان محمد بن الأحمر قد أوصى ولده بالحرص على محالفة بني مَرين

(٧) الاحاطة (١/٥٦٥) .

ملوك العُدْوَة والاستنجاد بهم كلّما لاح شبح الخطر الداهم(٨) . وكان بنومرين ، وهم الذين استولوا على ملك الموحدين بعد ذهاب دولتهم ، يومئذ في عنفوان قوتهم ، وكانت مملكتهم الفتية ، تشغل في نظر الأندلس ونظر الاسبان نفس الفراغ الذي تركه ذهاب دولة المرابطين ثمّ دولة الموحدين ، وكان من الطبيعيّ أن تؤدي هذه الدولة الجديدة في ميدان السياسة والحرب نحو الأندلس نفس الدور الذي أدّته المملكتان المغربيتان الذاهبتان . وبنو مرين بطن من بطون قبيلة زناتة البربريّة الشهيرة ، التي ينتمي إليها عدّة من القبائل لعبت أدواراً بارزة في تاريخ المغرب ، مثل مغراوة ومغيلة ومديونة وجراوة وعبدالواد وغيرهم . ومع ذلك فانّ بني مرين يُرجعون نسبتهم إلى العرب المضرية ، وذلك بالانتساب إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار . وجدّهم الأعلى رمال بن مرين بن ورتاجى بن ماخوخ(٩) . وكانت القبائل المرينيّة في بداية أمرها من العشائر البدوية المتنقلة ، تتجول في هضاب المغرب وصحاريه جنوبي تونس ، وتسير نحو المغرب أيام الصيف . وفي فاتحة القرن السّابع الهجري ، نشبت الحرب بينهم وبين بني عبدالواد ، فتوغّلوا في هضاب المغرب ، ونزلوا بوادي ملوية الواقع بين المغرب والصحراء ، وأقاموا هنالك حيناً ، وكانت قوى الموحدين قد تضعضعت منذ موقعة العقاب(٦٠٩هـ)(١٠) ، وسرت إلى دولتهم عوامل التفكك والانحلال . ولما توفّي ملكهم الناصر ، وهو المهزوم في موقعة العقاب سنة (٦١٠ هـ) وولي بعده ولده يوسف المستنصر ، وكان فتى حدثاً ضعيف الهمّة والخلال ، فانكبّ على لهوه وساءت أمور المملكة ، وسرت إليها الفوضى . ففي تلك الآونة بدأ فيها ملك الموحدين

---

(٨) الذخيرة السنية (١٦٢) وابن خلدون (١٩١/٧) .
(٩) الذخيرة السنية ١٠ و ١١ و ١٦) .
(١٠) الذخيرة السنية (٥٢ ــ ٥٣) والاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى (٣/٢ و ٥) .

يهتزّ في يد القدر ، نفذ بنو مرين إلى المغرب ، وتوغّلوا في جنباته ، واشتبكوا مع الموحّدين لأول مرة سنة (٦١٣ هـ) ، إذ حاول الملك المستنصر أن يقضي عليهم ، فأرسل جيوشه لقتالهم ، ولكنّها هزمت ، ووصل بنو مرين إلى أحواز فاس ، وكان أمير بني مرين يومئذ أبو محمد عبدالحق بن خالد بن محيو ، ولكنّه قتل في بعض المعارك سنة (٦١٤ هـ) ، فخلفه في الامارة ولده أبو سعيد عثمان ، واستمر يقود قومه في حرب الموحّدين(١١) .

وفي سنة (٦٣٩ هـ — ١٢٤١ م) سيّر الرشيد ملك الموحّدين جيشاً لقتال بني مرين، فهزم الموحّدون هزيمة شنيعة، واستولى المرينيون على معسكرهم وتوفي الرشيد في العام التالي ، فخلفه في الملك أخوه أبو الحسن السعيد فاعتزم أن يضاعف الجهد للقضاء على بني مرين ، فسيّر لقتالهم سنة (٦٤٢ هـ — ١٢٤٤ م) جيشاً ضخماً ، ونشبت بين الموحّدين وبين بني مرين معركة هائلة ، هزم فيها بنو مرين ، وقتل أميرهم أبو معروف محمد بن عبدالحقّ ، وكانت ضربة شديدة هزّت من عزائمهم مدى حين . وتولىّ إمارة بني مرين بعد مقتل أبي معروف ، أخوه أبو بكر بن عبدالحق الملقب بأبي يحيى ، وفي عهد اشتدّ ساعد بني مرين واستولوا على مكناسة (٦٤٣ هـ) ، ثم زحفوا على فاس واستولوا عليها بعد حصار شديد (٦٤٨ هـ — ١٢٥٠ م) ، وكان سقوط فاس حاضرة المغرب القديمة أعظم ضربة أصابت مملكة الموحّدين ، وكان نذير الانهيار النهائيّ . ثمّ استولوا على سجلماسة ودرعة (٦٥٥ هـ) . ولما توفي أبو يحيى سنة (٦٥٦هـ) تولى أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق من بعده رياسة بني مرين ، وجعل مدينة فاس حاضرة ملكه . وفي سنة (٦٥٧هـ) نشبت الحرب بين بني مرين وبين الأمير يغمراسن بن زيان ملك المغرب الأوسط . فهزم يغمراسن وارتدّ إلى تلمسان . وفي العام التالي (٦٥٨ هـ) هاجم

(١١) الذخيرة السنية (٩٣ — ٩٤) .

النصارى الاسبان في سفنهم سلا فجأة ، وقتلوا وسبوا كثيراً من أهله ، فبادر أبو يوسف بانجاده ، وحاصر النصارى بضعة أسابيع حتى جلوا عنه . ثم كانت الموقعة الحاسمة بين الموحِّدين وبني مرين ، ففي سنة (٦٦٧ هـ — ١٢٦٩ م) سار الواثق بالله المعروف بأبي دبوّس ملك الموحِّدين من مراكش لقتال بني مرين ، والتقى الجمعان في وادي (غفّو) بين فاس ومراكش ، فهزم الموحِّدون بعد معركة شديدة ، وقتل منهم عدد كبير ، واستولى أبو يوسف على معسكرهم ومؤنهم وخزائنهم . ثم سار إلى مراكش ، فدخلها في المحرّم سنة ٦٦٨ هـ وتسمى بأمير المسلمين ، وبذلك انتهت دولة الموحِّـــدين في المغرب كما انتهت في الأندلس أيضاً ، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلث القرن ، وقامت مكانها دولة بني مرين ، تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كلّه ، وتستقبل عهداً جديداً(١٢) .

إلى تلك الدولة الجديدة الفتيّة ، كانت تتّجه أنظار الأندلس ، كلّما لاح لها شبح الخطر الداهم ، فلعبت هذه الدولة في حوادث الأندلس الداخلية والخارجية أعظم دور . ولم تفت مؤسّس مملكة غرناطة أهمية التّحالف مع بني مرين والاستنصار بهم ، فبعث قبل وفاته بقليل — كما ذكرنا — إلى السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق الملقّب بالمنصور يطلب إليه غوث الأندلس وإنجادها وكان السلطان أبو يوسف حينما وصله صريخ ابن الأحمر في سنة (٦٧٠ هـ) يسير إلى غزو تِلِمْسان ، فلما وقف من الرسّل على حال الأندلس وما يهدّدها من الأخطار ، جمع أشياخ القبائل ، واتّفق الجميع على وجوب إنجاد الأندلس والجهاد في سبيل الله . وأرسل السلطان إلى الأمير يغمراسن صاحب تلمسان يعرض عليه عقد الصلح لكي يتمكّن من العبور إلى الأندلس ، فأبى .

(١٢) انظر اصل بنى مرين ونشاتهم في : الذخيرة السنية (١٠ و ١٦ و ٩٤ و ٩٩ و ١٢٣ و ١٢٤) والاستقصا (١٣/٢ — ١٤) وابن خلدون (١٦٦/٧ — ١٨٠) ، وانظر نهاية الاندلس (٨٦ — ٨٨) .

واقتتل الفريقان على مقربة من وَجْدة في شهر رجب سنة (٦٧٠ هـ — ١٢٧٢م) فهزم يغمراسن وفرّ جريحاً(١٣) . وعاد أبو يوسف إلى المغرب مظفّراً ، وهو يعتزم استجابة دعوة الأندلس وانجادها .

على أنّه مضى أكثر من عامين قبل أن تسنح له الفرصة المرجوّة ، فلما توّلى محمد الفقيه الملك ، أرسل عقب ولايته بقليل وفداً من أكابر الأندلس إلى ملك المغرب ورسالة استغاثة ، فشرحوا له حال الأندلس من الضعف ونقص الأهبة وتكالب العدو القوى عليها . واستصرخوه للغوث والجهاد (١٤) . وتتابعت رسل ابن الأحمر وبني أشقيلولة إلى السلطان أبي يوسف ينوّهون بالخطر الداهم الذي يهدّد الأندلس،ويلتمسون إليه المبادرة بالاسعاف والامداد، فاستجاب السلطان أخيراً لدعوتهم ، وكتب إلى ابن الأحمر يطمئنه ، ويعرب له عن عزمه على الجواز إلى الأندلس في فاتحة سنة أربع وسبعين وستمائة . الهجرية (١٥) . وخرج السلطان من فاس في رمضان سنة (٦٧٣ هـ) للجهاد في ميدان الأندلس . وأرسل للمرة الثانية إلى الأمير يغمراسن صاحب تلمسان ، يعرض عليه الصلح توحيداً للكلمة وتعضيداً للجهاد . فقبل يغمراسن وتمّ الصلح . وبادر السلطان ، فجهّز ولده أبازيان(١٦) بخمسة آلاف مقاتل . فعبر البحر من قصر المجاز (قصر مصمودة) إلى الأندلس ، ونزل ثغر طريف في شهر ذى الحجّة سنة (٦٧٣ هـ — ١٢٧٥ م) ونفذ إلى أرض الاسبان حتى شَرِيش ، وعاث فيها ، وعاد مثقلاً بالسبي والغنائم . وقدّم إليه أبن هشام وزير ابن

---

(١٣) الذخيرة السنية (١٤٨) والاستقصا (٢/١٦) .

(١٤) انظر نص رسالة ابن الأحمر الى ابي يوسف في الذخيرة السنية (١٥٩ — ١٦١) .

(١٥) انظر نص رسالة ابى يوسف الى اب الاحمر في الذخيرة السنية (١٦٢ — ١٦٣) .

(١٦) الذخيرة السنية (١٦٤) ، ولكن ابى خلدون يقول : ان السلطان بعث الجند مع ولده منديل (١١٩/٧) ، ومنديل حفيد ابى يوسف لا ولده .

الأحمر ثغر الجزيرة ، فنزل فيه ، وجاز ابن هشام العدوة ، فلقى السلطان أبا يوسف في معسكره على مقربة من طنجة ، وكان السلطان قد أكمل أهبته ، فعبر من قصر المجاز إلى الأندلس في صفر (٦٧٤ هـ - حزيران - يوليه - ١٢٧٥ م) في جيش كثيف من البربر ، داعياً إلى الجهاد على سنّة أسلافه المرابطين والموحّدين . وكان أبو يوسف قد اشترط على ابن الأحمر حينما استنجد به ، أن ينزل له عن بعض الثغور والقواعد الساحلية ، لتنزل فيها جنوده ذهاباً وإياباً ، فنزل له عن رندة وطريف والجزيرة ، ونزل أبو يوسف بجيشه في طريف ، وهرع ابن الأحمر وبنو أشقيلولة إلى لقائه ، واهتزّت الأندلس كلّها لعبور ملك المغرب . ولكن ابن الأحمر ما لبث أن غادره مغضباً لما رأى من تدخّله في شؤون الأندلس بصورة مريبة ، ذلك أنّ بني أشقيلولة أصهار بني الأحمر ، وفي مقدمتهم محمد بن أشقيلولة زعيم الأسرة وزوج أخت محمد ابن الأحمر ، وأخوه أبو الحسن زوج ابنته . كانوا لايشعرون نحو عرش غرناطة بأطماع خفيّة . وكان أبو محمد ممتنعاً بمالقة مغاضباً لملك غرناطة - كما ذكرنا - فلما عبر أبو يوسف إلى الاندلس ، سار إليه وانضوى تحت لوائه . ولم يفلح أبو يوسف في التوفيق بين ابن الأحمر وبين أصهاره ، وخشي ابن الأحمر عاقبة هذا التحالف بين أصهاره وبين أبي يوسف ، فارتدّ إلى غرناطة حذراً متوجسًا .

ونفذ أبو يوسف بجيشه إلى بسائط الفرنتيرة(١٧) ، وكانت بيد النصارى ، وعاث فيها ، ثمّ توغّل غازياً ينسف الضياع والمروج ويسبي السكّان ، حتى وصل إلى حصن المقورة وأبدة على مقربة من شرقيّ قرطبة . وعندئذ عوّل القشتاليون على لقائه دفاعاً عن أراضيهم . وخرج القشتاليون في جيش ضخم

(١٧) الفرنتيرة : La Frontera ، هي السهل الواقع غربي مثلث اسبانيا الجنوبي (الجزيرة) ، ويمتد من قادس جنوبا حتى طرف الغار .

تقدِّره الرواية الأسلامية بنحو تسعين ألف مقاتل(١٨) وعلى رأسهم قائدهم الأشهر صهر ملك قشتالة الدون نونيو دى لارا الذي تسميه المصادر العربية « دونونه أو دننه أو ذنونه » . وكان أبو يوسف قد ارتدّ عندئذ بجيشه إلى ظاهر إستجة ، ومعه حشد عظيم من الغنائم والأسرى ، فأغلقت المدينة أبوابها واستعدّت للقتال . ووضع أبو يوسف الغنائم في ناحية تحت إمرة حرس خاص حتى لا تعيق حركاته ، وعقد لولده أبي يعقوب على مقدمته ، وخطب جنده وحثّهم على الجهاد والموت في سبيل الله. ثمّ تقدّم لملاقاة القشتاليين . ويعضده بعض قوّات الأندلس برئاسة بني أشقيلولة . ووقع اللقاء بين المسلمين القشتاليين على مقربة من إستجة جنوب غرب قرطبة في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة (٦٧٤ هـ - ٩ أيلول - سبتمبر - ١٢٧٥ م) فنشبت بين الفريقين معركة سريعة هائلة . هزم القشتاليون على أثرها هزيمة شنيعة ، وقتل قائدهم الدون نونيو دى لارا وعدّة كبيرة من جيشه(١٩) ، وكان نصراً عظيماً أعاد إلى الأذهان ذكريات معركة الزلاقة ومعركة الأرك . وكان أوّل نصر باهر يحرزه المسلمون على الاسبان منذ موقعة العقاب ، ومنذ انهيار الدولة الاسلامية بالأندلس ، وسقوط قواعدها العظيمة . وتبالغ الرواية الاسلامية في تقدير خسائر اعدائهم . فتقول : إنه قتل منهم في المعركة ثمانية عشر ألفاً ، جمعت رءوسهم وأذّن عليها المؤذّن لصلاة العصر ، هذا في حين لم يقتل من المسلمين سوى أربعة وعشرين رجلا(٢٠) وفقاً لقولها أيضاً .

---

(١٨) الذخيرة السنية (١٦٩ - ١٧٠) .

(١٩) ابن خلدون (١٩١/٧) واللمحة البدرية (٤٤) والاحاطة (٥٧٣/١) والذخيرة السنية ١٧٠ - ١٧٢ .

(٢٠) الذخيرة السنية (١٧٣) ، ويستغرب الاستاذ محمد عبدالله عنان من هذا التفاوت في الخسائر بين الطرفين ، والواقع ان المهزوم يتكبد خسائر =

وبعث السلطان أبو يوسف برأس دون نونيو إلى ابن الأحمر ، فقيل إنه بعثه بدوره إلى ملك قشتالة مضمّخاً بالطيب ، مصانعة له وتودّداً إليه .

ولبث أبو يوسف بالجزيرة الخضراء بضعة أسابيع ، قُسِّمت فيها الغنائم واستراحت الأجناد ثم خرج للمرة الثانية في جمادى الأولى سنة (٦٧٤ هـ)، وتوغّل غازياً في أرض قشتالة ، حتى وصل إلى أحواز إشبيلية ، فأغلقت المدينة أبوابها . وعاث أبو يوسف في تلك الأنحاء ، ثمّ سار إلى شَرِيش ، فضرب حولها الحصار ، فخرج إليه زعماء المدينة ورهبانها ، وطلبوا إليه الأمان والصلح . فأجابهم إلى طلبهم ، وعاد إلى قواعده مثقلاً بالغنائم والسّبي . وقضى بضعة أسابيع في الجزيرة الخضراء ، ثمّ عبر البحر إلى المغرب في أواخر شهر رجب (٦٧٤ هـ) بعد أن قضى في الأندلس زهاء خمسة شهور .

على أنّ هذا النصر الباهر الذي أحرزه السلطان أبو يوسف المريني على النصارى لم يحدث أثره المنشود في بلاط الأندلس ، ذلك أنّ ابن الأحمر ، جنح إلى الارتياب في نيات ملك المغرب ، وبخاصة مذأسبغ السلطان حمايته على بني أشقيلولة وغيرهم من الخوارج على ملك غرناطة ، ومثلت بذهنه مأساة الطوائف وغدر المرابطين(٢١) بهم . وبعث ابن الأحمر إلى السلطان قبيل مغادرته الجزيرة الخضراء ، يعاتبه لتصرّفه في حقّه بقصائد مؤثِّرة يستعطفه فيها ويستنصره ، والسلطان يجيبه عنها بقصائد مثلها .

=

فادحة في هزيمته ، لان الفوضى والارتباك تشيع في صفوفه ، فقد يقتل الجندي صاحبه خطأ وقد تستسلم الجماعة المتهرمة لافراد ، فيقتلون . وكانت معركة جنين سنة ١٩٤٨م بين العراقيين والصهاينة فخسر فيها الصهاينة الافا ، وخسر العراقيون (٢٣) شهيدا ، استقروا في مقبرة قباطبة بالقرب من جنين في ارض فلسطين ، وهذه حقيقة قد تكون موضع استغراب المؤرخين بعد حين .

(٢١) ابن خلدون (١٩٨/٧) .

وفي أوائل سنة ٦٧٦ هـ ، توفي أبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة ، فعبر ولده محمد إلى المغرب ، ونزل عنها للسلطان ، فبعث إليها السلطان حاكماً من قبله ، فزاد ذلك في توجّس ابن الأحمر ، وأرسل وزيره أبا سلطان عزيز الداني في بعض قوّاته إلى مالقة ليحاول الاستيلاء عليها ، فلم يوفّق . ولم تمر أشـــهر قلائل على ذلك حتى عبر السلطان أبو يوسف المنصور البحر إلى الأندلس للمرة الثانية في سنة (٦٧٧ هـ) – (١٢٧٨ م)(٢٢) ونزل بمالقة ، فاحتفل به أهلها ، ثمّ توغّل بجيشه في أرض الاعداء يعيث فيها ، ومعه بنو أشقيلولة في جندهم ، حتى أحواز إشبيلية . واجتنب القشتاليون لقاءه، ثم دعا ابن الأحمر إلى لقائه ، فوافاه عند قرطبة والريب يملأ نفسه . وتبادل الملكان عبارات العتاب والتعاطف ، ولكن ابن الأحمر لم تطمئن نفسه ، وعاد السلطان إلى المغرب دون أن تصفو القلوب .

وزاد توجّس ابن الأحمر لحوادث مالقة وانحيازها إلى السلطان ، وجال بخاطره أنّ التفاهم مع ملك قشتالة خير وأبقى . وفي أواخر سنة ٦٧٧ هـ ، استطاع ابن الأحمر أن يستولى أخيراً على مالقة ، وذلك باغراء صاحبها بالنزول عنها ، والاستعاضة بالمنكب وشلوبانية(٢٣) . ثمّ سعى إلى التفاهم مع ملك قشتالة والتحالف معه على منع عبور السلطان المنصور إلى الأندلس ، ونزلت القوّات القشتالية بالفعل في الجزيرة الخضراء . وكاتب ابن الأحمر أيضاً الأمير يغمراسن ملك المغرب الأوسط ، وخصم السلطان المنصور ، يسأله العون والتحالف . وعلم المنصور بذلك ، فأراد العبور فوراً إلى الأندلس ، ولكن عاقته حوادث المغرب حيناً . وفي أوائل سنة (٦٧٨ هـ) ، بعث ولده الأمير

---

(٢٢) انظر امثلة من القصائد في نهاية الاندلس (٩٢ – ٩٣) ، وانظر ابن خلدون (١٩٨/٧ – ٢٠٠) .

(٢٣) المنكب بالاسبانية (Almunccar) ، وشلوبانية بالاسبانية Salobrena ثغران صغيران من ثغور مملكة غرناطة القديمة ، يقع كلاهما جنوبي غرناطة على البحر الابيض المتوسط ، وتفصلهما عن بعضهما مسافة صغيرة.

أبا يعقوب إلى الأندلس في أسطول ضخم، ونشبت بينـــه وبين أسطول اعدائه المرابط في بحر الزقاق معركة هائلة ، هزم القشتاليون على أثرها ، واستولى المسلمون على سفنهم ، ونزلوا بالجزيرة الخضراء ، فغادرها النصارى في الحال.

وأراد أبو يعقوب أن يتبع نصره بعقد الصلح مع ملك قشتالة ، والتحالف معه على قتال ابن الأحمر ومهاجمة غرناطة ، فأنكر عليه أبوه السـلطان ذلك . ثم زحف جند المغرب على ثغر مربلّة ، وهو من أملاك ابن الأحمر تريد الاستيلاء عليه ، فامتنع عليهم . وانتهز القشتاليون تلك الفرصة ، فزحفوا على غرناطة ومعهم بنو أشـقيلولة ، فلقيهم ابن الأحمر وردّهم على أعقابهم (٦٧٩ هـ) . بيد أنه بالرغم من هذا النصر المؤقّت ، أخذ يشعر بدقّة موقفه ، وخطورة القوى التي يواجهها من القشتاليين والمغاربة . ومن جهة أخرى فانّ السلطان المنصور يخشى عاقبة هذا التصرّف على مصير المسلمين ، وعلى ذلك فقد بعث إلى ابن الأحمر في وجوب عقد المودة والتفاهم ، فلقى له مثل رغبته، وبادر السلطان إلى عقد أواصر الصلح والتحالف بين المسلمين ، على أن ينزل ابن الأحمر عن مالقة للسلطان المنصور ، لتكون قاعدة للعبور والغزو . وصفا جوّ العلائق على أثر ذلك بين ابن الأحمر وبني مرين ، وشغل السلطان المنصور حيناً بمحاربة الخارجين عليه .

ولم يمض قليل على ذلك ، حتى عادت شؤون الأندلس تستغرق اهتمام المنصور ، وكانت شؤون الأندلس قد غدت في الواقع عنصراً بارزاً في سياسة بني مرين ، وكانت مملكة غرناطة حتى في ذلك الوقت الذي انكمشت فيه الدولة الاسلامية في الأندلس ، تلعب دورها في شؤون إسبانيا الخارجة عنها كلما اضطربت فيها الحوادث . ولما سطع نجم الدولة المرينية فيما وراء البحر ، اتّجه إليها اهتمام الاسبان . وكانت كلما وقعت في قشتالة حرب أهلية ، لجأ هذا الفريق أو ذاك إلى مؤازرة غرناطة أو بني مرين على غرار ما كان يحدث في الماضي ، ومن ذلك ما حدث في سنة (٦٦٩ هـ — ١٢٧٠ م) من

خروج الأنفانت فيليب على أخيه الفونسو العاشر مع جماعة من النبلاء ، والتجائهم إلى السلطان المنصور في طلب العون ، واستجابته لدعوتهم واتخاذهم غرناطة قاعدة لجهودهم . وكادت تنشب من جراء ذلك حرب بين المسلمين والاسبان ، لولا تدخل فيولا ملكة قشتالة ، واسترضائها للخوارج بمختلف المنح . وفي سنة ١٢٨٢ م (أوائل سنة ٦٨١ ﻫ) ثار سانشو على والده الفونسو العاشر ، وآزره معظم النبلاء ، واستطاع أن ينتزع العرش لنفسه ، فاتجه أبوه المخلوع إلى السلطان أبى يوسف المنصور ، وأرسل إليه بالمغرب وفداً من الأحبار يستمدها منه الغوث والعون ضد ولده ، فاستجاب السلطان لصريخه ، وعبر البحر في قواته إلى الأندلس في ربيع الثاني سنة (٦٨١ ﻫ) وهرع الفونسو إلى لقائه بالجزيرة الخضراء على مقربة من رندة مستجيراً به ملتمساً لنصرته ، وقدم إليه تاجه رهناً لمعونته ، فغزا أبو يوسف أراضي قشتالة وحاصر قرطبة ، ثمّ زحف على طليطلة وعاث في نواحيها ، ووصل في زحفه إلى حصن مجريط(٢٤). وتحاشى ابن الأحمر في البداية لقاء السلطان لفتور العلاقة بينهما ، ولتوجّسه من محالفة الفونسو . ورأى من جانبه أن يتفاهم مع سانشو ملك قشتالة الجديد ، وزحف على المنكب ، وهي من الثغور التي تحتلها قوات المغرب ، فغضب السلطان وارتدّ لقتاله . وكادت تنشب بين الملكين المسلمين فتنة مستطيرة ، لولا أن خشى ابن الأحمر العاقبة ، وعاد إلى التفاهم مع المنصور وصفا الجوّ بينهما نوعا ما ، وعاث المنصور في أراضي قشتالة مرة أخرى ، وغصّ جيشه بالسّبى والغنائم ، ثم عاد إلى المغرب بعد أن ولّى على الجزيرة حاكما من قبله .

واستمرّت الحرب الأهلية أثناء ذلك في قشتالة بين الابن والأب . ولبث هذا النضال الدموي زهاء عامين . حتى توفي الفونسو العاشر طريداً مهزوماً في سنة (٦٨٣ ﻫ — ١٢٨٤ م) . فكان لوفاته وقع عميق في غرناطة والمغرب ،

---

(٢٤) ابن خلدون (٧/٢٠٩ — ٢١١) ونفح الطيب (٢/٥٣٩) .

وأرسل كلٌّ من الملكين المسلمين عزاءه فى الملك العالم المنكود ، وقد كان الفونسو عالماً مؤرخاً إلى بلاط قشتالة . وكان موقف المملكتين الاسلاميتين غريباً إزاء حوادث قشتالة ، إذ كان ملك المغرب يؤازر الملك المخلوع ، وكان ملك غرناطة بالرغم من عطفه على الفونسو العاشر ، يؤازر ولده الخارج عليه . والحقيقة أنّ ابن الأحمر ، كان يشهد تقاطر الجيوش البربريّة إلى الجزيرة الخضراء بعين الجزع ، ويتوجّس شراً من وجودهم بها . وقد كانوا يحتلّون معاقلها وثغورها ، ويظاهرون الخوارج عليه في مالقة والمنكب وغيرهما من القواعد الجنوبية ، وكان يتوقّع أسوأ العواقب من تدخل ملك المغرب في شؤون الأندلس على هذا النحو ، وكان مثَلُ المرابطين ومأساة الطوائف عبرة خالدة ، تساوره دائماً ، وتذكي جزعه . على أنّ موت الفونسو العاشر ، وانتهاء الحرب الأهلية في قشتالة ، خفف من هذا التوتّر بين المملكتين ، وكان ابن الأحمر يذكر في الوقت نفسه ، عذر ملك قشتالة ، وخطرالاسبـــان على مملكته ، فيجنح بعد التأمّل إلى ايثار التفاهم مع ملك المسلمين .

وفي صفر سنة (٦٨٤هـ) عبر السلطان المنصور للمرة الرابعة إلى الأندلس ، وزحف في أراضي الاسبـــان ، وغزا مدينة شَرِيش ، وسار ولده أبو يعقوب إلى أحواز إشبيلية فعاث فيها . ثمّ زحف المنصور على قرمونة والوادي الكبير ، وخرب جنده بسائط إشبيلية ولبلة وإستجة والفرنتيرة . وسرّ ابن الأحمر لاجتياح أراضي قشتالة على هذا النحو ، وبعث إلى السلطان مدداً من غرناطة ، وجاءت الأساطيل المغربية فطاردت أساطيل العدو في بحر الزقاق واحتلته . ورأى سانشو ملك قشتالة تفاقم الأمر وعقم المقاومة ، فجنح إلى طلب السّلم ، وبعث إلى السلطان وفداً من الأحبار يطلب الصلح ويفوّض السلطان في اشتراط ما يراه ، فاستجاب السلطان لرغبتهم ، واشترط عليهم : مسالمة المسلمين كافةً ، وأن يمتنع الاسبـــان عن كلّ اعتداء على الأندلس ، وعلى أراضي المسلمين ومرافقهم ، وأن ترفع الضريبة عن التجّار المسلمين بدار الحرب

(بلاد الأعداء) ، وأن تنبذ قشتالة سياسة الدسّ بين الأمراء المسلمين ، فقبل القشتاليون جميع الشروط المطلوبة ، وتعهّدوا بتنفيذها . وقدم سانشو بنفسه إلى معسكر السلطان ، فاستقبله المنصور بحفاوة ، وقدّم إليه طائفة من الهدايا ، وتعهّد سانشو بتحقيق شروط الصلح كاملة . وسأله السلطان أن يرسل إليه قدراً من الكتب العربية التي استولى عليها الاسبـان من القواعد الأندلسية ، فأرسل إليه ثلاثة عشر حملاً منها ، وأرسلها السلطان الى فاس ، فكانت نواة المكتبة السلطانية . واتّخذ المنصور تدابيره الأخيرة نحو شؤون الأندلس، وندب الأمير أبازيان للنظر على التغور الأندلسية ، وأوصاه بالاّ يتدخل في شئون ابن الأحمر . وكان من آثار التفاهم بين ابن الأحمـر والمنصور ، أن يترك المنصور بيلاط غرناطة بعض قرابته من مشاهير الغزاة ، وعليهم رئيس من بني العلاء أقارب بني مرين يسمىّ : شـيخ الغزاة ، وتولىّ بنو العلاء قيادة الجيوش الأندلسيّة عصراً . وكانت لهم في ميدان الحرب والجهاد مواقف مشكورة(٢٤)

وقفل السلطان المنصور راجعاً إلى الجزيرة ليستجم ثم يعود إلى المغرب . ولكن لم تمض أشـهر قلائل . حتى أدركه المرض ، وتوفى بالجزيرة في المحرم سنة (٦٨٥ هـ — آذار — مارس ١٢٨٥ م) بعـد حياة حافلة بصنوف الجهاد في المغرب والأندلس .

وكان السلطان أبو يوسف المنصور من أعظم ملوك المغرب قاطبة ، وكان يعيد بشغفه بالجهـاد وكثرة تعداد أفراد جيـوشه وأهبته الحربية ذكرى أسلافه العظام من أمثال يوسف بن تاشفين . وعبد المؤمن ، ويعقوب المنصور .

وخلفه على عرش المغرب ولده الأمير أبو يعقوب . وكان مثل أبيه معنياً بشؤون الأندلس ، خبيراً بها . واستمرت علائق بني الأحمر ببني مرين أعواماً أخرى على حالها من المودة والصفاء ، وزادت توطّداً حينما قبل سـلطان

(٢٤) ابن خلدون (٧/٢٠٩ — ٢١١) ونفح الطيب (٢/٥٣٩) .

المغرب أن يتزل لابن الأحمر طوعاً عن وادي آش وذلك أنّ محمـداً الفقيه كان قد عيّن صهره أبا إسحق بن أبى الحسن بن أشقيلولة حاكماً على قُمارش ووادي آش ، فلما توفي أبو إسحق سنة ٦٨٢ ﻫ استردّ ابن الأحمـر قمارش وخرج عليه أبو الحسن ولد أبى إسحق في وادي آش . وتحالف أولاً مع ملك قشتالة ، فلما عقد السلم بين المسلمين والقشتاليين . أعان أبو الحسن انضواءه تحت لواء ملك المغرب . فأغضى ابن الأحمر حيناً من تصرّفه . فلما اتصلت وشائج المودة من جديد بينه وبين السلطان أبى يعقوب . سأله التنازل عن وادي آش ، فأجابه إلى سؤله : ورحل عنها الثائر أبو الحسن إلى المغرب ملتجئاً إلى بلاط فاس : وبذا استطاع ابن الأحمر أن يبسط سلطانه على الأندلس كلّها(٢٥) .

وفي أوائل سنة (٦٩٠ ﻫ — ١٢٩١ م) ، أغار سانشو ملك قشتالة على الثغور الأندلسية ، ناكثاً بعهده ؛ فأرسل السلطان أبو يعقوب إلى قائده على الثغور أن يغزو شريش وأرض النصارى ، فزحف عليها وعاث فيها . وأعلن أبو يعقوب الجهاد . وتقاطرت بعوث المجاهدين إلى الأندلس . فبعث سانشو أسطوله إلى بحر الزقاق ليحول دون وصول الأمداد ، فبعث السلطان أسطوله لمهاجمة الاسطول القشتالى ، فهزم المسلمون في (آب — أغسطس — ١٢٩١م) ولكن هذه الهزيمة لم تثن ملك المغرب عن عزمه فبعث اسطولاً آخر لمقاتلة النصارى ، فانسحبت النصارى هذه المرة ، وعبر السلطان أبو يعقوب إلى الأندلس في رمضان سنة (٦٩٠ ﻫ) واقتحم أرض النصارى : وغزا شريش ، ووصل في زحفه حتى أسوار إشبيلية وعاث فيها ، ثمّ عاد إلى الجزيرة ، وارتدّ عائداً إلى المغرب في أوائل سنة (٦٩١ ﻫ) .

وتوجّس ملك قشتالة من مشاريع سلطان المغرب ، فسعى إلى محالفة ابن الأحمر ، وحذّره من نيّات المغاربة . واستيلائهم على الثغور الأندلسية ، ولا سيما ثغر طريف مدخل الجزيرة . وتفاهم الملكان على انتزاع هذا الثغر من المغاربة . واشترط ابن الأحمر أن تسلّم إليه طريف عقب انتزاعها .

(٢٥) ابن خلدون (٢١٢/٧ — ٢١٣) .

وسيّر سانشو أسطوله إلى بحر الزقاق ليحاصر طريف من ناحية البحر ، وليحول دون وصول الأمداد إليها . وعسكر ابن الأحمر بقواته بمالقة على مقربة منها ، يعاون القشتاليين بالأمداد والمؤن . وثبتت حامية طريف أربعة أشهر ، ولكنّها اضطرت في النهاية إلى التسليم للاسبان في أيلول سنة ١٢٩٢م) وهنا طالب ابن الأحمر سانشو بتسليمها له حسب شرطه في التعاون بين ابن الأحمر وسانشو ، فأبى سانشو وأعرض عن ابن الأحمر ، مع أنّ ابن الأحمر نزل السانشو مقابل طريف عن عدد من الحصون المهمة ، فأدرك ملك غرناطة عندئذ خطأه في الركون إلى وعود ملك قشتالة ، وفي مغاضبة ملك المغرب حليفه الطبيعي ، وسنده المخلص في ردّ عدوان النصارى .

وعاد ابن الأحمر يخطب ودّ بني مرين مرة أخرى ، وأوفد ابن عمّه الرئيس أبا سعيد فرج بن إسماعيل ووزيره أبا عزيز الداني على رأس وفد من كبراء الأندلس، إلى السلطان أبي يعقوب في طلب المودّة، وتجديد العهد، والاعتذار عن مسلكه في شأن طريف . فأكرم السّلطان وفادتهم ، وأجابهم إلى طلب الصلح . ولما عاد الوفد إلى غرناطة سرّ ابن الأحمر من كرم السلطان ونبل مسلكه . واعتزم الرحله للقائه بنفسه ، وتأكيد المودّة والاعتذار ، فعبر البحر إلى العدُوة في أواخر سنة (٦٩٢ هـ - ١٢٩٢ م) ومعه طائفة من الهدايا الفخمة . ونزل بطنجة حيث استقبله بعض أبناء السلطان ، ثمّ جاء السلطان بنفسه إلى طنجة . وتلقّاه بمنتهى الاكرام والحفاوة ، ونزل له ابن الأحمر عن الجزيرة ورندة وأراضي الغربية ، وعدّة حصون كانت من قبل في طاعة ملك المغرب . وعاد ابن الأحمر مغتبطاً بنجاح مهمّته ، وأرسل السلطان معه حملة لغزو طريف بقيادة وزيره عمر بن السّعود ، فحاصرتها حيناً ولكنها لم تظفر بافتتاحها (٢٦) .

(٢٦) ابن خلدون (٧/٢١٧) .

وكان لمحمد الفقيه ، بالرغم من سمته العلمية ، وقائع طيبة في ميدان الجهاد ضد النصارى ، ففي المحرم من سنة (٦٩٥ هـ –أواخر ١٢٩٥ م) على أثروفاة سانشو ملك قشتالة ، زحف بجيشه على أراضي قشتالة ، وغزا منطقة جيّان ، ونازل مدينة قيجاطة(٢٧) واستولى عليها ، وعلى عدّة من الحصون التابعة لها ، وأسكن بها المسلمين . وفي صيف سنة ٦٩٩ هـ – ١٢٩٩ م)غزا أراضي قشتالة مرة أخرى ، وزحف على مدينة القبذاق الواقعة جنوب غرب جيّان ، ودخل قصبتها وتملكها ، وأسكن بها المسلمين (٢٨) .

واستمرّ محمد بن محمد بن الأحمر ، أو محمد الفقيه، في حكم غرناطة أعواماً أخرى ، وهو ثابت العهد مقيم على صداقة بني مرين . ومما هو جدير بالذكر أنه قبيل وفاته بقليل ، عقد معاهدة صلح وتحالف مع ملك أراغون خايمي الثاني ضدّ قشتالة ، وذلك تجديداً وتعديلاً لمعاهدة صلح وتحالف سابقة مع ملك أراغون خايمي الثاني كانت قد عقدت بين الطرفين في سـنة (٦٩٥ هـ – ١٢٩٩ م) ، وقد نصّ في هذه المعـاهدة الجديدة على عقد صلح ثابت وصحبة ثابتة صادقة) وأن يلتزم كلّ من الفريقين عدم الاضرار بالآخر على يد أحد من رعاياه ، وأن تكون أراغون معادية لأعداء غرناطة سواء من المسلمين أو قشتالة ، وأن يفتح بلد كلّ من الفريقين لمن يقصده من تجار البلد الآخر مؤمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخيراً يتعهّد ملك غرناطة بمعاونة أراغون ضد ملك قشتالة ، وألا يعقد معه صلحاً إلاّ بموافقة حليفه ، ويتعهد ملك أراغون لسلطان غرناطة بمثل ما تقدّم . كما يتعهّد السلطان بمعاونة حليفه بفرسان من عنده في أرض مرسية إذا احتاج إلى هذا العون ، وألاّ يعترض سلطان غرناطة على ما يأخذه ملك أراغون من أراضي قشتالة ، إلاّ المواضع التي

(٢٧) مدينة قيجاطة : هي بالاسبانية (Quesada) ، وتقع شمال شرقي مدينة جيان ، وجنوب شرقي مدينة ابدة . والقبذامة هي بالاسبانيـة (Alcoudete)

(٢٨) الاحاطة في أخبار غرناطة (٥٦٩/١) .

كانت لغرناطة ، فهذه ترد إليها . وقد وقعت هذه المعاهدة في أواخر ربيع الثاني سنة ٧٠١ هـ - ٣١ كانون الأول - ١٣٠١ م) (٢٩) . ولم يمض على عقد هذه المعاهدة نحو ثلاثة أشهر حتى توفي السلطان محمد الفقيه في شعبان سنة (٧٠١ هـ - مايس - ١٣٠٢ م) بعد أن حكم أكثر من ثلاثين عاماً ، وقد زاد ملك بني الأحمر في عهده توطداً واستقراراً ، بالرغم مما توالى عليه من الأحداث والخطوب . وكان وزيره في آخر عهده الكاتب والشاعر الكبير أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن ابن الحكيم اللخمي ، وهو من مشايخ رندة ، وكان من قبل من كتّاب ديوانه في ديوان الأنشاء ، وكان رجلاً وافر العزم قويّ الشكيمة ، ولقب بذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة ، وكان لحزمه وقوّة نفسه أكبر أثر في استقرار الأمور في هذا العهد (٣٠)

٢ - أبو عبدالله محمد الملقب بالمخلوع واحداث ايامه :

وخلف محمد الفقيه ولده أبو عبدالله محمد الملقّب بالمخلوع ، وكان ضريراً ذا نباهة وعزم ، عالماً شاعراً ، يؤثر مجالس العلماء والشعراء ويصغي إليهم ويجزل صلاتهم ، محباً للاصلاح والانشاء، وكان من بين منشآته المسجد الأعظم بالحمراء ، فهو الذي أمر ببنائه على أبدع طراز ، وزوده بالعُمد والنقوش والثريّات الفخمة . ولكنه لم يُحسن تدبير الملك والسياسة ، وغلب عليه كاتبه ووزيره ووزير أبيه من قبل أبو عبدالله محمد بن الحكيم اللّخمي ، فاستبدّ بالأمر دونه وحجر عليه ، فاضطربت الأمور ،وأخذت عوامل الانتقاض تجتمع وتبدو في الافق .

وفي عهده القصير ، اضطربت علائق مملكة غرناطة وبني مرين مرة أخرى ، والواقع انه في بداية عهده حاول إحكام المودة بينه وبين بني مرين ، فأرسل وزير

---

(٢٩) انظر الوثيقة في : محفوظات التاج الارغواني ، برقم ١٤٨ .
(٣٠) يترجم له ابن الخطيب بافاضة في الاحاطة (٢٧٨/٢) وما بعدها ، وانظر سيرة السلطان محمد الفقيه في : نهاية الاندلس (٨٥ - ١٠٢)

أبيه أبا عزيز الداني ووزيره ابن الحكيم إلى سـلطان المغرب ، ليجددا عهد المودة والصداقة . فوفدا عليه وهو بمعسكره محاصراً لتلمسان، فأكرم وفادتهما وطلب إليهما إمداده ببعض جنود الأندلس الخبراء في منازلة الحصون. فأرسلت إليه قوة منهم أدّت مهمتها أحسن أداء. ولاح أنّ أواصر المودّة أضحت أشد ما تكون توثيقاً بين الفريقين، ولكنّ ابن الأحمر عرض له فجأة أن يعدل عن محالفة سلطان المغرب ، وأن يعود الى محالفة ملك قشـتالة ، فغضب السلطان أبو يعقوب لذلك ، وردّ جند الأندلس (٧٠٣ﻫ). وبدأ ابن الأحمر أعمال العدوان بأن أوعز إلى عمّه وصهره الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة ، أن يحرِّض أهل سبتة في الضفة الأخرى من البحر ، على خلع طاعة السلطان. واستعدّ ابن الأحمر في الوقت نفسه لمحاربة السلطان إذا عنّ له أن يعبر إلى الأندلس. وجهّز الرئيس أبو سعيد حملة بحرية في مياه مالقة بحجّة مدافعة الاسبان ، ثمّ سيّرها فجأة إلى سبتة وذلك في (شوال سنة ٧٠٥ ﻫ — ١٣٠٦ م) وكانت الحملة بقيادة عثمان بن أبي العلاء المريني ، فاستولت على سبتة، وجاء الرئيس أبو سعيد فاستبدّ بأمرها. وأعلن انضواءها تحت لواء ابن الأحمر . وقبض على ابن العزقي حاكمها من قبل السلطان وآله، وأرسل إلى غرناطة . ووقف أبو يعقوب على هذه الحوادث وهو تحت أسوار تلمسان ، فوجد لذلك الغدر وجداً شديداً، فبعث حملة بقيادة ولـده أبي سالم إلى سبتة، فحاصرها حيناً ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها ، فارتد أدراجه. وخرج في أثره عثمان بن أبي العلاء في جند الأندلس ، وعاث في أحواز سبتة وما جاورها (سنة ٧٠٦ ﻫ) .

وكان لتطوّر الحوادث على هذا النحو أسوأ الأثر في نفس السلطان أبي يعقوب ، فاعتزم أن يسير بنفسه إلى استرداد سبتة ، ولكن حدث بينما كان يجدّ في الأهبة أن أغتاله كبير الخصيان ، في مؤامرة دبّرها الخصيان للتخلّص منه خوفاً من أن يبطش بهم ، فتوفى قتيلاً في ذي القعدة سنة (٧٠٦ ﻫ —

نيسان ١٣٠٧ م) ونشبت عقب مصرع السلطان حرب أهلية حول العرش بين ولديه أبي ثابت وأبي سالم، هزم فيها أبو سالم وقتل. واستقر أبو ثابت على العرش .

وفي ذلك الحين ، كان عثمان بن أبي العلاء المريني يتوغّل بجنده في شمالي المغرب ، وكان هذا الجنديّ الجرىء يتّجه بأطماعه إلى عرش المغرب، ويعتمد في تحقيقه على أنّه سليل بنى مرين . ولما توغل بجنده جنوباً ، دعا لنفسه بالملك . واستولى على بعض الحصون . وأيدته بعض القبائل ، وهزم عساكر السلطان أبي يعقوب حينما تصدّى لوقفه . وانتهز فرصة مصرع السلطان ونشوب الحرب الأهلية بين ولديه ، فزاد إقداماً وتوغّلاً . واستفحل أمره ، ولاح الخطر يهدّد ملك بنى مرين .

وما كاد السلطان أبو ثابت يستقرّ على عرش أبيه . حتى اعتزم أمره القضاء على تلك الحركة الخطرة . واسترداد سبتة . فسار إلى الشمال على رأس جيش ضخم في شهر ذي الحجة سنة (٧٠٧هـ) . ولما شعر عثمان بن أبي العلاء بوفرة قوّته وأهبته . بادر بالفرار مع جنده خشية لقائه . وزحف السلطان على الحصون الخارجة عليه . فأثخن فيها واستولى عليها . ثمّ سار إلى طنجة ، وامتنع عثمان بن أبي العلاء بقوّاته في سبتة . فسار إليها السلطان ، وضرب عليها الحصار الصارم ، وأمر ببناء بلدة تيطاوين (تطوان) لنزول عسكره ، ولكنه مرض أثناء ذلك وتوفى في (صفر سنة ٧٠٦ هـ – حزيران ١٣٠٨ م) (٣١) .

وخلفه على ملك المغرب أخوه السلطان سليمان أبو الربيع . وارتد بالجيش إلى فاس تاركاً سبتة لمصيرها . فخرج في أثره عثمان بن أبي العلاء في قوّاته . ونشبت بين الفريقين معركة هزم فيها عثمان . وقتل من الأندلسيين عدد جمّ . فخشى

---

(٣١) ابن خلدون (٢٣٧/٧) .

عثمان العاقبة ، وعاد إلى الأندلس مع آله ، ولحق بغرناطة ، وتابع السلطان أبو الربيع سيره إلى فاس ، واستقام له الأمر .

ولم تمض على ذلك أشهر قلائل حتى وقعت بالأندلس حوادث مهمّة ؛ ذلك أنّ عوامل الانتقاض التي لبثت بضعة أعوام تعمل عملها في ظلّ محمد المخلوع ، تمخّضت في النهاية عن نشوب الثورة . وكان مدبّرها ومثير ضرامها أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، ومن ورائه رهط من كبار الدولة ، سئموا نظام الطغيان الذي فرضه محمد المخلوع ووزيره ابن الحكيم . وأضرمت الثورة في يوم عيد الفطر سنة (٧٠٨ هـ — ١٠٣٩ م) ووثب الخوارج بالوزير ابن الحكيم فقتلوه ، واعتقلوا السلطان محمداً ، وأرغموه على التنازل عن العرش ، وتربّع أخوه نصر مكانه في الملك ، ونفي السلطان المخلوع إلى حصن المنكب حيث قضى خمسة أعوام في أصفاد الأسر ؛ ثم أعيد بعد ذلك مريضاً إلى غرناطة ، حيث توفي سنة (٧١٣ هـ) (٣٢) .

ووقف سلطان المغرب على حوادث الأندلس ، وبلغه أنّ أهل سبتة قد سئموا نير الأندلسيين فبعث إليها حملة بقيادة تاشفين بن يعقوب ، فلما وصلت إليها ثار أهل البلد ، وطردوا جند ابن الأحمر وعماله . ودخلتها في الحال قوات المغرب واستولوا عليها . وذلك في شهر صفر سنة (٧٠٩ هـ) ، واغتبط السلطان بانتهاء هذه المغامرة التي شغلت بني مرين بضعة أعوام .

٣ — نصر بن محمد الفقيه وحوادث ايامه :

كان سلطان غرناطة الجديد نصر بن محمد الفقيه يوم جلوسه فتى في الثالثة والعشرين من عمره ، وكان ولوعاً بالأبهة والمظاهر الملوكيّة ، وكان أديباً عالماً بارعاً في الرياضة والفلك ، وقد وضع جداول فلكيّة قيّمة ، ولكنّه لم يُحسن السيرة ، ولم يوفّق في تدبير الأمور . وسرعان ما سخط عليه الشعب

(٣٢) الاحاطة (١/٥٥٢ — ٥٦٤) واللمحة البدرية (٤٨ — ٥٤) .

كما سخط على أخيه من قبل ، فاضطربت الأحوال ، وتوالت الأزمات، وكانت حوادث سبتة نذيراً بتفاقم التوتر بين غرناطة وفاس . ومن جهة أخرى ، فقد ساءت العلاقة بين غرناطة وقشتالة ، وانتهز القشتاليون كعادتهم فرصة اضطراب الأحوال في غرناطة ، فغزوا أرض المسلمين في اوائل سنة (٧٠٩هـ) ووضع فرديناند الرابع ملك قشتالة مشروعاً جريئاً للاستيلاء على جبل طارق. وكانت الامدادات المغربية قد انقطعت منذ استولى الاسبان على طريف ، وشغل بنو مرين بالحوادث والثورات الداخلية ، وساءت علائقهم ببني الأحمر . ورأى فرديناند الرابع أنّ الفرصة سانحة ليضرب ضربته المفاجئة ، فغزا الجزيرة الخضراء ، وبعث أسطوله لحصار جبل طارق من البحر ، وأوعز في نفس الوقت إلى خايمى ملك أراغون أن يحاصر المرية لكي يشغل قوّات الأندلس ، فاستجاب لتحريضه ، وذلك بالرغم من معاهدة التحالف والصداقة التي كانت تربطه بسلطان غرناطة . وبدأ حصار المرية وجبل طارق في وقت واحد في أوائل سنة (٧٠٩هـ) ، وبـذل الأسبان للاستيلاء على المرية جهوداً جبارة ، ونصبوا على أسوارها الآلات الضخمة ، وحفروا في أسفل السور نفقاً واسعاً لدخولها ، فلقيهم المسلمون تحت الأرض وردّوهم بخسارة فادحة ، ونشبت بالقرب من المرية معركة بين جند الأندلس بقيادة عثمان بن أبي العلاء وجند أراغون . فهزم الاسبان واضطروا الى رفع الحصار ، ونجت المرية من خطر السقوط (٣٣) ولكن ثغر جبل طارق كان أسوأ حظاً . فقد شدّد الاسبان حوله الحصار من البر والبحر ، وبالرغم من هزيمتهم أمام المسلمين على مقربة من جبل طارق ، فقد لبثوا على حصاره بضعة أشهر حتى أضنى الحصار المسلمين وأرغموا على التسليم وسقط الثغر المنير بيد الاسبان في أواخر سنة (٧٠٩ هـ) مارس سنة ١٣١٠ م) فكان لسقوطه وقع عميق في الأندلس والمغرب معاً ،

---

(٣٣) ابن خلدون (٧/ ٢٤٠) واللمحة البدرية (٦٢) .

فقد كان باب الأندلس من الجنوب ، وكان صلة الوصل بين المملكتين الاسلاميتين .

وأدرك ابن الأحمر على أثر هــذه النكبة فداحة الخطــأ الذي ارتكبه بمجافاة بنى مرين ، فبادر بأرسال رسله إلى السلطان أبي الربيع ، يبدى أسفه على ما سلف ، ويسأله الصفح والصلح ، فأجابه السلطان إلى طلبه ، ونزل ابن الأحمر للسلطان عن الجزيرة ورندة وحصونها ترضية له وترغيباً في الجهاد ، واقترن بأخت السلطان توثيقاً لوشائج المودة ، فأرسل إليه السلطان المدد والأموال ، وعادت علائق التفاهم والتحالف بين غرناطة وفاس إلى سابق عهدها .

على أنّ هذا التحسّن في علائق المملكتين الاسلاميتين ، لم يثن الاسبان عن مشاريعهم تجاه غرناطة ذلك أنّ الجيوش المغربية لم تعد تعبر إلى الجزيرة بكثرة . وكانت أحوال المغرب تحول بنى مرين وبين استئناف الجهادفي الأندلس على نطاق واسع ، وكانت أحوال غرناطة من جهة أخرى تشجّع الاسبان على التحرّش بها والأغارة على أراضيها . ولما رأى السلطان نصر تفاقم الأمور واشتداد بأس الإسبان ، لم ير وسيلة لاجتناب الخطر الذي يهدّده سوى مصانعة فرديناند الرابع ملك قشتالة والتعهد له بأداء الجزية . وكان ذلك مما زاد في سوء سيرته وفي سخط الشعب عليه . ولم تلبث أعراض الثورة أن ظهرت في الجنوب ، حيث أعلن الرئيس أبو سعيــد فرج بن إسماعيل النصرى صاحب مالقة وابن عمّ السلطان ، الخروج والعصيان ، ورشّح الخوارج للملك مكان نصر ، أبا الوليد إسماعيل . وهو حفيد لاسماعيل أخى محمد بن الأحمر رأس الأسرة النصرية . ولم يمض سوى قليل . حتى استطاع أبو سعيدوشيعته التغلّب على المرية وبلّش وغيرهما من القواعد الجنوبيّة . وفي أوائل سنة (٧١٢هـ — ١٣١٣ م) سار في قوّاته إلى غرناطة ، وهرع السلطان نصر فكانت الهزيمةعلى نصر ، فلجأ إلى غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أذعن واضطر الى التنازل عنالعرش ،

وسار بأهله إلى وادى آش، وتولى حكمها حتى توفى سنة (٧٢٢هـ-١٣٢٢م)(٣٤)

مملكة غرناطة في النصف الاول من القرن الثـامن الهجري
وذروة الصراع بين بني مرين واسبانيا النصرانية

١ ـ ابو الوليد اسماعيل وحوادث ايامه :

جلس السلطان أبو الوليد إسماعيل على عرش غرناطة في شـوال سنة (٧١٣ هـ ـ ١٣١٤ م) ، وامتاز عهده بتوطيد الملك ، واستقرار الأمور ، وإحياء عهد الجهاد . وفي أوائل عهده غزا القشتاليون كعادتهم بسائط غرناطة ، واستولوا على عدد من القواعد والحصون ، وهزموا المسلمين هزيمة شديدة في وادي فرتونة (٧١٦ هـ) . ولما رأى القشتاليون نجاح غزوتهم ، اعتزموا منازلة الجزيرة الخضراء والاستيلاء عليها ، ليحولوا دون وصول الأمداد إلى المسلمين من عُدوة المغرب . ولكنّ السلطان إسماعيل بادر إلى تحصينها وجهّز الأساطيل لحمايتها من البحر . فعدل القشتاليون عن مشروعهم ، وعوّلوا على مهاجمة الحاضرة الإسلامية ذاتها . وبادر ابن الأحمر بطلب الغوث والأمداد من السلطان أبي سعيد سلطان المغرب . فنكل عن معاونته ، وطالب بتسليم عثمان بن أبي العلاء لما كان منه في حقّ بني مرين ، فأبى ابن الأحمر خشية العواقب . وزحف القشتاليون على غرناطة بجيش ضخم يقوده الدون بيدرو (دون بطره) والدون خوان الوصيان على الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة ، ومعهما عدّة من الأمراء القشتاليين . وفرقة من المتطوّعة الإنكليز بقيادة أمير إنكليزي ؛ فبادر المسلمون إلى لقائهم في هضبة إلبيرة على مقربة من غرناطة . وكان الجيش الغرناطي لا يتجاوز ستة أو سبعة آلاف جنديّ . منهم ألف وخمسمائة فارس . ولكنّهم صفوة المقاتلة المسلمين . وكان قائده شيخ الغزاة أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، جندياً جريئاً وافر العزم والبسالة ، فلم ترعه كثرة الجيش المهاجم ، وعوّل

---

(٣٤) الاحاطة (١/٣٩٣ ـ ٣٩٤) واللمحة البدرية (٥٧ـ ٦٣) ونهاية الاندلس (١٠٤ ـ ١٠٦) .

في الحال على لقائه في معركة حاسمة . وفي ٢٠ من ربيع الثاني سنة (٧١٨هـ — مايس ١٣١٨ م) التقـى فرسـان المسلمين بطـلائع الاسبـان وردّوهـم بخسارة فادحة ثمّ زحف أبو سعيد في نخبة من جنده ، ونشبت بين الفريقين معركة شرسة ، كانت الدائرة فيها على القشتاليين ، فمزّقوا شرّ ممزّق ، وقتل منهم عدد جمّ بينهم دون بيدرو ودون خوان ورهط كبير من الأمراء والنبلاء والأحبار ، وغرق منهم عند الفـرار في نهر شنيل عـدد كبير من جيشهـم وأسّر منهم بضعة آلاف ، واستمر القتل والاسر فيهم ثلاثة أيام . وخرج أهل غرناطة فرحين مستبشرين ، يجمعون الأسلاب والاسرى ، وظفر المسلمون بغنائم عظيمة ، منها مقادير كبيرة من الذهب والفضّة . وكان على العموم نصراً مشهوراً أعاد ذكرى الجهاد المجيد . وكان معظم الفضل في إحرازه إلى الجند المغاربة وإلى شيوخهم بني العلاء الذين تزعّموا الجيوش الأندلسيّة ، وتولّوا قيادتها في تلك الأيام كما ذكرنا . ويعلّل ابن خلدون ظهور القادة والجند المغاربة في ميدان الجهاد بقرب عهدهم بالتقشف والبداوة . ووضع المسلمون جثّة الدون بيدرو في تابوت من ذهب على سور الحمراء تنويهاً بالنصر وتخليداً لذكرى هذه المعركة (٣٥) .

والواقع أنّ مملكة قشتالة كانت في أوائل القرن الرابع عشر في حالة سيئة ، فقد نفدت موارها من الرجال والاموال بسبب الحروب والثورات المتواصلة ، والمرض والقحط ، وكان إسراف البلاط ، وبذخ الخلائل واختلاس الموظفين ، ومطالب رجال الدين ، وجشع الأشراف ، تستنفد الأموال العامة ، وكانت الإدارة المالية بيد يهود ورجال الكنيسة ، وكلاهما يناوىء الآخر ، ويعمل على إحباط مساعيه ، وكانت الوصايا المتعاقبة ، وما تعمد إليه من اغتصاب الأموال وسوء استعمال السلطة وفسـاد القضاء ، وتطـاول الخلائل الملكية ،

(٣٥) انظر تفاصيل هذه المعركة الشهيرة في : ابن خلدون (١٧٢/٤) و (٢٥٠/٧) والاحاطة (٢١٠/١) .

وسحق الحقوق العامة والخاصة ، وتفشيّ الجريمة ، تثير غضب الشعب وسخطه ، وكان اللّون الصليبي للحروب الإسبانيّة في ذلك العصر ، يوطّد نفوذ جماعة من الفرسان الدينية العديدة ، وهي التي كانت في الواقع توجّه مصائر الحرب والسياسة ، بيد أنها كانت تخفى تحت ستار الدين رذائل كثيرة من الفجور والجشع والارتشاء وغيرها (٣٦) .

وفي سنة (٧٢١ هـ — ١٣٢١ م) جدّد السلطان إسماعيل معاهدة الصلح مع ملك أراغون خايمي الثاني وذلك تحقيقاً لرغبته ، ونصّ المعـاهدة الجديدة على أن يعقد بين الفريقين صلح ثابت لمدة خمسة أعوام تؤمن خلالها أرض المسلمين بالأندلس أرض أراغون تأميناً تاماً براً وبحراً . وأن تباح التجارة لرعايا كل من الطرفين في أرض الآخر ، وأن يتعهّد كلّ من الملكين بمعاداة مَن يعادي الآخر ، وألا يؤوي له عدواً أو يحميه . وأن تكون سفن كلّ فريق وشواطئه ومراسيه آمنة ، وأن يسرّح كل فريق مَن يؤسر في البحر من رعايا الفريق الآخر ، وتضمّنت المعاهدة أيضاً نصاً خاصاً بتعهد ملك أراغون بألاّ يمنع خروج المدجنين من أراضيه إلى أرض المسلمين بأهلهم وأولادهم وأموالهم ، وهو نصّ يلفت النظر . إذ كان المدجنون في هذا العصر يؤلفّون أقليات كبيرة في بلنسية ومرسية وشاطبة وغيرها من القواعد الشرقية . وكان ملوك أراغون يحرصون على بقائهم وعدم هجرتهم لأسباب اقتصادية وغيرها (٣٧) .

وعلى أثر معركة إلبيرة تعاقبت غـزوات المسلمين في أرض الاسبـان ، وعادت الدولة الاسلامية الفتية تجزز عهداً من القوة بعد أن لاح أنها فارفت طور الفناء .

ففي سنة (٧٢٤ هـ — ١٣٢٤ م) زحف السلطان إسماعيل على مدينة بيّاسة

(٣٦ — ٣٧) انظر Archivo de la Corona de Aragôn, No. 151 . Joid. 11. P. 476 — 478.

الحصينة وحاصرّها بشدّة ، وأطلق المسلمون عليها الحديد والنار من آلات قاذفة تشبه المدافع حتى سلّمت . وفي رجب من العام التالي (٧٢٥ هـ) سار إسماعيل إلى مرتش واستولى عليها عَنْوَة ، وكانت أعظم غزواتـّه ، وامتلأت أيدي المسلمين بالسّبي والغنائم ، ثمّ عاد السلطان إلى غرناطة مكلّلا بغار النصر . بيد أنه لم تمض على عودته ثلاثة أيام ، حتى قتل بباب قصره غيلة ، وكان قاتله ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة ، وقد حقد عليه لأنه انتزع منه جارية رائعة الحسن ظفر بها في معركة مرتش وبعث بها إلى حريمه بالقصر . ولما عاتبه محمد ردّه بجفاء وأنذره بمغادرة البلاط . فتربصّ به وطعنه بخنجره وهو بين وزرائه وحشمه ، فحمل جريحاً حيث توفى على الأثر ، وكان مصرعه في السادس والعشرين من رجب سنة (٧٢٥ هـ) — (تموز ١٣٢٥ م) .

وكان السلطان إسماعيل يتمتّع بخلال باهرة ، وكان يشتد في إخماد البدع وإقامة الحدود . وفي عهده حرّمت المسكرات وطورد الفساد الأخلاقيّ ، وحرم جلوس الفتيات في ولائم الرجال ، وعومل يهود بشيء من الشدّة ، وألزموا أن يتخذوا لهم شعاراً بهم ، وهو عبارة عن العمائم الصفراء (٣٨) .

وكان من أوائل أعماله ، تجديد معاهدة الصداقة مع أراغون . وكان ملكها خايمى الثاني قد اوفد إليه سفيره يطلب إليه تجديد معاهدة الصلح والصداقة ، ففعل كما ذكرنا .

٢ — أبو عبدالله محمد بن اسماعيل وحوادث ايامه :

وخلفه ولده أبو عبد الله محمد ، وهو فتى يافع لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، وكانت أمّه نصرانية تدعى علوة ، وأخذله البيعة وزير أبيه أبو الحسن بن مسعود . وقام بكفالته بضعة أشهر حتى توفى ، ثمّ خلفه في الوزارة وكيل أبيه محمد بن أحمد بن المحروق ، فاستبدّ بالأمور واستأثر بكلّ سلطة ،

---

(٣٨) الاحاطة (١/٣٩٥ — ٤٠١) واللمحة البدرية (٧١ — ٧٤) .

فحقد عليه السلطان الفتى . وكان رغم حداثته مقداماً قويّ النفس، ولم يلبث أن بطش بوزيره المتغلّب عليه . فقتل بأمره في المحرّم سنة (٧٢٩ هـ) .

وكان من أوائل أعماله تجديد معاهدة الصداقة مع أراغون ، وكان ملكها خايمى الثاني قد أوفد إليه سفيره يطلب إليه تجديد معاهدة الصلح والصداقة التي عقدت بينه وبين أبيه وانقضى أجلها المحدد بانقضاء أعوامها الخمسة . فوافق السلطان على تجديدها بسائر نصوصها وشروطها. ووقّعت المعاهدة الجديدة في جمادى الثانية سنة (٧٢٦ هـ – مايس ٣٢٦ م) (٣٩) .

ولأول عهده نشب الخلاف بينه وبين شيوخ الغزاة المغاربة وعلى رأسهم عثمان بن أبي العلاء . وامتنعوا ببعض الثغور الجنوبية ولا سيما المرية . وانضم إليهم عمّ السلطان محمد بن فرج بن إسماعيل . فقاموا بدعوته . ونشبت بين الفريقين عدة معارك محلية كان النصر بينهما سجالاً فيها . وانتهز القشتاليون كعادتهم تلك الفرصة . فأثخنوا في الأراضي الاسلامية واستولوا على ثغر بيرة وعدّة من الحصون(٤٠) ولما تفاقم عبث القشتاليين آثر السلطان التفاهم مع الخوارج عليه . وعقدت بينهما الهدنة على أن يستقروا بوادى آش باسمه وتحت طاعته.وتولى تدبير الأمور بعد مقتل ابن المحروق . الحاجب أبو نعيم رضوان النصرى ،فهدأت الفتنة واستقرّت الأمور نوعا ما . ولكن ابن الأحمر كان يتوجّس شراً من اضطراب الأحوال في مملكته . ومن تربّص النصارى بها .ورأى أن يتّجه بصريخه إلى بني مرين مرة أخرى . وكانت العلائق يومئذ على صفائها بين غرناطة وفاس . وكان بنو مرين حينما شغلوا بشئونهم الداخلية قد تركوا الجزيرة وحصونها لابن الأحمر (سنة ٧١٢هـ). فلما اشتدت وطأة النصارى على غرناطة . عاد ابن الأحمر فنزل عن الجزيرة إلى ملك المغرب السلطان أبي سعيد (سنة ٧٢٩ هـ) لتكون رهينة

(٣٩) Archive de la Corona de Argôn, No. 148.

(٤٠) الاحاطة (٥٤٤/١) ، وبيره بلدة حصينة تقع في شمال شرقي ولاية المرية على مقربة من البحر .

ومنزلاً للأمداد المرجوّة من وراد البحر ، ولكنّ النصارى استولوا على معظم حصونه وأضحى طريق الجواز ولا سيما بعد ضياع جبل طارق عسيراً محفوفا بالمخاطر . وعبر ابن الأحمر البحر في أواخر سنة (٧٣٢ هـ) إلى عدوة المغرب ، وقصد إلى فاس مستنجداً بملك المغرب السلطان أبي الحسن على بن أبي يعقوب المريني ، فاستقبله السلطان بمنتهى الحفاوة ، وشرح ابن الأحمر ما انتهت إليه شئون الأندلس، وما ترتّب على سقوط جبل طارق من قطع صلة الوصل بين المملكتين ، ورجاه الغوث والعون .

والواقع انّ استيلاء الاسبان على جبل طارق في سنة (٧٠٩ هـ — ١٣١٠ م) كان أعظم نكبة منيت بها الأندلس منذ سقوط قواعدها الكبرى ، وقد شعرت مملكة غرناطة بفداحة النكبة ، وازداد منذ وقوعها توجّسها من المستقبل . وكان المسلمون قد جدّدوا تحصيناتهم في منتصف القرن السادس الهجري حينما عبر إليها خليفة الموحّدين عبد المؤمن بن علي ، وأسماها جبل الفتح ، وأمر بتجديد حصنها الذي مايزال قائما حتى اليوم فوق الصخرة من ناحيتها الشمالية . وكان سلطان غرناطة يتوق إلى استرداد هذا المعقل المنيع درع مملكته من الجنوب . وكان فوق اضطرامه بعاطفة الجهـــاد يرى خطر إسبانيا النصرانية يلوح داهماً ليس على الأندلس فقط ، بل على المغرب أيضاً . ذلك لأنّ المغرب أخذت تبدو من ذلك الحين جناح المغرب وخطّه الدفاعيّ الأول من الشمالى ، ولا بد من تأمين هذا الخط والسّهر على سلامته . وذلك بدعم قوّة الأندلس وتأييدها ، وردّ خطر الاسبان عنها . ومن ثم فقد استجاب أبو الحسن لدعوة ابن الأحمر ، وبعث معه الأمداد بقيادة ولده أبي مالك ، لمنازلة جبل طارق وافتتاحها . وتلاحقت على أثرهم السفن تحمل المدد والعدد والمؤن ، وحشد ابن الأحمر قوّاته ، وزحف على الجزيرة واستولى عليها ، وطوّق المسلمون جبل طارق من البر والبحر ، ورابط أسطول المغرب في بحر الزقاق ليحول دون وصول الأمداد إلى الاسبان ، وهرع ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر في قوّة من الفرسان لانجاد الحامية المحصورة ، فبادر

ابن الأحمر الى مهاجمة الاسبان وهزمهم أمام جبل طارق تجاه البرزخ الاسباني . وكان أكبر الفضل في احراز هذا النّصر راجع إلى همّة الحاجب رضوان النصرى وإقدامه وبراعته . ثمّ شدّد المسلمون الحصار على الثغر . وقطعوا كلّ صلاته من البرّ والبحر ، فلم تمض بضعة أسابيع حتى ساءت حالة الحامية الاسبانية واضطرت الى التسليم قبل مقدم الجيش القشتالى وبذلك استعاد المسلمون الثغر المنيع في أواخر سنة (٧٣٣ هـ - ١٣٣٣ م) بعد أن لبث في حوزة الاسبان أربعة وعشرين عاما ، وكان أكبر الفضل في في استرداده راجعاً إلى معاونة السلطان أبي الحسن في البر والبحر . ولما رابط المسلمون والنصارى في الميدان وجهاً لوجه ، ورأى ملك قشتالة . أنّه لا أمل في كسب معركة انتهت بظفر المسلمين ، آثر الصلح ، وانتهى الأمر بعقد الهدنة بين الملكين (٤١). واعتزم السلطان محمد بن إسماعيل ابن الأحمر العودة بجنده إلى غرناطة ولكنه ماكاد يغادر جبل طارق في اليوم التالى عائداً إلى عاصمة ملكه حتى اغتاله في الطريق جماعة من المتآمرين بتحريض بني أبي العلاء (ذى الحجة سنة ٧٣٣ هـ). وكان أولئك القادة المغاربة وعلى رأسهم شيخهم عثمان بن أبي العلاء قد استفحل أمرهم في الدولة . وأخذوا ينازعون السلطان في أمر تصرفاته . وبدأ ابن الأحمر يتبرّم بتدخلهم واستبدادهم ، وكان حينما عبر السلطان أبو الحسن قد خاطبه في شأنهم وسبيل الخلاص منهم. واستراب بنو العلاء منه . وتوجّسوا شراً . فائتمروا منه للتخلّص منه قبل أن يبطش بهم . ولحق به المتآمرون حين عوده واغتالوه طعناً بالرماح ، وتركت جثته في العراء حيناً حتى نقلت بعد ذلك إلى مالقة ودفنت بها(٤٢)

---

(٤١) الاحاطة (١/٥٤٠ - ٥٥٢) واللمحة البدرية (٧٧ - ٨٢) وابن خلدون (٧/٢٥٥) .

(٤٢) ابن خلدون (٧/٢٦٣ - ٢٦٤) .

٣ ـ أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد واحداث ايامه :

وولى العرش بعده أخوه أبو الحجّاج يوسف بن أبي الوليد، وهو فتى في السادسة عشرة من عمره، وكان من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همّة وأرفعهم خلالا . وكان عالماً شاعراً يحمي الآداب والفنون، وهو الذي أضاف الى قصر الحمراء أعظم منشآته وأروعها . وما كاد يتبوّأ العرش حتى عنى بتتبّع بني أبي العلاء قتله أخيه، وتجريدهم من وظائفهم وتمزيق عصبتهم والقبض على شيوخهم . وكان ذلك في الوقت نفسه تحقيقاً لرغبة السلطان أبي الحسن ثمّ نفاهم في السفن إلى تونس ، وانتهت بذلك رياستهم بالأندلس ، بعد أن طالت زهاء نصف قرن . ولما نزلوا على سلطان تونس أبي يحيى ، طالب السلطان أبو الحسن بتسليمهم ، فأرسلهم إليه أبو يحيى ولكن مع طلب الشفاعة فيهم ، فعفاعنهم أبو الحسن ، وأكرم مثواهم مدى حين ، ولكنه عاد وقبض عليهم بتهمة التآمر عليه ، وأودعهم السجن (٤٣) .

وقام بتدبير الأمور للسلطان أبي الحجّاج وزير أخيه الحاجب أبو النّعيم رضوان . وكان هو الوزير القويّ الذي أدى في تاريخ غرناطة دوراً مهما ، أصله نصرانيّ قشتاليّ أو قطلونيّ ، وسبي طفلاً في بعض المواقع ، فأخذ إلى الدار السلطانية ، ونشأ في بلاط السلطان أبي الوليد إسماعيل (٤٤) وظهرت نجابته وصفاته الممتازة فعهد إليه بتربية ولده أبي عبد الله محمد . ولما تولى محمد الملك بعد أبيه . تولى وزارته الحاجب رضوان ، فأظهر في تدبير الشئون كفاية متميّزة . وقاد بعض الغزوات الناجحة إلى أرض الاسبان ، فغزا في سنة (٧٣٢ هـ) أراضي قشتالة شرقاً حتى لورقة ومرسية وعاث فيها . وفي العام التالى غزا مدينة باغة واستولى عليها(٤٥) ولما تولى الملك السلطان يوسف ،

(٤٣) ابن خلدون (٤/٢٦٤) .
(٤٤) الاحاطة (١/٥١٥) .
(٤٥) الاحاطة (١/٥٤٨ ـ ٥٤٩) .

وقع الاجماع على اختياره للوزارة ، واستقرّت الأمور في عهده وساد الأمن والرخاء . وينوّه ابن الخطيب – وهو معاصر للحاجب وصديقه ، بصفاته ومواهبه ويسميه : « حسنة الدولة النصرية وفخر مواليها » . وكان من أعظم مآثره إنشاء مدرسة غرناطة الشهيرة ، فأقام لها صرحاً فخماً . ووقف عليها أوقافاً جليلة ، وغدت غير بعيد من أعظم مناهل العلم في الأندلس والمغرب . وأمر ببناء السور الأعظم حول ربض البيازين ، وأنشأ عدداً كبيراً من الأبراج الدفاعية ، وأصلح كثيراً من الحصون الداخلية ، ولكنه كسائر المتغلبين على السلطان ، استبدّ بالأمر واستـأثر بكلّ سلطة . فلما شعر السلطان يوسف باشتداد وطأته ، وكثرت السعايات في حقّه . نكبه وأمر باعتقاله ونفيه إلى المرية . وذلك في رجب سنة (٧٤٠هـ) . ولكنه اضطر إلى أن يعيده إلى الوزارة بعد ذلك ببضعة أشهر ، حينما شعر بالفراغ الذي أحدثه تنحيه عن تدبير الشئون فاستمرّ في منصبه حتى نهاية عهده (٤٦) .

وكان من بين وزراء السلطان يوسف . الكاتب والشاعر الكبير الرئيس أبو الحسن على بن الجياب . وقد تغلّب في ديوان الانشاء حتى ظفر برئاسته . وكان من زملائه وأعوانه في ديوان الانشاء عبدالله بن الخطيب والد لسان الدين ، ولما توفى عبد الله خلفه في خدمة القصر ولده لسان الدين . وغدا أميناً لابن الجياب . فلما توفى ابن الجياب سنة (٧٤٩ هـ) في الوباء الكبير ، خلفه في الوزارة . وبزغ نجم مجده من ذلك الحين .

وفي عهد السلطان يوسف . كثرت غزوات الاسبـان لأراضي المسلمين ، وكان الفونسو الحادي عشر تحدوه نحو المملكة الاسلامية أطماع عظيمة . ولما شعر يوسف باشتداد وطأة القشتاليين . وضعف وسائله في الدفاع ، أرسل يستنجد بالسلطان أبي الحسن علي بن عثمان ملك المغرب . فأرسل الأمداد للمرة

(٤٦) الاحاطة (٥١٨/١) وما بعدها .

الثانية إلى الأندلس مع ولده الأمير أبي مالك ، فاخترق سهول الجزيرة الخضراء معلناً الجهـاد ، وتوجس الاسبـان من مقـدم الجيوش المغربية شـراً ، واعتزموا أن تواجه الغزوة في قواها المحتدة ، فسار أسطول مشترك من سفن قشتالة وأراغون والبرتغال إلى مياه جبل طارق بقيادة الدون جوفرى تنوريو ، ليمنع الأمداد عن جيوش المغرب ، وبارك البابا الحملة ، وسارت قوى إسبانيا المتحدة للقاء المسلمين واجتاح أبو مالك بجاية (٤٧) وحصل على غنائم لاتحصى في زحفه على أرض النصارى وهنا فاجأه الاسبان قبل أن يستطيع الانسحاب إلى إلى أراضي المسلمين . فنشبت بين الطرفين معركة دموية هزم فيها المسلمون هزيمة شديدة . وقتل أبو مالك ، وكان ذلك في أواسط سنة (٧٤٠ هـ — ١٣٣٩م)

وعندئذ عوّل السلطان أبو الحسن على العبور بنفسه إلى الأندلس ، ليثأر لتلك الهزيمة المؤلمة ، فجهز الجيوش والأساطيل الضخمة . وبلغ أسطول المغرب مائة وأربعين سفينة . منها عدد كبير من السفن الحربية . وجاز السلطـان البحـر إلى الأندلس في أوائل المحـرم سنـة (٧٤١ — حزيران ١٣٤٠ م) ونزل بسهل طريف . ولحق به السلطان يوسف في قوّات الأندلس ، وكانت القوّات الاسبانية قد نفذت يومئذ إلى أعماق مملكة غرناطة ، ووصلت إلى بسائط الجزيرة الخضراء . ورابط الأسطول الاسباني في بحر الزقاق بين المغرب والأندلس . ليمنع الأمداد والمؤن . وضرب الاسبان الحصار حول ثغر طريف . وتغلّبوا على حاميته ومضت أشهر قبل أن يقع اللقاء الحاسم بين الفريقين . فشحّت الأقوات بين المسلمين ، ووهنت قواهم وكان الجيش الاسلامي يرابط يومئذ في السهل الواقع شمال غربيّ طريف على مقربة من نهـر سالادو الصغير الذي يصب في المحيط الأطلسي عنـد بلدة كونيل التي تبعـد قليلاً عن رأس طـرف الغـار . وفي يـوم (٣٠ تشـرين الأول

(٤٧) وهي بالاسبانية (Pechina)

١٣٤٠ – جمـادى الأولى سنة ٧٤١ هـ) نشبت بين الفريقين معركة عامة على ضفاف نهر سالادو ، وتولىّ السلطان أبو الحسن قيادة جيشه بنفسه ، وتولى السلطان يوسف قيادة فرسان الأندلس . ويقال إنّ الأندلسيين كانت لديهم في تلك المعركة آلات تشبه المدافع . وهي الآلات التي تطوّرت فيما بعد ، وكانت تسمّى بـ : « الأنفاط » . وتقدم الفونسو الحادي عشر بجيشه لمهاجمة المغاربة فصُدّ في البداية بقوّة . واشتبك فرسان الأندلس مع جيش البرتغال ، ولكن حدث عنـدئذ أن تسللت حاميـة طـريف من الجنـوب ، وانقضّت على الجيش الاسلاميّ ، فدبّ الخلل إلى صفوفه ، ونشبت بين الفريقين معركة هائلة سالت فيها الدماء غزيرة ، وقتل من المسلمين عدد جمّ ، وسقط معسكر سلطان المغرب في يد الاسبـان وفيه حريمه وحشمه وبعض أولاده ، فذبحوا جميعاً على الأثر بوحشية مروّعة ، وانتثرت قوّات المسلمين وبدّدت ، وفرّ السلطان أبو الحسن . واستطاع ان يعبر الى المغرب مع فلوله ، وارتد السلطان يوسف الى غرناطة . وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ موقعة العقاب ، وكان لها أعمق وقع في المغرب والأندلس (٤٨) .

وانتهز ملك قشتالة فرصة ظفره وضعف المسلمين ، فغزا قلعة بني سعيد وقلعة يحصب من أحواز غرناطة واستولى عليها بعد حصار قصير (٧٤٢هـ) (٣) وكان ملك المغرب في أثنـاء ذلك يضـطرم ظمأً للانتقام ، ويحشد قوّاته من جديد . ولما كملت أهبته أرسل أساطيله إلى بحر الزقاق ، وسار بالجيش إلى سبتة ، وبادر ملك قشتالة من جانبه بإرسال أسطوله القاء المسلمين . ونشبت بين الطرفين معركة بحرية هزم فيها المسلمون . ومزّق أسطولهم (٧٤٣هـ – ١٣٤٢م) . وحاصر الاسبان ثغر الجزيرة الخضراء وسار السلطان يوسف في جيشه لانجاد الثغر المحصور ، وكان جيشه مجهزاً بالآلات القاذفة الجديدة التي تشبه المدافع ، ولكنه لم يفلح واضطر المسلمون إلى التسليم . وبذلك أضحى الثغران الجنوبيان

(٤٨) انظر ابن خلدون (٧/٢٦١ – ٢٦٢) والاستقصـا لاخبـار دول المغـرب الاقصى (٢/٦٥ – ٦٦) واللمحة البدرية (٩٢ – ٩٣) .

المشرفان على مضيق جبل طارق وهما الجزيرة وطريف في أيدى النصارى ، ولم يبق في يد المسلمين سوى جبل طارق يؤدى مهمة الوصل بين المغرب والأندلس.

ولم يخل عصر السلطان أبي الحجّاج يوسف من عقد العلائق السياسية مع الدول الاسبانية ، وكان عقدها بالأخصّ مع مملكة أراغون التي كانت أقرب إلى مملكة غرناطة من زميلتها مملكة قشتالة ، ففي سنة (٧٣٥هـ - ١٣٣٥م) أرسل السلطان سفيره القائد أبا الحسن بن كماشة إلى الفونسو الرابع ملك أراغون ليطلب تجديد معاهدة الصلح المعقودة بين المملكتين ، فأجابه إلى ذلك ، وجدّدت المعاهدة .

وفي أواخر سنة (٧٤٥ هـ - ١٣٩٥ م) عقد السلطان يوسف مع بيدرو الرابع ملك أراغون معاهـدة صلح ومهادنة جديدة ، في البر والبحر لمدة عشرة أعوام على يد سفيره القائد المذكور . وطلب من السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب أن يوافق على هذا الصلح ، فوافق عليه ، وأبرمه من جانبه بنفس الشروط ولنفس المدة التي يسرى فيها ، وذلك حسبما يدل عليه عهد الموافقة الذي أصدره بتاريخ صفر سنة (٧٤٦ هـ - حزيران ١٣٩٥ م) (٤٩) .

وهنا طافت بالأندلس وإسبانيا تلك النكبة المروّعة التي عصفت بالمشرق والمغرب معاً ، ونعني بذلك الوباء الكبير الذي اجتاح سائر الأمم الاسلامية وحوض البحر الأبيض المتوسط في سنة (٧٤٩ هـ - ٧٥٠ هـ - ١٣٤٨ م) وكان بعد ظهوره على ما يرجّح في إيطاليا في ربيع هذا العام . وحمل من الأندلس كثيراً من سكانها ، وفي مقدمتهم عدة من رجالها البارزين من الكبراء والعلماء . وقد وصف لنا ابن الخطيب تلك المحنة التي كان معاصراً لها وشاهد عيان لروعها وفتكها في رسالة عنوانها : « مقنعة السائل عن المرض الهائل » ، وكذلك وصف لنا عصف الوباء بثغر المرية شاعر المرية الكبير ابن خاتمة في

(٤٩) نهاية الاندلس (١٢٢) .

رسالة عنوانها : « تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد »(٥٠) .

ولبث ملك قشتالة أعواماً أخرى على خطته في إرهاق المملكة الاسلامية والعبث فيها . والمسلمون يدافعون جهد استطاعتهم . وأمراء المغرب مشغولون عن نجدتهم بما أصابهم من هزائم متوالية . وما شجر بينهم من خلاف .وفي سنة (٧٥٠ هـ — ١٣٤٩ م) غزا الاسبانسهول الجزيرة الخضراء مرة أخرى ، وكان ملك قشتالة يرمي بهذه الغزوة إلى غاية هامة هي الاستيلاء على جبل طارق. وكان هذا الثغر ما يزال منذ عصور أمنع ثغور المسلمين وأشدّها مراسا . فلما رأى الاسبان استحالة أخذه عنوة ، ضربوا حوله الحصار الصارم . وكانت تدافع عنه حامية مغربية قويّة ،ورابط ملك غرناطةبجيشه في مؤخرة الاسبان ، واستمرّ حصار جبل طارق زهاء عام كامل ، والمسلمون ثابتون كالصخرة التي يدافعون عنها . وقد عيل صبر الغزاة ودبّ الوهن إلى نفوسهم . ثم فشا الوباء في الجيش الاسباني . وهلك ملك قشتالة في مقدمة مَنْ هلك من جنده ؛ فكان ذلك نذيراً بخلاص الثغر المنيع والمدافعين عنه ، واضطر الاسبان إلى رفع الحصار (٧٥١ هـ — ١٠٥٠ م) . وأنقذ المسلمون بذلك من كارثةفادحة، وأبدى المسلمون بهذه المناسبة ضروباً مؤثرةً من تسامح الفروسية ، فتركوا موكب الملك المتوفى يخترق طريقه إلى إشبيلية دون تعرّض ، وارتدى كثير من أكابرهم شارة الحداد مجاملة وتكريماً . وخلف الفونسو على العرش في الحال ولده بيدرو (بطره) الملقب بالقاسي(٥١) .

واستمرّ أبو الحجّاج يوسف في الحكم بضعة أعوام أخرى . ساد فيها السلام والأمن . ولكنه ما لبث أن قُتل غيلة أثناء صلاته في المسجد الأعظم

---

(٥٠) توجد هاتان الرسالتان ضمن مجموعة خطية تحفظ بمكتبة الاسكوريال برقم ١٧٨٥ . وقد نشرت رسالة ابن الخطيب مع ترجمتها الالمانية في مجلة اكاديمية العلوم البافارية (سنة ١٨٦٣ م) .

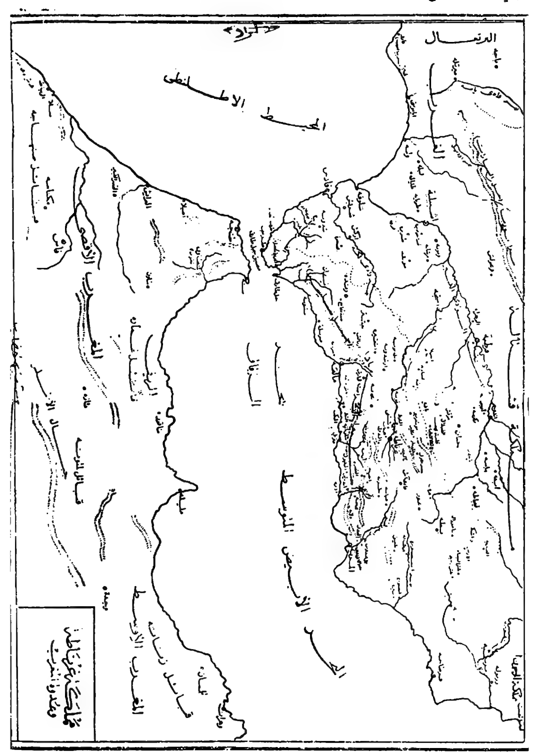
(٥١) ابن خلدون (١٨٣/٤) .

في يـوم عيـد الفطـر سنـة (٧٥٥ هـ - تشـرين الأول ١٢٥٤ م) قتله مخبول لم يفصح عن بواعثه وأغراضه، فمزّق وأُحرق بالنار على الأثر(٥٢). وكان مقتله وهو في السابعة والثلاثين في عنفوان فتوّته ومجده، ودفن السلطان الشهيد في مقبرة الحمراء إلى جانب آبائه مبكياً عليه من شعبه بدموع غزيرة. وكان السلطان يوسف أعظم ملوك غرناطة همّة وعزماً، وأبدعهم خلالا، وكان فوق فروسيته ونجدته عالماً أديباً، شغوفاً بالعمارة وإقامة الصروح الباذخة، وهو الذي شيدّ البرج الأعظم بقصر الحمراء، وأنشأ به أفخم أجنحته وأبدعها، وهو الذي أسبغ على هذا الصرح العظيم بمنشآته وزخارفه، بهاءه وروعته التي ما زال يحتفظ بلمحة منها. وفي عصره زهت العلوم والآداب، وذاعت شهرة العلماء المسلمين، ولا سيما في الفلك والكيمياء.

وهكذا لبث بلاط غرناطة حقبة يقف من دولة بني مرين مواقف متناقضة، ويتردّد بين سياسة التحالف والقطيعة، وبين الثقة والتوجّس. وليس من شك في أنّ بني مرين كانوا عضداً قيّماً لمملكة غرناطة الناشئة، وقد أدّوا لها في ميدان الجهاد وفي مقاتلة الاسبان خدمات جليلة. وبذلوا في ذلك السبيل تضحيات جمّة، وأعادوا بانتصارهم على الاسبان في غير موقعة حاسمة، ذكريات الزلاقة والأرك، ولولا غوث بني مرين، واشتغال مملكة قشتالة بحوادثها الداخلية غير مرة، لما اشتدّ ساعد بتني الأحمر وسطعت دولتهم خلال هذه المدة المليئة بالحوادث الجسـام. واسـتطالت أيام الاسـلام بالأندلس زهـاء مائة عام أخـرى. وقـد كان من سـوء الطّالع ألاّ يدرك بلاط غرناطة خطـر الخـلاف مع الحليف الطبـيعي الذي رتّـبه القدر فيما وراء البحر، لانجاد الأندلس عند الخطر الداهم، وأن يجنح من آن لآخر إلى مخاصمة هذا الحليف ومحاربته، كما استولى ابن الأحمر على سبتة. كذلك لم تخل سياسة بني مرين إزاء مملكة غرناطة أحياناً، من الالتواء

(٥٢) اللمحة البدرية (٩٧).

وبثّ الشكوك في نفوس أمراء بني نصر ، بما كانت تمنح إليه من مداخلة الخوارج عليهم . وهكذا كانت قوى الاسلام تبدّد في معارك أهلية ، وقد كان حرياً بها أن تتضافر عند مغالبة العدو المشترك . على أنّ الدولة المرينيّة ذاتها تدخل منذ وفاة أبي الحسن في سنة (٧٥٢ هـ — ١٣٥١ م) في دور انحلالها ، وتنحدر إلى غمرات الحرب الأهلية ، وتشغل بشؤونها الداخلية ، وتفقد غرناطة بذلك ، العضد الوحيد . الذي كانت تدّخره وقت الشدائد . وقد استمرّت العلائق بين غرناطة وبني مرين عصراً آخر . ولكنها غدت علائق بلاط ، تغلب عليها دسائس القصور ، وانقطعت الجيوش المغربية عن العبور الى الأندلس لمقاتلة الاسبان . كما كانت تفعل أيام أبي يوسف وأبي يعقوب وأبي الحسن ، ولم تعبر بعد ذلك سوى مرة واحدة لمعاونة الخوارج في جبل طارق ضد ملك غرناطة . وتركت غرناطة من ذلك الحين الى مصيرها داخل الجزيرة الاسبانية تغالب قوى الاسبان بمفردها . وقدر استطاعتها ، وكان ملاذها الأخير هي اختلاف كلمة الاسبان . وإنشغالهم بذلك الخلاف عن محاربتها .



ديوان الخبزارزي

نصر بن احمد البصري
المتوفى سنة ٣٣٠ هـ
(القسم الرابع)

بتحقيق
الشيخ محمد حسن آل ياسين
عضو المجمع

قافية النون

[١٩٧]

وقال أيضاً [1] : [٦٠/أ]

١ ــ قُلْ لمولاي : يا بديعَ الزمانِ   يا هلال الدجى على غصن بانِ
٢ ــ يا مريض الجفون أمرضتَ جسمي   مرضاً من تمرُّض الأجفانِ
٣ ــ يا غزالَ الجنان لا تحرمنّي   جنّةَ الوصل يا غزالَ الجنانِ
٤ ــ جمّعَ اللهُ فيك يا قرّة العيـ   ـن جميعَ الصفات والأحسانِ [2]
٥ ــ فكأني من حُسن وجهك أرعى   ناظري في حدائق [3] البستانِ
٦ ــ وكأني من غُنْج الحاظ عينيـ   ـكَ أناغي لواحظَ الغزلانِ
٧ ــ وكأني من شكْل قدّك في شكـ   ـل تثنّيَ نواعم الأغصانِ
٨ ــ وكأني من ظَرْف لفظك في لفـ   ـظ نفيسٍ [4] اليا قوت والمرجانِ
٩ ــ وكأني عند انبساطك نحوي   زلتُ عن مالك الى رضوانِ
١٠ ــ وكأني عند انتشاقي لأنفا   سكَ أشتمُّ نكهة [5] الضيمرانِ

---

(١) في الأصل : وقال على قافية النون ، وقد جعلنا (قافية النون) عنواناً .
(٢) اراد الشاعر بالأحسان جمع حسن ــ بالتحريك ــ ؛ وان كنا لم نجده في المعجمات .
(٣) في الأصل : طرائق ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٤) في الأصل : نفس .
(٥) في الأصل : نهكه . والضيمران : نبت طيب الرائحة .

١١– وكأني من طيب ريحك في طيـــ ـــب نسيم الأزهــار والريحــان
١٢– وكأني من وجنتيك أُحَـيـّــا بجنَاة [٦] التُفّـــاح من لبنـــان
١٣– وكأني من نبت خدّيك في نبـ ـــتِ رياضِ النّسيم [٧] والــزعفران
١٤– مالكٌ أنتَ لا يُشكُ، فلن [٨] تُجْـ ـمعَ هذي الصفاتُ فــي إنسـان
١٥– سمرةٌ فوق رقــةٍ تحت طيبٍ خالَطُ مسكٍ بماء وردٍ وبــان
١٦– خُتِمتْ هــذه الصفات بخــال يصرف العينَ عنك عند العيــان
١٧–[٦٠/ب]سيدي أنتَ معدن الحسن ماضَرْ رَكَ لو كنتَ معدنَ الاحســان
١٨– يا طبيبَ القلوب طبي عليـلٌ فتلطّفْ وافطنْ لبعض المعــاني
١٩– ومتى يرتجي العليــلُ شفاءً وهــو يلقى الطبيبَ بالكتمــان
٢٠– ما تركتُ الشكوى لصبري [٩] ولكنْ في فؤادي ما لا يؤدّي [١٠] لســاني
٢١– فتعطّفْ بخلوةٍ [١١] تبســط الأُنْـ ـسَ بثّ [١٢] العتــاب والأشجان
٢٢– فعسى أنْ تنالني رحمــةُ الوَصْـ ـلِ فأنجو من سَخْطة الهجــران

[١٩٨]

وقال أيضاً :

١ – أستودعُ الــرّحمنَ بَهْـ ـجةَ ذلك الـوجهِ الحَسَنْ
٢ – لـم أدرِ بعــد فــراقــهِ كـيف التلــذّذ بــالــوسَنْ

(٦) في الأصل بحنا ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، وربما كان (بجني) بتشديد الياء .
(٧) كذا في الأصل ، ولعله (النعيم) ، وربما كان (النمام) وهو نبت طيب الرائحة .
(٨) في الأصل : بمس ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(٩) في الأصل : بصبرى .
(١٠) في الأصل : مالا بوادى .
(١١) في الأصل : لحلوه .
(١٢) في الأصل : نكثه .

٣ ـ يا سالبي ثوبَ السرور وملْبسي ثوبَ الحَزَنْ
٤ ـ خلَتِ المنازلُ منكم فخلا(١٣) من الروحِ البَدَنْ

[١٩٩]

وقال أيضاً :

١ ـ أنا الغريب وإنْ أصبحتُ في وطني اذا تغيّبتَ عنّي يا أبا الحَسَنِ
٢ ـ أوْحى(١٤) إليَّ فؤادي حين أخبرني بأنَّ لي فرَجاً من ذلك الحَزَنِ
٣ ـ تاللهِ لاسكنتْ روحي الى أحَدٍ حتّى يعود الى أوطانه سَكَني
٤ ـ هذا وإن نكس(١٥) الأجسامُ ثانيةً على الحقيقة والأرواحُ في قَرَنِ
٥ ـ [٦١ /أ]راحَ التناسخ عني(١٦) يوم ودَّعَني وراحَ مُحتَمِلاً روحيْن في بَدَنِ

[٢٠٠]

وقال أيضاً :

١ ـ لي حبيب قد شفَّني وبراني هو دانٍ ووصلُه غير دانِ
٢ ـ انما حسرتي لقلّة حظي من حبيب أراه نصب عياني
٣ ـ أنا كالسبط مات وهو يرى الما ءَ رَشيحاً(١٧) بغُلّة الظمآنِ
٤ ـ أنا راضٍ بأن أموت كريماً وأصونَ الهوى عن الإعلانِ
٥ ـ لم أجد في الهوى مُعيناً أميناً فلذاك(١٨) استعنتُ بالكتمانِ
٦ ـ واذا ما الحبيب كان مَصوناً صنتُ ودي له وصنتُ لساني
٧ ـ بي حذارٌ اذا أردتُ أُسَمّيـ ـه كأني أفطرتُ في رمضان

(١٣) في الأصل : فخلت ، والصواب ما اثبتنا .
(١٤) في الأصل : لمعى ، وربما كان الصواب ما اثبتنا ، والوحي هنا هو الايماء والكلام الخفي .
(١٥) كذا في الأصل . والسياق يقتضي (تسلك) مبنياً للمجهول ؛ أو (تحشر).
(١٦) في الأصل : عن . ولم نهتد الى قراءة اخرى للنص .
(١٧) في الأصل : وشحى ، وقد اثبتنا ما هو الاقرب الى رسم الأصل .
(١٨) في الأصل : فكذاك .

٨ - قد تجافيتُ عن هواه لإبقا ئي [١٩] عليه ولو درى ما جفاني
٩ - فكأني على صراطٍ من الصّبـ ـرِ أُرَجّـي به حلولَ [٢٠] الجنانِ
١٠- كان ظنّي به جميلاً فصرّفْـ ـتُ ظنوني الى وجوهٍ حسانِ
١١- سوف أُخْلي له فؤادي وعيْنَيْـ ـيَ فعلّي أخلو به في مكانِ
١٢- أو عسى أن أنال ماأتمنّى فأُلاقي مفتاح باب الأماني
١٣- قد كتمنا الهوى مكاتمة الخو ف عسى أن نفوز فوز البيانِ [٢١]
١٤- فهجر ناكمُ وسبحان مَنْ يَعْـ ـلَمْ ما تحت ذلك الهجرانِ
١٥- نار شوقٍ بلا دخانٍ تَلَظّى هل رأيتم ناراً بغير دخانِ !
١٦- [٦١ / ب] كيف لا أتّقي الهوى بتوَقٍ والهوى من محقّرات [٢٢] الهوانِ
١٧- بي سكرٌ وقد تغافلتُ عنه وطريفٌ [٢٣] تغافُل السكرانِ
١٨- غالطتْ عينيَ الرقيبَ عياناً ومليحٌ مخالطات العيانِ
١٩- ومتى يرتجي العليلُ [٢٤] شفاءً وهو يلقى الطبيبَ [٢٥] بالكتمانِ
٢٠- ما تركتُ الشكوى لصبري ولكنْ في فؤادي مالا يؤدّي لساني
٢١- فتعطّفْ بخلوةٍ تبسط الأُنْـ ـسَ بيثٍّ [٢٦] العتاب والأشجانِ
٢٢- فعسى أن تنالني رحمةُ الوصـ ـل فأنجو من سخطة [٢٧] الهجرانِ

---

(١٩) في الأصل : لعاى .
(٢٠) كذا في الأصل ، ولعله محرف من (دخول) .
(٢١) قابل الشاعر الكتمان بالبيان ، وبان الشيء بياناً : اتضح .
(٢٢) في الأصل : والهوى هو مں محقراں .
(٢٣) في الأصل : وطرىق .
(٢٤) في الأصل : ومتى ىرحو العليل . وقد تقدم هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه في ختام القصيدة ذات الرقم (١٩٧) ، والتصويب منها .
(٢٥) في الأصل : وهو ىلعى الكتمان ، والتصويب مما تقدم في القصيدة (١٩٧) .
(٢٦) في الأصل : لىث .
(٢٧) في الأصل : سحط ، والتصويب مما تقدم .

[٢٠١]

وقال أيضاً :

١ ــ لا تُكبِروا من ملاح المرد انسانا	ما الحُسن والطِّيب الا عبد ظبيانا (٢٨)
٢ ــ نفديك من كاملٍ حُسناً (٢٩) واحسانا	تُحيي وتقتل أحياناً فأحيانا
٣ ــ تبارك اللهُ ماذا فيك من بدعٍ	في الجسم والوجه إسراراً وإعلانا
٤ ــ كأنما عجن الكافور طينته	بالزعفران فعلّى منه كثبانا
٥ ــ وصيغ أعلاه من نورٍ ومن ظُلَمٍ	وجهاً وفرعاً يمجُّ المسك والبانا
٦ ــ فالفرع(٣٠)من سبَجٍ (٣١)والخدمن ضَرَجٍ	والطّرف من غنجٍ يلقاك وسنانا
٧ ــ فمن تنزَّه يوماً في محاسنه	فليس مُستحسِناً ما عاش بستانا
٨ ــ ومن تنفَّس من (٣٢) أنفاسه نَفَساً	لم يرضَ ما عاش أن يشتمَّ ريحانا
٩ ــ كأنما (٣٣) اللهُ أوحى إذْ براه الى	خزائن المسك ممّا طاب (٣٤) أو لانا
١٠ــ [٦٢/أ] بأنْ تؤلِّف من نَشْرٍ جواهرها	وقال: كوني على التأليف انسانا
١١ــ كأنه قبَّة من فضَّةٍ قسِمتْ	في ملتقى الخَوْر (٣٥) أردافاً وأعكانا
١٢ــ كأنه مُحَّةٌ من فرطِ (٣٦)نَعْمته	تكاد تجري من الأثواب أحيانا
١٣ــ تراه كالماء رجراجاً وملمسه	كالنار حرّاً فتلقى اللونَ ألوانا

(٢٨) كذا في الأصل . ولعله : « عند » ، وروي في تاج العروس عن ابن ماكولا النص على كسر ظاء «ظبيان» .

(٢٩) في الأصل : حسن .

(٣٠) في الأصل : والفرع .

(٣١) أراد الشاعر بالسبج السواد ، من قولهم للكساء الأسود : السبجة والسبيجة .

(٣٢) في الأصل : في .

(٣٣) في الأصل : فكا نما .

(٣٤) في الأصل : فما طال .

(٣٥) يعني الشاعر بالخور آخر الفقار في أسفل الظهر .

(٣٦) في الأصل : في قرط .

١٤– تبدو له حركات من حرارتها ولينه يستحيل الماء ريّانا [٣٧]
١٥– قد قلتُ إذ حار طرفي في محاسنه ولم أزل شاخصَ العينين حيرانا
١٦– لاشك أنت من الجنّات [٣٨] مسترَقٌ أو هارب فمتى فارقتَ رضوانا
١٧– فاستضحكتْه على عجبٍ مُساءلتي وقلتُ لمّا رأيتُ الثغر قد بانا
١٨– لم ترضَ إذ جئتَنا من جنةٍ هرباً حتى سرقتَ لنا في فيك مرجانا
١٩– ليس الحبيب الذي يأتيك مؤتزراً [٣٩] مثلَ الحبيب الذي يأتيك عريانا [٤٠]

[٢٠٢]

وقال أيضاً :

١ – سيدي لِمْ خدعتَني بالتمنّي لِمَ أعرضتَ إذْ تمكّنتَ منّي [٤١]
٢ – تذنب الذنبَ ثم تغضب من ذنبك عمداً يا ظالمي بتجنّ [٤٢]
٣ – أنت روحي فمن يعيش بلا روحٍ أبِنْ لي اذا نغيَّبتَ عنّي
٤ – خنتَ عهدي وقد تبدّلتَ بعدي يا حبيبي ما كان ذلك ظنّي

[٢٠٣]

وقال أيضاً :

١ – هيّجني تذكُّرُ الأظعانِ
٢ – والغانياتِ الخُرَّدِ الحسانِ
٣ – ياصاحبيَّ الآن فاسقياني

---

(٣٧) يعني الشاعر بالريان كثرة الري مبالغة واغراقاً في الوصف .
(٣٨) في الأصل : من الحنان .
(٣٩) في الأصل : متزراً ، وكان صدر البيت فيه : « ليس الشفيع » ثم كتب الناسخ فوقه كلمة « الحبيب » ، وكذلك عجز البيت .
(٤٠) استشهد الشاعر بهذا البيت ، وهو للفرزدق في ديوانه : ٨٧٣/٢ ، وفيه : « الشفيع » في صدر البيت وعجزه .
(٤١) في الأصل : عنى .
(٤٢) في الأصل : مىحى .

٤ ــ لعلَّ يُشفى ألمُ الهجرانِ
٥ ــ هذا أوان الشرب و القيانِ
٦ ــ والمجلس الغضّ من الريحانِ
٧ ــ [٦٢/ب]أما ترى شقائقَ النعمانِ
٨ ــ تضحك في بحبوحة البستانِ
٩ ــ زمانُنا من أطيب الزمانِ
١٠ــ لولا جوى الحرقة والأحزانِ
١١ــ لحُبِّ مَنْ في يده عناني (٤٣)
١٢ــ مَنْ لا أراه و [هو](٤٤) لا يراني
١٣ــ اشكو الى ذي قدره مكاني(٤٥)
١٤ــ بَثّي وحرلى الم القيانِ (٤٦)
١٥ــ لم يندِ إسراري ولا إعلاني
١٦ــ الّا الذي بحبِّه ابتلاني

[٢٠٤]

وقال أيضاً :

١ ــ عُبَيْدُ يا غصنَ بانٍ يا نسلَ حورِ الجنانِ
٢ ــ عبيد يا تاج . . . . صبيحة المهرجانِ
٣ ــ يا زينة العيد حُسناً يا نزهة البستانِ
٤ ــ يا ليلة العرس طيباً ويا غداةَ الختانِ

---

(٤٣) المشطور في الأصل : لبحت من فى ىده عان ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٤٤) سقط ما بين المعقوفين من الأصل .
(٤٥) كذا في الأصل ، ولعل الشاعر اراد : الى ذي القدر والمكان ؛ اي الله عز وجل .
(٤٦) كذا في الأصل ، ولم نهتد الى قراءة صحيحة للمشطور .

٥ - يـابـرء كـلِّ سـقامٍ يـا عـزَّ كـلِّ هـوانِ
٦ - يـا منتهى[٤٧] المتمنّي ويـا رضـا الغضبانِ
٧ - يـا طلعة الوصل[٤٨] بعد الصُـ ـصُدُودِ و الهجرانِ
٨ - يـا فرحة الرزق من بَعْـ ـدِ ترحـةِ الحرْمانِ
٩ - يـا ليلة القَدْر يـا مَـنْ فيه[٤٩] جميع الأماني
١٠- و يـا هلال سرورٍ بالفطر[٥٠] من رمضانِ
١١- [٦٣/أ] جمعتَ كلَّ الملاحا ت من جميع المغاني
١٢- بديع[٥١] حُسنٍ وخَلْقٍ في شَكل ظَرْف القِيانِ[٥٢]
١٣- وفي تشنُّع لُوطِيْ وفي تفتُّح زانِ[٥٣]
١٤- وحسن دلّ[٥٤] الغواني وسـادةِ الغلمانِ
١٥- أُنموذج[٥٥] الحور مَعْهُ انموذج الولدانِ
١٦- بدائعِ الحسن كلٌّ جُمِعْنَ في انسانِ
١٧- فالقدُّ للأغصانِ والرِّدف للكثبانِ
١٨- والعين للغزلانِ والرِّيح للرَّيحانِ
١٩- والخدُّ للعقيانِ و الثَّغر للمَرْجانِ
٢٠- والوجه فيه صفاتٌ يكلُّ فيها[٥٦] لساني

(٤٧) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعله : يامنية .
(٤٨) في الأصل : ناطلعه العصن ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٤٩) كذا في الأصل ، والسياق يقتضي : فيها .
(٥٠) في الأصل : العطر .
(٥١) في الأصل : طيع ، وهو تصحيف ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٥٢) في الأصل : العناني .
(٥٣) في الأصل : رانى .
(٥٤) في الأصل : داك .
(٥٥) في الأصل : اهودح ، وهو تصحيف ، ولعله : نموذج ، وفي القاموس المحيط : الا نموذج لحن .
(٥٦) كذا في الأصل ، والصواب : عنها .

٢١- أراكَ من حُورِ عدن[٥٧] سُرِقتَ من رضوانِ
٢٢- فإنْ تكنْ آدَمِيّاً فليس مثلَكَ ثانِ[٥٨]

[٢٠٥]

وقال أيضاً :

١ - لا يُنْسِينَنِّي سرورٌ لا ولا حزَنُ وكيف لا كيفَ يُنْسى وجهُكَ الحسَنُ
٢ - ولا خلا منك روحي لا ولا بدني كُلّي بكُلِّكَ مشغول ومُرتَهَنُ
٣ -[٦٣/ب] ياواحد الحسن مالي منك مذ علقتْ روحي بروحك الا الشوق والحزَنُ
٤ - نورٌ تولَّد من شمسٍ ومن قمر حتى تكامل فيه القدُّ والغُصُنُ

[٢٠٦]

وقال أيضاً :

١ - إنْ يكن في البدور فنٌّ من الحُسْـ ـنِ ففيمن أحبُّه كلُّ فنٍّ
٢ - يا مليح الدلال حلو التجنّي غاب عنّي السرورُ مذ غبتَ عني
٣ - يا غزال الجنان أهداك رِضوا ن الينا ففيك كلُّ التمنّي
٤ - أنت بانُ[٥٩] المِلاح،من حور عدنٍ جنس طيبٍ عليه من كلٍّ حُسْنِ
٥ - ليلُ شَعرٍ من تحته بدرُ وجهٍ موج ردفٍ من فوقه قدُّ غصنِ
٦ - أين للبدر مثل هذا التلالي[٦٠] أين للغصن مثل هذا التثنّي
٧ - شهدتْ خجلةٌ لخدّيْك عني[٦١] أنّ عينيك للعيون[٦٢] تُرنّي[٦٣]

---

(٥٧) في الأصل : حور عين ، وكتب الناسخ فوق (عين) كلمة (عدن) .
(٥٨) في الأصل : ثاني .
(٥٩) كذا في الأصل ، والبان : شجر .
(٦٠) اي التلألؤ .
(٦١) كذا في الأصل ، ولعله : مني .
(٦٢) كتب الناسخ في الأصل كلمة (للقلوب) ، وكتب فوقها كلمة (للعيون) .
(٦٣) ترني : تشغل وتلهي وتغلب غلبة هوى .

٨ ـ فاذا ما نظرتَ قلّبتَ[٦٤] هاروتَ وما روتَ بين عينٍ وجفنِ
٩ ـ فلو أني اشتريتُ وصالكَ يوماً بحياتي ما كانَ ذاك بغبْنِ

[٢٠٧]

وقال أيضاً :

١ ـ ظُبَيٌّ نفى عن جُفَيْنَي الوَسَنْ فبتُّ سقيماً أقاسي الحَزَنْ
٢ ـ مليح الدلال بديع الجما ل معتدل القدّ يحكي الغُصُنْ
٣ ـ أمات فؤادي بلحظاته وأوْرَث[٦٥] جسمي سقاماً رَهَنْ[٦٦]
٤ ـ فقلبي سقيم وجسمي نحيلٌ ودمعي غزير هطول هَتِنْ

[٢٠٨]

[٦٤/أ] وقال أيضاً:

١ ـ تشاكينا بألحاظ الجفونِ لبُقيانا على الودّ المصونِ
٢ ـ اذا خفنا ظنوناً[٦٧] نتّقيها تَجمّلْنا[٦٨] لتكذيب الظنونِ
٣ ـ نعارض بالصدود ظنونَ قومٍ فتعترض الشكوك على اليقينِ
٤ ـ ولم[٦٩] نأْمنْ سوى اللحظات رُسلاً حذاراً من حسود أو خؤونِ
٥ ـ ولم نكن اطحر اذا نحاسا[٧٠] لنأمن الشمال على اليمينِ
٦ ـ أكاد لفرط إشفاقي أُوَقّي حبيبي من إشارات الظنونِ
٧ ـ أرى حُبَّيْكَ فيه ضروب عقلٍ وحُبُّ الناس ضربٌ من جنونِ

---

(٦٤) في الأصل : فنت ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٦٥) في الأصل : (وأورب) وهو تصحيف .
(٦٦) رهن : اي ثبت واقام ، وفي الأصل : وهن ، وهو تصحيف .
(٦٧) هكذا وردت كلمة الظنون هنا وفي قافية البيت ، واظنها : (عيوناً) و (لتكذيب العيون) لورود الظنون قافية للبيت السادس .
(٦٨) تجملنا : اي تصبرنا .
(٦٩) في الأصل : وكم ، وهو تصحيف .
(٧٠) كذا الشطر في الأصل .

٨ – فمن يكُ بالاذاعة مستغيثاً فليس على الأحبّة من أمينِ
٩ – أيحسن يا حبيب[٧١] بأنْ تراني أصافيك الوداد وتجتويني
١٠– فيامَنْ صيغ من طيبٍ ونورٍ وكلُّ الناس من ماءٍ وطينِ
١١– معاذ الله[٧٢] ما هذي المعاني وهذا الحسن من ماءٍ مهينِ
١٢– ولكنْ أنتَ من نورٍ صفيٍّ وطيبٍ شِيبَ بالماء المَعينِ
١٣– فإنْ تكُ[٧٣] مِثلَنا بشراً سَوِيّاً فماذا النور في هذا الجَبينِ
١٤– فوجهك مُعْلَمٌ بطراز شكلٍ وجسمك مُرْتَدٍ بِرداءلِينْ
١٥– كأنَّ تَثَنّيَ الأعطافِ منه نسيم الريح يلعب بالغصونِ
١٦– غزال البَرِّ بَزَّ الصبرُ قلبي لعلّي أصطفيكَ وتصطفيني
١٧– فإنْ كنّا تشاكَيْنا جميعاً فممّا أتّقيك و تتّقيني

[قافية الواو]

[٢٠٩]

[٦٤/ب] وقال[٧٤] :

١ – ظِماءُ العيونِ عَصَرْنَ[٧٥] القدودَ كأنّهُمُ عطشوا فارْتَوَوْا
٢ – زَهَوْا بفنون[٧٦] مَلاحتهم[٧٧] وقاموا على سُوقِهم فاسْتَوَوْا

---

(٧١) كتب الناسخ فوق (ياحبيب) : (ياحسين) .
(٧٢) في الأصل : مع دا اللـه .
(٧٣) في الأصل : فان نكى .
(٧٤) في الأصل : وقال على قافية الواو ، وقد جعلنا (قافية الواو) عنواناً للأبيات .
(٧٥) في الأصل : عصوب ، ولعل الصواب ما اثبتنا وان اختلف الضمير هنا عن الضمير الوارد في عجز البيت .
(٧٦) لم تنقط الكلمة في الأصل عدا النون الاخيرة ، ويمكن ان تقرا : (بفتون) ايضاً .
(٧٧) كذا في الأصل ، ولعله : ملاحاتهم .

٣ ــ حووا فتنةً وحووا فطنــة وقد حيَّرونا بمـا قـد حَوَوْا[٧٨]
٤ ــ زووا عـن مُحِبِّيهـم وصلَهم ولـو أنصفوا في الهـوى مـا زَوَوْا
٥ ــ اذا ما نـووا قَطْعَنا[٧٩] أطْمَعوا ليختدعونا[٨٠] بمـا قـد نَوَوْا[٨١]
٦ ــ فكم أعرضوا بعدمـا أعرضـوا وكم نَفَـروا بعدمـا قـد ثَوَوْا[٨٢]
٧ ــ تراهم يحومـون حـول البروج فاما رووا فـرط مـا قـد هووا[٨٣]

[قافية الهاء]

[٢١٠]

وقال :

١ ــ أنّـى[٨٤] أكلـتَ طَرِيّـاً[٨٥] أردتَ دفـــع أذاهُ
٢ ــ فشربـةٌ مـن نبيــذٍ يبــقى قـــواه ـــواهُ[٨٦]
٣ ــ فاهـى[٨٧] بـذلك واجعـلْ . . .[٨٨] الرسـولِ كِـراهُ

---

(٧٨) في الأصل : وقد حرروا نايما فاحووا . ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٧٩) في الأصل : اداما زووا فعلنا ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(٨٠) في الأصل : لحمك عونا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٨١) في الأصل : لما قد عووا ، وهو تصحيف .
(٨٢) أعرضوا ــ الاولى ــ : صدوا ، والثانية : امكنوا . ونفروا : تباعدوا . وثووا : نزلوا أو اقاموا ، وكانت في الأصل : نووا ، وربما كان صواباً ما أثبتنا .
(٨٣) كذا في الأصل .
(٨٤) « أنى » تكون بمعنى متى وبمعنى اين .
(٨٥) الطري : الغض ، وربما عنى الشاعر به الفج ــ بكسر الفاء ــ . وفي أساس البلاغة : الطريان السمك والرطب .
(٨٦) كذا في الأصل ، ولم نهتد الى قراءته ، ولعله : تنفي اذاة دواه ، والدوى ــ بفتح الدال ــ : المرض .
(٨٧) كذا في الأصل ، ولعله : (فاهنأ بذلك) أو (فاهدن لذلك) .
(٨٨) كلمة بذيئة رجحنا حذفها .

[قافية اللام ألف] [89]

[٢١١]

وقال [90] :

١ ـ ياشادناً بالفتور مكتحلا وغُصنَ بان يميس معتدلا
٢ ـ أنت حياتي وأنت لي تلفٌ وفيك لي نعمةٌ وفيك بَلا
٣ ـ الحبُّ يُشقي الفتى ويُسعده صبراً على الحبِّ جار أم عدلا
٤ ـ كم تقتلونا [91] وكم نحبُّكم ياعجبا من محبٍّ [92] مَنْ قَتَلا

[٢١٢]

وقال أيضاً [٦٥ /أ] :

١ ـ مللتُ الوصالَ بقبح الفعال وما كنتُ أعهد قلبي ملولا
٢ ـ ذلو كان يُنصفني مَنْ أُحِبُّ لكان العزيزَ وكنتُ الذليلا
٣ ـ اذا لم تكن في الهوى رغبةٌ فان الهوى لايساوي الفتيلا [93]

[٢١٣]

وقال أيضاً :

١ ـ سَنَةٌ يُزاد بها الأميرُ جمالا إقبالها ينمي لك الإقبالا
٢ ـ سنة واسبوع وشهر كلُّها جُدُدٌ تجدِّد أنعماً تتوالى
٣ ـ حَوْلٌ بحول الله يُقضى بالذي أمَّلْتَه ويزيد حالك حالا
٤ ـ عامٌ يعمُّ لك السرور وماترى في نعمةٍ خللاً ولا إخلالا

(٨٩) زيادة يقتضيها التبويب . وقد اوردنا هذا العنوان انسياقاً مع الناسخ ، في حين ان القافية لام مفتوحة .
(٩٠) في الأصل : وقال على قافية اللام الف .
(٩١) كذا في الأصل . والصواب : كم تقتلوننا .
(٩٢) في الأصل : لمن نحب .
(٩٣) كذا في الأصل ، ولعل الالف واللام من زيادات الناسخ .

٥ – يامــن أهــلّ لــه هلالٌ طالعٌ ... لازال وجهُكَ للسـعود هـلالا
٦ – أنت الذي صُنتَ الذي استُرْعيتَه ... وجعلتَ مـالك للحقـوق مُذالا [٩٤]
٧ – تُعطي الرغائبَ إنْ سكنت [٩٥] كمثل ما ... عند الشدائد تـركب الأهـوالا
٨ – حَسْبُ الأمير بأن كُلاًّ قائل [٩٦] ... والكلُّ بَرٌّ في الـذي قـد قـالا
٩ – صدق الذي سمّى الأميرَ محمـداً ... فهو المحمَّدُ سيـرةً وخصـالا
١٠– هذا ابـو حسن الـذي إحسـانُه ... ردَّ الأُجاجَ مـن الحيـاة زلالا
١١– هذا ابن يزداد الـذي أيّـامُـه ... كست البـلادَ بشاشـة وجمـالا
١٢– للبصـرة الفـوزُ العظيـم فأمْنُها ... عمـر البـقاعَ وثـمَّـر الأموالا
١٣– مَهَّدْتـها بالرزق [٩٧] منك وطالما ... بالخرق زُلْزِل أهـلُـها زلـزالا
١٤– فالله وقّاهم بيمنك مـا بَغَـوْا [٩٨] ... والله بلَّغهـم بـك الآمـالا
١٥– [٦٥/ب] لو استطاعوا وطّأوك خدودهم ... حتـى تكـون لك الخـدودُ نعـالا
١٦– ويحقُّهم أن يشـكروا لمبـاركٍ ... أنساهم [٩٩] الـرّوعـات والأوجالا
١٧– فالحمد لله الـذي كشف الـردى ... باليُمْن منـك وجمَّــل الأحـوالا
١٨– أجْللتَ نعمةَ ذي الجـلال وصُنْتَها ... فلذاك زادك ذو الجـلال جـلالا
١٩– لم يبق غيـرُك في البـلاد بأسـرها ... مَنْ يعشق الإنعـامَ والإفضـالا
٢٠– لو أنَّ مـالكَ حَسْب جودك وُسْعَه ... أوسعتَ [١٠٠] كلَّ العالميـن منـالا

---

(٩٤) مذال : اي مبتذل بالانفاق ، يقال : اذال مـاله : ابتذله بالانفاق ولـم يصنه .
(٩٥) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، وكأن الشاعر قد قابل في البيت بـين السكون وركوب الاهوال .
(٩٦) في الأصل : قاتلا ، وهو تصحيف .
(٩٧) في الأصل : بالرق ، والصواب ما اثبتنا .
(٩٨) في الأصل : يمبتك وانقوا ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(٩٩) في الأصل : انشاهم ، وهو تصحيف .
(١٠٠) كذا في الأصل ، والفعل (اوسع) مسموع ، ولكني ارجح : (لو سعت) .

٢١– لو أنَّ كلَّ الخَلْق رادَكَ[١٠١] رغبةً كانوا لجودك صبيةً وعيالا
٢٢– فاذا الأفاضل في الأفاضل[١٠٢] عُدِّدت كنتَ اليمينَ ومَنْ سواك شمالا
٢٣– ففضلتَهم عند الخطاب مقالا وفضلتَهم عند الخطوب فعالا
٢٤– واذا المحافل في الصفات تفاضلتْ ضربوا بحسن صفاتك الأمثالا
٢٥– عظمتْ صفاتُك عند كلِّ معظَّمٍ فرأوا لك الإعظامَ[١٠٣] والإجلالا
٢٦– وأتمَّ نعمتَك الإلهُ وزادَها ليُتَمِّم الاحسانَ[١٠٤] والإجمالا
٢٧– فعَلامَ تأخيرُ الصَّبُوح[١٠٥] ويومُها[١٠٦] يومٌ يؤلِّف شكلُه الأشكالا
٢٨– سبت[١٠٧] دعوة ذا الحلال مُوَاتِراً[١٠٨] سنةً فما تَرْكُ الصبوح حلالا
٢٩– وسُبُوغُ سيِّدِنا الأجلِّ مراتباً مَدَّتْ على الملك الأجلِّ جلالا
٣٠– هذا[١٠٩] لإقبال الأمير وحظّه لينال منه سعط[١١٠] ماقد نالا
٣١– فتتابعتْ نِعَمُ الأمير[١١١] سوابغاً عند الأمير تجرِّرُ الأذيالا
٣٢– [٦٦ /أ] حتى تكونَ أبرَّ مَنْ وَطِئَ الحصى وانعمهم[١١٢] تبغي بعيشك فالا

---

(١٠١) رادك : جاءك .
(١٠٢) كذا في الاصل ، ولعل الصواب : فاذا الافاضل في الفواضل .
(١٠٣) في الأصل : فدراوا لك للاعظام .
(١٠٤) في الأصل : فيتمم للاحسان .
(١٠٥) كذا في الأصل ، وربما كنى الشاعر بالصبوح عما يأمله من صلة الأمير وعطائه .
(١٠٦) كذا في الأصل ، ولعله : ويومنا .
(١٠٧) كذا في الأصل .
(١٠٨) في الأصل : من برا ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والمواتر : المتابع .
(١٠٩) كذا في الأصل ، ولعلها مصحفة .
(١١٠) لم نهتد الى قراءة هذه الكلمة ، ولعلها تصحيف (سواه) .
(١١١) هذا الأمير يعني به الشاعر امير البصرة ، والأمير في عجز البيت هو امير بغداد وكان يسمى امير الامراء ، وقد وصفه بـ « الملك الأجل » قبل بيتين .
(١١٢) كذا في الأصل ، ولعله : وأعفهم .

٣٣– حتى يقول الحاسدون بغيظهم : زاد الأميرُ على الأمير كمالا
٣٤– فمن ادَّعى أنْ قد رأى لك مُشْبِهاً فقد ادَّعى فيما يقول محالا
٣٥– فاذا مدحتُك قال لي أهلُ الحجى : قُلْ كيف شئتَ فقد وجدتَ مقالا[١١٣]

[٢١٤]

وقال أيضاً :

١ – أعاذل حسبُ المرء بالشيب عاذلا وأفحشُ جهلٍ أنْ يُرى الكهل جاهلا
٢ – أعاذل قد أمضيتُ[١١٤] في اللهو والصبا طويلاً فلم[١١٥] يكسبْنيَ اللهوُ طائلا
٣ – أكلتُ ثمارَ الدهر ، والدهرُ آكلٌ حياتي ، وأغضبتُ الذي ليس غافلا[١١٦]
٤ – وما الوقت الاّ كالمُوَدِّع انما تراه بما فيه من الحال زائلا
٥ – كأنْ لم يكنْ غصنُ الشباب اذا انثنى يُغازِل[١١٧] بالشّكل الغزالَ المُغازِلا
٦ – كأنّيَ لم أنفثْ رُقى السِّحر في التي لواحظُها عَطّلْنَ بالسحر بابلا
٧ – كأنْ لم أجامِلْ في هوىً من جمالها ليعلم مَنْ يُبْلى بها أنْ يُجاملا[١١٨]
٨ – لقد أقصرتْ فيها[١١٩] العواذلُ إذ بدتْ محاسِنُ قد أخرَسْنَ حتى العواذِلا[١٢٠]
٩ – فما جُرِّدَتْ الاّ تسربل جسمُها غلائلَ نورٍ حين تنضو الغلائلا
١٠– أعيش بها عن كلِّ عضوٍ بمسها وتجعل أعضائي جميعاً مَقاتلا
١١– وفي العَيْن لا هُوتيّةٌ جوهريّةٌ بها صار مَحْيايَ وللنفس قاتلا[١٢١]

---

(١١٣) كذا في الأصل ، واظنه (مجالا) .
(١١٤) في الأصل : افصت ، والصواب ما أثبتنا او يكون (قضيت) بتشديد الضاد .
(١١٥) في الأصل : فلا نكسبني ، وهو من اخطاء النسخ .
(١١٦) في الأصل : واعصبت الدى لسى عافلا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١١٧) في الأصل : تعارل ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .
(١١٨) في الأصل : ان تحاتلا ، والصواب ما أثبتنا .
(١١٩) كذا في الأصل ، ولعل صوابه : عنها .
(١٢٠) في الأصل : احرسن عنى العوائلا ، وهو تصحيف .
(١٢١) في الأصل : قايلا ، وهو من وهم الناسخ .

١٢– مَهابَتُها تَثني دموعي عن البكا ... وتنسيني الشكوى فأُبهتَ ذاهلا[١٢٢]

١٣– ومَنْ يُحْيي نفساً بالذي فيه موتُها ... قديرٌ على أنْ يجعل الحقَّ باطلا

١٤–[٦٦/ب]لقد خانَ[١٢٣] السلوانُ قلبي لأنه ... تأمّل خصراً للروادف حاملا[١٢٤]

١٥– هنالك صار الصبرُ منقصمَ[١٢٥] العرا ... كما قصمتْ ساقُ الحبيب الخلاخلا

١٦– فهذا نحولي شاهدٌ [لي]بأنَّ[١٢٦] لي ... فؤاداً[١٢٧] من الشوق المبرّح ناحلا[١٢٨]

١٧– لأنَّ رياحَ الشوق هبّتْ شمائلاً ... فغادرْنَ أغصانَ الحياة ذوابلا

١٨– اذا شاكل العشّاقُ وجدي بوجدهم ... فقد يئسوا أن لا يروا[١٢٩] لي مشاكلا

١٩– كذا مَنْ تحلّى بالعلوم محققاً ... تراه لدى القاضي التنوخي[١٣٠] عاطلا[١٣١]

٢٠– رأيتُ رجالاً لا يُرامُ مُرامُهم ... ولم أرَ كالقاضي التنوخيِّ كاملا

٢١– اذا استنبط القومُ العلومَ تشاجروا[١٣٢] ... واوضح برهان[١٣٣] العقول الدلائلا

---

(١٢٢) في الأصل : دائلا .

(١٢٣) في الأصل : حدك ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

(١٢٤) في الأصل : (حاسلا) او (جاسلا) ، ولعل ما اثبتنا هو الاقرب الى الصواب ، وان كنت ارجح (خاذلا) .

(١٢٥) في الأصل : معسم ، والصواب ما اثبتنا بقرينة قوله : كما قصمت .

(١٢٦) في الأصل : ساهدوبان ، واستقامة الوزن تقتضي ما اثبتنا وزدنا .

(١٢٧) في الأصل : فؤاد .

(١٢٨) في الأصل : بابلا . ولعل الصواب ما اثبتنا .

(١٢٩) في الأصل : ان لاترى . والسياق يقتضي : من ان يروا .

(١٣٠) هو القاضي ابو القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم الأنطاكي البغدادي التنوخي المولود في سنة ٢٧٨هـ ، قدم بغداد في حداثته ، وتقلد قضاء البصرة والأحواز بضع سنين ، وتوفي بالبصرة في سنة ٣٤٢هـ . معجم الادباء : ١٤/١٦٢ – ١٧٢ .

(١٣١) في الأصل : عابلا ، وهو تصحيف .

(١٣٢) تشاجروا : اختلفوا .

(١٣٣) كذا في الأصل ، ولا يخلو من تحريف وتصحيف .

٢٢– أطلَّ[١٣٤] على فصل الخطاب بمنطقٍ اذا جَدّ في المعنى[١٣٥] أصاب المماتلا[١٣٦]

٢٣– يُقَيِّد ألفاظَ الألَــدِّ بلفظِه ويفصُل بالحــقِّ المبين المُفَاصِلا[١٣٧]

٢٤– فيشفي قلوبَ السائلـينَ مُجاوِباً كما يختم الأفــواهَ إنْ كــانَ سائلا

٢٥– يخوض بلُجِّ العلم غيرَ مشمِّــرٍ عن السّاق حتى يُحسَبَ اللُّجُّ شائلا[١٣٨]

٢٦– فلو شاجَرَتْه[١٣٩] ألسنُ الناس كلهم دِراكاً وَعى فهماً وأفْهَمَ قائلا

٢٧– ويدرك ما قالوا جميعاً فُجَاءَةً[١٤٠] ويبدؤهم بالمشــكلات مُقَـابِلا

٢٨– اذاهوحاجى ذا الحِجا بَصَّرَ الهدى[١٤١] وأنت تـراه مُرشِداً لا مُخاتِــلا

٢٩– لذاك تُرى في الناس أيامُ حُكمِه تُبَيِّضُ من إشراقهــنَّ الأصائلا

٣٠– جلا ظلماتِ الظُّلْم نــورُ قضائه فصيَّر شملَ العدل في الناس شاملا[١٤٢]

٣١– [٦٧ /أ] اذا ما قضاياه تَخَلَّلْنَ ظلمةً تَوَقَّدْنَ إذ[قد]كُنَّ[١٤٣] فيها قنادِ لا[١٤٤]

٣٢– اذا ما أراد اللهُ[١٤٥] خيراً لمعشرٍ يوَلِّي[١٤٦] عليهم ثاقب الرأي عامِلا[١٤٧]

٣٣– لقد سَرَّ أهلَ السرِّ[١٤٨] تجديد عهده كما سَرَّ ميلادُ الغـلام القَوابِــلا

---

(١٣٤) في الأصل : اظل .
(١٣٥) في الأصل : المغنى .
(١٣٦) كذا في الأصل ولكن بلانقط للتاء ، واظنه تصحيف (المفاصل) .
(١٣٧) في الأصل : المقابلا ، والصواب ما اثبتنا .
(١٣٨) في الأصل : سايلا . والشاعر يريد هنا الجفاف ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب ، وقد اخذه من قولهم ناقة شائل اذا جف لبنها .
(١٣٩) في الأصل : فلوشا حرب .
(١٤٠) في الأصل : فجاوة .
(١٤١) في الأصل : الهوى .
(١٤٢) في الأصل : شابلا .
(١٤٣) في الأصل : بوحدن او نحن ، ولعل الصواب ما زدنا واثبتنا .
(١٤٤) في الأصل : فماديلا .
(١٤٥) في الأصل : اداماراه الله .
(١٤٦) في الأصل : بولا .
(١٤٧) في الأصل : عايلا .
(١٤٨) كذا في الأصل ، ولم نعلم من هم اهل السر ، ولعله يعني بهم الخاصة .

٣٤- به أوضح السلطان يقظةَ رأيه ... وإنْ كان عمّاً غير ذلك غافلا (١٤٩)

٣٥- تَداركَ منهم أصلَ صر(١٥٠) تحمَّلوا ... على الضُرِّ حتى لم يطيقوا التحامُلا

٣٦- فأبْـ ـأهم (١٥١) بالطَلِّ ميسور فضلِه ... وأتبَعَهم في عُقْبَةِ الطَلِّ وابِلا

٣٧- به بسط الرحمنُ في الخلق رحمةً ... وخَصَّ اليتامى منهم والأراملا

٣٨- عن العَقْل فاسألْ(١٥٢) لاعن العلم واتبع ... فقد أكمل الخيرات مَن كان عاقلا(١٥٣)

٣٩- وذو العقل مَنْ يبغي النجاةَ لنفسه ... ويخلص بالتفضيل مَنْ كان قابلا(١٥٤)

٤٠- فيامَنْ أحلَّتْه تَنُوخُ (١٥٥) بنَجْوَةٍ ... لأنَّ لـه فيها سناماً وكاهلا

٤١- لئن أنتَ جرَّدتَ العزيمةَ في العلا ... لقد جرَّدتْ فيها تَنوخُ المَعابلا (١٥٦)

٤٢- وإنْ تفضل الحكّامَ علماً وسؤدداً ... فقد فضلتْ قدماً تنوخُ القبائلا

٤٣- قسمتَ العطايا إذْ كُنيتَ بقاسمٍ ... لأنك تُكنى بالذي ظَلْتَ فاعلا (١٥٧)

٤٤- فلم ارطرف عن بصدق كنية(١٥٨) ... كُنيتَ بها مِمّا (١٥٩) يقسّم مايلا

٤٥- لعمري لئن سمّوا (١٦٠) اباك محمّداً ... [و]أنت عليّاً قد أصابوا الشَواكلا (١٦١)

---

(١٤٩) في الأصل : عايلا ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(١٥٠) لم يتضح المراد بكلمة (صر) ، ولعلها محرفة .

(١٥١) في الأصل : فبداهم ، وسلامة الوزن تقتضي ما أثبتنا .

(١٥٢) كذا في الأصل . والسياق يقتضي : عن العدل فاسأل .

(١٥٣) في الأصل : عاملا ، ولعل صوابه : (عادلا) ان ورد ذكر العدل في صدر البيت .

(١٥٤) في الأصل : فابلا ، ولعل الشاعر أراد به معنى القبيل وهو الكفيل والضامن ، والفعل : قبل .

(١٥٥) في الأصل : تنحوح .

(١٥٦) في الأصل : المنابلا . والمعابل : النصال العريضة الطويلة .

(١٥٧) في الأصل : مايلا ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(١٥٨) كذا الشطر في الأصل ، ولم نهتد الى قراءته ، ولعله : فلم ار ميلا منك عن صدق كنية .

(١٥٩) كذا وردت (مما) في الأصل .

(١٦٠) في الأصل : سمى ، والأبيات التالية تقتضي ما أثبتنا .

(١٦١) يريد الشاعر بالشواكل الأشباه والنظراء. وفي الأصل : اصاب السوايلا.

٤٦– هما اسمان شُقّا من علاً ومحامد رأوا فيكما منهـا قديمـاً مخائـلا
٤٧– فراسة أنجاب رأوها دقائقـاً فلمّا أتى التصديق صـارتْ جلائـلا
٤٨– جواهر أصلٍ كُنَّ فيكم مَعادناً فهذّبْتَها حتى يبْرِيْنَ(١٦٢) شمائـلا
٤٩– [٦٧/ب]كذي جوهر راز(١٦٣) المعادن كلّها بتهذيبها كَيْ تستَتِمَّ(١٦٤) الفضائلا
٥٠– كذلك تأثير المُغارِس في الثرى يُزَكّي ويُنْمي في الفُروع الأماثلا(١٦٥)
٥١– كذا السيف من سِنْخ الحديد فرنْده(١٦٦) وإن يُجتَلى(١٦٧) حتّى يكدَّ الصيّاقلا
٥٢– فيومُك بالحسنى يُساجِلُ أمسَه(١٦٨) اذا لم تَجِدْ في المكرمات مساجِلا(١٦٩)
٥٣– جمعتَ قلوبَ الناس فيك على الرضا وحَمَّلْتَ بالذكر الجميل المَحامِلا
٥٤– فلازِلْتَ في شكر المزيد فلا يُرى من الفضل والاحسان رَبْعُك حائلا(١٧٠)

[قافية الهمزة]

[٢١٥]

وقال على قافية الياء(١٧١) :

١ – نفسُ المُحِبِّ دَواؤها في دائهـا ونعيمُها هو من مكان شقائهـا
٢ – فمتى يكون شفاؤها مـن سـقمها وسقامُها هو من مكان شفائهـا(١٧٢)

---

(١٦٢) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، وأظن صوابه : رئين – بضم الراء – .
(١٦٣) في الأصل : نان ، وهو تصحيف ، والروز : التجربة والاصلاح .
(١٦٤) في الأصل : قد تستتم ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٦٥) في الأصل : تركى وتنمى في العروع الماثلا . ولعل ما اثبتنا هـو الصواب .
(١٦٦) في الأصل : كذا السيف في سبخ الحديد مرنده .
(١٦٧) كذا في الأصل ، ولعله : وان يجل حتى قد يكد الصياقلا .
(١٦٨) في الأصل : فيوميك بالحسنى بساحل امسه .
(١٦٩) في الأصل : ساحلا ، وهكذا ورد الشطر في الأصل .
(١٧٠) الحائل : المتغير المنقلب عن حاله .
(١٧١) كذا في الأصل ، وهو وهم ، والقصيدة الآتية على قافية الهمزة ولا علاقة لها بالياء .
(١٧٢) في الأصل : سقابها ، وهو تصحيف .

٣ – في الحبِّ سحر للعقول لأنّه يغشى النفوسَ بدائها ودوائها
٤– صفو الهوى[١٧٣] يغذو نفوس ذوي الهوى والنفسُ لا تُغذى بغير غذائها
٥ – ان الهوى[١٧٤] هو في اهتزاز غصونها طيش الحليم وفي لحاظ ظبائها
٦ – أهل الهوى هم كالرياحين التي يبدو الذبول بها لفرقة مائها
٧ – بثغورها[١٧٥] وثغورها ونحورها وخصورها أبلَيْتَنا ببلائها
٨ – بخدودها ونهودها وقدودها تَهْوي بأنفسنا الى أهوائها
٩ – أعطافُها أردافُها أطرافها يَسْبين من قُدّامها وورائها
١٠– حُوريَّة رضوانُ خازنُ وَصْلها لكنْ توكّلَ مالكٌ بجفائها
١١– طُوبى لساكن جنّةٍ لو أُنْشئتْ حُورُ الجنانِ له[١٧٦] على إنْشائها
١٢– بيضاء سوداء الفروع فليلُها ونهارها لظلامها وضيائها[١٧٧]
١٣– [٦٨ / أ] معشوقة عشقتْ عذابَ مُحبِّها حسناً [و][١٧٨] قتلُ الصب أحسن رائها[١٧٩]
١٤– ما فارقَتْها العينُ الاّ واصلتْ بالشوق بين سهادِها[١٨٠] وبكائها
١٥– إنّي أمسُّ جوارحي فأظنُّها جمراً تأجّج في لظى برُحائها
١٦– إنّي لأُشفق إذْ ظفرتُ بقربها من ضم أحشائي الى أحشائها
١٧– لو أنّني لاثمتُها لأذَبْتُها بتوقُّد الأنفاس في صُعَدائها
١٨– أبصرتُ موتاً في الحياة مُصَوَّراً في مشهدِ لفراقها ولقائها

---

(١٧٣) في الأصل : بجعوا الهوى ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٧٤) كذا في الأصل .
(١٧٥) في الأصل : لشعورها ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .
(١٧٦) في الأصل : لهو ، وهو من اغلاط النسخ .
(١٧٧) كذا الشطر في الأصل ، وقد يكون صوابه : كنهارها وظلامها كضيائها .
(١٧٨) سقط حرف العطف من الأصل ، ووزن البيت يقتضيه .
(١٧٩) يعني الشاعر بـ (الراء) الرؤية القلبية ، والوارد في المعجمات : (الراءة) .
(١٨٠) في الأصل : مهادها ، وهو تصحيف .

١٩– قسستُ(١٨١) بالرقباء لامن حبِّهم ... وصددتُ عنها ليس من بغضائها
٢٠– فطفقتُ أرمقها بكل جوارحي ... في بعض إقبالي على رُقبائها
٢١– فأرى طعامي في الهوى ذا غُصَّة ... في قربها منّي وفي اقصائها
٢٢– فاصبرْ لعلّك أنْ تفوزَ فربما ... فازتْ نفوسٌ بعد طُول(١٨٢) عنائها
٢٣– دنيا تُزَيِّن للورى شهواتها ... فيما يذلُّ رجالُها لنسائها
٢٤– حَظُّ الرجال من النساء بأنْ يُرى ... أحرارُ سادتها عبيدَ إمائها
٢٥– ماذا يكون جمالَ نفسٍ حُرَّةٍ ... يوماً اذا سُلبتْ جميلَ عزائها(١٨٣)
٢٦– تالله لا شرف الشريف بنسبةٍ ... الاّ بما يُعْتَدُّ من آلائها
٢٧– وكذا القبائل من نزارٍ حظُّها ... في الفخر حَسْبُ سماحِها وغَنائها
٢٨– أمّا رَبيعةُ لا يضيع ذمامُها ... أبداً ولا ينحلُّ عقدُ وفائها
٢٩– فربيعةُ الفرَس التي تَقْري(١٨٤) القرى ... وتُعيد عند(١٨٥) صباحِها ومسائها
٣٠– إنْ زُوحِمتْ في المكرمات فانّها ... ما زُحْزِحَتْ عن(١٨٦) بأسِها وسخائها

[من قافية الراء أيضاً](١٨٧)

[٢١٦]

وقال أيضاً [٦٨ / ب] :

١ – كأنَّ في كلِّ عضوٍ لي وجارحةٍ ... قلباً يحنُّ وعيناً تشتهي النَّظَرا

---

(١٨١) كذا في الأصل ، والتقسس هو التتبع ، والكلمة في ارجح الظن محرفة .
(١٨٢) في الأصل : طلول .
(١٨٣) العزاء : الصبر .
(١٨٤) في الاصل : تعرى ، وهو تصحيف .
(١٨٥) كذا في الاصل ولكن بلا نقط .
(١٨٦) في الأصل : من ، والصواب ما اثبتنا .
(١٨٧) زيادة يقتضيها التبويب . ويراجع ما ذكرناه في المقدمة عن القوافي واختلال نظامها .

٢ – شوقاً الى ناعم اللذّات لو لمستْ كفّاه جلمودَ صَخْرٍ أنبتَ الصَّخَرا[188]
٣ – غصنٌ تشرّب من ماء النعيم فلو بُزّتْ سرابيلُه عن جسمه لجرى
٤ – قد صاغه من نسيم الطّيب خالقُه وصانه في حجاب النور فاستترا
٥ – رَقّتْ حواشيه حتى لو يمرُّ به وهمُ الضمير لفرط اللين لاعْتُصِرا[189]
٦ – لو أنّ ظِلّ ذبابٍ طارَ من بُعُد حاذى محاسنَه أبقى بها[190] أثرا
٧ – ياغصنَ بانٍ لوانّ الغصن يَبْصُره[191] اذاتثنّى[192] لحار الغصنُ وابتهرا[193]
٨ – يهتزُّ ليناً فتهتزُّ القلوبُ له ويخطر الشوق في الأحشاء إنْ خَطَرا
٩ – يقول قلبي لطرفي حين يُبْصِره : انظرْ ؛ ترى مَلَكاًذا الشخص أم بَشَرا
١٠– لوتُعْصَر الخمر من خدّيه لانعصرت أو يُنْشَر الغنج من أجفانه انتشرا
١١– خدّيْنِ لو نُفِخا بالوهم لاشْتَعَلا ناراً ولو قُطِّرا من رقّةٍ قَطَرا
١٢– لو لم يكن قمرٌ يُجْلي الظلامُ به لَصَيَّر اللهُ عبدَ الواحد القَمَرا

[٢١٧]

وقال أيضاً :

١ – وشمس خدورٍ لوبدتْ من خدورها لرضوان أزرتْ بالجنان وحُورِها
٢ – اذا مابدتْ لو لم يكن ماءُ وجهها يدافع عنّا لاحترقْنا بنورِها
٣ – اذا ما أجالتْ طرفَها سجد الهوى لأجفانها من غنجها وفتورِها
٤ – تَعلّم غصنُ البان من حركاتها فنوناً وما يأتي بعُشْر عشيرِها
٥ – يُرى حَلْيُها[194] من حسنها متزيناً ومن طيبها يزدادُ طِيبُ عبيرِها

---

(١٨٨) في الأصل : الخصرا ، وهو من اغلاط الناسخ .
(١٨٩) في الأصل : لاعصرا ، وهو تصحيف .
(١٩٠) في الأصل : ابقالها ، وهو تصحيف ايضا .
(١٩١) في الأصل : ننصره ، وقد اثبتنا ما هو الاقرب اليه ، ولعله : ينظره .
(١٩٢) في الأصل : ادا اسا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(١٩٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : وانبهرا .
(١٩٤) في الأصل : حىلها .

٦ – اذا مَسَّها لينُ الحرير فجسمُها يُنعَّم ما قد مسَّها من حريرها

٧ – [٦٩/أ] النعمة لوفي المعادسعت(١٩٥) لعاشتْ بها الموتى الى(١٩٦) نفخ صُورها

٨ – ولوضربتْ بين القبور بنَغْمة لقهقهتِ الموتى لها من قبورِها

٩ – لو أنَّ سليمان النبيَّ يخالُها(١٩٧) توهَّمها بلقيسَ فوق سريرِها

١٠ – فتاةٌ لها عندي حديثٌ وانما لو احظُها قد حدَّثَتْ عن ضميرِها

١١ – تُؤخرُ عن قلبي نصيبَ سرورِه وقد عجَّلتْ للعين بعضَ سرورِها

١٢ – اذاجئت عطشاناً الى ماء وصلها(١٩٨) فما يُنقَع(١٩٩) الصادي بصفو غديرِها

١٣ – لها صِدقُ اعراضٍ وزُورُ تعرضٍ فيا حَسْرَتا من صدقها لي وزُورِها

١٤ – تُرضّي(٢٠٠) خيال الناس عندمغيبها وتُبدي إشارات المنى في حضورِها

١٥ – وقولوا لها : إنّي أسيرٌ بحبِّها فهل عندها من رحمةٍ لأسيرِها

١٦ – ستتلف روحي وهي روحٌ خطيرة(٢٠١) لئنْ بخلتْ عنّي ببذل خطيرِها

١٧ – فانْ أحسنتْ جازيتُ ذاك ،وإنْ يكنْ غروراً فلا جازيتُها بغرورِها

١٨ – فياسؤْلَ قلبي أوْضِحي مسلك المنى لروحي فقد حيَّرْتِها(٢٠٢) في أُمورها

١٩ – أجَنَّة وصلٍ نرتعي(٢٠٣) في نعيمها أثار صدودٍ نصطلي في سعيرِها ؟

٢٠ – فانَّ حراماً أنْ تُعَرَّض(٢٠٤) مهجة لموتٍ ولم يُعْلَم مكانُ مصيرِها

---

(١٩٥) كذا في الأصل ، واظنه محرفاً جداً ، والسياق يقتضي أن يكون : (لها نعمة لو في الخلائق قسمت) ، أو (في العباد تقسمت) .

(١٩٦) في الأصل : لعاشت لها الموبى للى ، وكله من غلط النسخ .

(١٩٧) يريد الشاعر ب (يخالها) : يراها ، وذلك معنى لم تروه معجمات اللغة .

(١٩٨) في الأصل : ادامت عطسانا اباما وصلها ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

(١٩٩) في الأصل : فما نقع .

(٢٠٠) في الأصل : ترىى ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .

(٢٠١) كذا اختار الشاعر وصفاً لروحه .

(٢٠٢) في الأصل : كروحى فعد حبرتها .

(٢٠٣) في الأصل : نربعى .

(٢٠٤) في الأصل : ان نعر عى .

٢١– فهالنا(٢٠٥) روحي في السياق بزخرفي(٢٠٦) جنانَ منانا وابعثي ببشيرِ هـا
٢٢– وشاهدُ ماألقاه مني(٢٠٧) رسالتي أتتْكِ سطورُ الدمع فوق سطورِها

[٢١٨]

وقال أيضاً :

١ – ياظلاماً أحبَّ مـن كلِّ نُورِ ليس فِعْلُ الهتُوكِ فِعلَ السُّتُورِ(٢٠٨)
٢ – لاتُقَرِّبْ الى المحبِّـين سُرجاً فالمحبُّونَ سُرجُهم(٢٠٩) في الصُّدورِ
٣ – [٦٩/ب]انَّمايُبْصِرالهوى صورةالوصـ ـلِ بحيث الرقيـب غيـر بصيـرِ

[٢١٩]

وقال أيضاً :

١ – يامعـدنَ الحُسْـنِ وديبـاجَهُ ياقمَرَ اللَّيْلِ وشمسَ النَّهارْ
٢ – ياصـنماً يعبـده عاشـقٌ ليس لـه ممَّـا يُلاقي فـرارْ

[٢٢٠]

وقال أيضاً(٢١٠) :

١ – الآن لمّا بدا في وجهـكَ الشَّعَرُ رأيتُ فيك الذي قد كنـتُ أنتظِرُ
٢ – شبَّهتُ وجهكَ من نورٍ ومن ظُلَم بُرْجاً تلاقى به التِّنِّيْنُ والقمَـرُ
٣ – لاتخدعنّا بأرداف تُرَجرِجُها(٢١١) فليس من بعد عَيْنٍ يُبْتَغى(٢١٢) أثرُ

(٢٠٥) في الأصل : فهاسا .
(٢٠٦) في الأصل : ورحرفي .
(٢٠٧) كذا في الأصل ، ولعل الشاعر اراد « متن رسالتي » وان كان استعمالا مولداً .
(٢٠٨) كذا في الأصل .
(٢٠٩) في الأصل : شرحهم ، وهو تصحيف .
(٢١٠) تقدم البيتان الأولان بمفردهما يحملان الرقم (٨٥) .
(٢١١) في الأصل : مرحرحها .
(٢١٢) في الأصل : سفى ، وقد أثبتنا ماهو الأقرب الى رسم الأصل ، وان كان الأرجح انها : يقتفى (بالبناء للمجهول) .

٤ – لم ينبت الشَّوكُ في أرضٍ يسارُبها(٢١٣) الاّ وقد نبتتْ في الغـامضِ الإبَرُ

[٢٢١]

وقال أيضاً :

١ – مُـتَّ بالشّعـر ياغـلام فأضحى فوق خدَّيكَ مُنْكَرٌ ونكيرُ(٢١٤)

٢ – إنْ يكنْ موضعَ اللثّـام قليلاً فهو في موضـع المنال (٢١٥) كثيرُ

٣ – وكذا الكتـاب عنوانُه سَطْـ ـرٌ وفي طَيِّـه الخـفـيِّ سطورُ

[٢٢٢]

وقال أيضاً :

١ – قـدم الرَّبيـعُ فحـطَّ في آذارِ بعسـاكرٍ للـزهر والأنـوارِ

٢ – فتنابرتْ (٢١٦) لقدومهـا بتَفَصُّحٍ بعد العُجُومـةِ أنْسُـنُ الأطيـارِ

٣ – وكأنَّ إقبالَ الزمان مـن الشتا إقبالُ مسحـورٍ مـن الأسحـارِ

٤ – ومضى الشتاءُ بقُرِّه فتـسـرَّبتْ بعد التجمُّـد حَيَّـةُ الأنـهارِ

٥ – [٧٠/أ] خلَعَ الربيعُ على الرياضِ والْبَسَتْ خِلَـعَ الـربيعِ مُشَهَّرَ الأقطارِ

٦ – فيها رُفُوضٌ كالعيون تفتَّحتْ بعـد الغُموض كَليْلَةَ الأبصـارِ

٧ – وكأنَّما للأُقحوانـة (٢١٧) مُقلةٌ حَبّات (٢١٨) دُرٍّ طُفْنَ بالدِّينارِ

٨ – ترنو الى ساقٍ لهـا مـن حالقٍ سمحٍ يجود بواكفٍ مـدرارِ(٢١٩)

---

(٢١٣) في الأصل : سارعها ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

(٢١٤) في الأصل : مكن او نكر ، والصواب ما اثبتنا .

(٢١٥) كذا في الأصل ولكن بلا نقط .

(٢١٦) كذا في الأصل ، وربما كانت (فتنابزت) ، أو (فتناترت) من المناترة وهي المجاهرة ، أو (فتنابرت) من النبار – بتشديد الباء – وهو الفصيح والصياح . ولعله تصحيف (فتمايزت) .

(٢١٧) في الأصل : وكانماما الاقحوانه ، ولعل الصواب ما اثبتنا . والاقحوانة : موضع بين البصرة والنباج في البادية .

(٢١٨) في الأصل : حنات .

(٢١٩) في الأصل : سيح نحوز وواكف مدرار ، ولعل ما اثبتناه هو الصواب .

٩ – ومُدير كأسٍ دوره في خصره (٢٢٠) خَصْرٌ يحاكي دقَّةَ الزُّنّـــارِ
١٠– وكأنَّ ابريقاً يصبُّ بكـأسـه بـازٌ يصبُّ دمـاً مـن المنـقـارِ
١١– وتُخال إذْ سُكِبتْ (٢٢١) لصفوِ مزاجها ذَوْبَ اللُّجيْنِ على مُذابِ نُضارِ
١٢– فانفِ الهموم (٢٢٢) . . . (٢٢٣) بقهوة عذراء صافية كلون النـــارِ
١٣– يسقيكها حـلوُ الشَّـام مُقَـرَّطٌ خدّاه مصبوغ (٢٢٤) كصبغ عُقَارِ
١٤– والعندليب مُغَرِّدٌ بصَفيره (٢٢٥) يحكي مـعـاني رنَّـة الأوتـارِ
١٥– وكَرينَة عَذراء يونانيَّة (٢٢٦) كالبدر غُرَّتها لذي إقمار (٢٢٧)
١٦–والعودُ يبكي كالحنيْن (٢٢٨) بحجرهـا وتلفُّ أُذنَيْه كفعل (٢٢٩) صِرار (٢٣٠)
١٧– والشاهجان (٢٣١) فما ألذَّ بكـاءه يحكي أغاني (٢٣٢) ساكن الأشجـارِ

[٢٢١]

وقال أيضاً :

١ – عيدُ الأمير على الزمـان أميـرُ وكذاك تأثيرُ الخطيرِ خَـــطيرُ

---

(٢٢٠) كذا في الأصل . ولعله محرف من : زانه في خمره ، اي سقيه .
(٢٢١) في الأصل : سحب .
(٢٢٢) في الأصل : فانق الهموم . ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٢٢٣) سقط في الأصل ؛ كأن يكون تمامه : (عن الفؤاد) مثلا .
(٢٢٤) كذا في الأصل ، والسياق يقتضي : (مصبوغان صبغ) أو (قد صبغـا كصبغ) ، والعقار : الخمر .
(٢٢٥) في الأصل : بصفره .
(٢٢٦) في الأصل : وكرنمه عدرا كونانيه ، ولعل الصواب ما أثبتنا . والكرينة : المغنيـة .
(٢٢٧) كذا في الأصل ، والاقمار : ارتقاب طلوع القمر ، ولعله : (لدى الاقمار) وصف للبـدر .
(٢٢٨) كذا في الأصل بالحاء المهملة ، وربما كانت بالجيم .
(٢٢٩) في الأصل : كفعل .
(٢٣٠) الصرار – بكسر الصاد – : ما يشد به .
(٢٣١) في الأصل : والشاهجات ، و«الشاه» من اسماء المزمار او من انواع الناي.
(٢٣٢) في الأصل : اعان .

٢ – يا زينةَ الأعياد عِشْ لتزينها[٢٣٣] أبـداً فعيشك للزمـان حَبِير[٢٣٤]
٣ – باليمن والبركات ظَلْتَ مُعَيِّداً[٢٣٥] وظِلالُ عيدك غبطة وسـرورُ

[٢٢٤]

وقال أيضاً [٧٠/ب] :

١ – أنجرؤ في تلبيس ذكرك في ذكري[٢٣٦] وتطمع في تدليس قدرك في قدر[ي]
٢ – وإنك إذ تَزْري عليَّ مغدرٌ[٢٣٧] لأني أرى التِّنِّينَ يزري على البَدْرِ
٣ – فيا زارياً ما زال تمصيعُ لفظـه اذا قرأ القرآنَ يدعـو الى الكُفْـر
٤ – يقول له الشيطانُ عند قِرائه[٢٣٨] : أجَدْتَ بما حَرَّفْتَ من محكمِ الذِّكْرِ
٥ – لو آنَّ رسول الله يسمع درسَـه اذنْ قال : ذا غير المنزَّل فـي صدري
٦ – اذا ما قَرا حرفاً لتنفيس[٢٣٩] حفظه فمقصوده أنْ نختم الحمدَ في شهر[٢٤٠]
٧ – يُسِنُّ لنـا سين السـراط[٢٤١] كأنَّه يُجَرِّي صبياً فهو يَجْرِي اذا أمْرِي[٢٤٢]
٨ – يُكذِّب يُسْراً بالقرآء قِرَاؤه[٢٤٣] لِما قد نقاسي في القراءة من عُسْرِ[٢٤٤]
٩ – يُنازع في (والنازعاتِ) اذا قـرا ويعصر منه العين في عَيْنِ (والعَصْرِ)

---

(٢٣٣) في الأصل : ليزننها .
(٢٣٤) الحبير : البرد الموشى والثوب الجديد .
(٢٣٥) في الأصل : معبداً .
(٢٣٦) في الأصل : انجراى ناحسن ودكرك فى دكري ، ولعل ما اثبتنـا هو الأقرب الى الصواب .
(٢٣٧) كذا في الأصل ، ولعله : (لمغدر) بفتح اللام والميم والدال : من الغدر ، او (مغرر) أي معرض نفسه للتهلكة .
(٢٣٨) القراء – بكسر القاف – : المدارسة .
(٢٣٩) التنفيس : الترغيب .
(٢٤٠) في الأصل : فمحقوده أن نختم الحمد فى شهرى .
(٢٤١) في الأصل : سر الصراط ، والسين احدى القراءات .
(٢٤٢) في الأصل : اذا يعرى ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، ومرى وامرى : حلب واستدر واستخرج .
(٢٤٣) في الأصل : نكذب يسر بالقران قرانه ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(٢٤٤) في الأصل : من العسر ، وهو من جهل الناسخ بأوزان الشعر .

١٠– اذا ما قرا (والفجرِ) في عتَمَاتـه تراه يقاسيها [٢٤٥] الى مطلع الفَجْرِ
١١– قرا (الحشرَ) يوماً بالغداة مصلّياً فطوَّل حتى خِلتها وقفةَ الحَشْـرِ
١٢– يُزَهِّد في الاسلام قُبحُ قِـرائـه فيكسب فينا الإثمَ من موضع الأجْرِ
١٣– ويحسب من جهلٍ وعُجبٍ بأنه كعاصمٍ المقري[٢٤٦] أو كأبي عمرِو
١٤– عميتَ اباالحسن[٢٤٧] ثم عميتَ عن[٢٤٨] عماك كما قد قيل في ســالف الدهرِ
١٥– جهلتَ ولم تعلمْ بأنك جــاهلٌ فمَنْ لي بأنْ تدري بأنك لا تدري

[٢٢٥]

وقال أيضاً :

١ – مؤازرةُ الاخوانِ ذخرٌ من الذخرِ[٢٤٩] وللحرِّ أنْ يشكو هواه[٢٥٠] الى الحرِّ
٢ – ومَنْ لم يُجانبْ شهوةً لمروءةٍ كذلك لا يحظى بحمدٍ ولا أجْــرِ

[٢٢٦]

وقال أيضاً [٧١/أ] :

١ – بـديع حُسنٍ غريــب وصفٍ بــلا مثــالٍ ولا نــظيــرِ
٢ – فمن منيــرٍ[٢٥١] على مُطيــبٍ ومــن هضيــمٍ عــلى وَثيــرِ
٣ – يضحك عــن لــؤلــؤ نظيــمٍ ينطــق عن لــؤلــؤٍ نَثيــرِ
٤ – مُديــر كأسٍ حكــتْ وحاكى شهابَ نــارٍ وشخصَ نُــورِ
٥ – فأسكَرَ القومَ دَوْرُ كأسٍ وكان سكري مــن المُديــرِ

---

(٢٤٥) يقاسيها : يعالج شدتها .
(٢٤٦) جعل الشاعر الياء مشددة ليستقيم وزن البيت .
(٢٤٧) كذا في الاصل ، والبيت مختل الوزن ، ولعله : ابا حسان .
(٢٤٨) في الأصل : عميت عما ، وهو من سهو النسخ .
(٢٤٩) في الأصل : الذخر ، ولعل صوابه : من الدهر .
(٢٥٠) كذا في الأصل ؛ ولعل الكلمة مصحفة أو محرفة ، وربما كانت (جواه) اي حزنه وشدة وجده .
(٢٥١) في الأصل : مميز .

[٢٢٧]

وقال ايضا (٢٥٢) :

١ – روضُ المحاسنِ نزهةُ الأبصارِ والعيشُ تحت معاقِدِ الأزْرارِ
٢ – واذا تنزَّه ناظري في روضةٍ حَنَّ الفؤادُ الى جَنَى الأثمارِ
٣ – فلذاك صار اللحظُ (٢٥٣) في حكم الهوى مستشهداً عن غامض الأسرارِ
٤ – قد يُستدَلّ بظاهرٍ عن باطنٍ حيث الدُّخان فثمَّ موقد نارِ
٥ – سمجٌ بمثلك صحبة الأشرارِ وإخاءُ (٢٥٤) كلِّ مُهتَّكِ الأستارِ
٦ – فتجنَّبِ الأشرارَ تكْفَى (٢٥٥) شرَّهم واخترْ لنفسك صحبةَ الأخيارِ
٧ – مَنْ لاذ بالفُجّارِ يُدْعى فاجراً ومُبَرَّراً (٢٥٦) مَنْ لاذَ بالأبرارِ
٨ – لا زال مَدْعوراً ابوه وأمُّه مَنْ لا يزال مُحالفَ الدُّعّارِ
٩ – ولأهله شَرَطٌ أذاه وعيبُه مَنْ أعجبَتْه مذاهبُ الشُّطّارِ
١٠ – بَهْرَجْتَ نفسَكَ والعيون (٢٥٧) بهارجٌ عكفتْ عليك وأنت كالدِّينارِ
١١ – ما بال ذكركَ للمسامع مُكْرَهاً قبحاً ووجهك نزهة الأبصارِ
١٢ – [٧١/ب] فبحسن وجهك كنْ لعرضك صائناً عمّن يُعَرِّض عرضَه للعارِ
١٣ – انَّ القرين هو النظير فإنْ تكن حُرّاً فدونك صحبة الأحرار

[٢٢٨]

وقال أيضاً :

---

(٢٥٢) تقدمت هذه القصيدة تحت الرقم (١١٤) ، وفيها هنا بيت زائد وخلاف في بعض الالفاظ .
(٢٥٣) في الأصل : اللفظ ، والتصويب من الرواية المتقدمة .
(٢٥٤) في الأصل : واخاك ، وهو من سهو النسخ .
(٢٥٥) كذا في الأصل ، وفيه خطأ نحوي . وتقدم برواية : تجنب .
(٢٥٦) كذا في الأصل ، والرواية السابقة : وكذاك براً لاذ بالابرار .
(٢٥٧) في الأصل : والطون ، والتصويب من الرواية المتقدمة .

١ – عجبتُ من صبري[٢٥٨] ومن هَجْرِهِ ومن تجنّيه ومن كِبْرِهِ
٢ – كيف احتيالي والهوى مالكٌ والقلب مُنقادٌ الى أمْرِهِ

[٢٢٩]

وقال أيضاً :

١ – يا مُنيتي لِمْ حجبتَ عن بصري ما كان يُخشى عليك من نظر[ي]
٢ – هل كان في نظرةٍ أعيش بها يا سُؤْلَ[٢٥٩] قلبي عليك من ضَرَرِ
٣ – قرّةَ عيني مى نعله[٢٦٠] منك فقلبي في أعظم الحذَرِ
٤ – لا كان مَنْ يصنع السُّورَ فكم يُحْجَب تحت الستور من قمَرِ
٥ – يا طيبَ أيامِنا التي سلفتْ ما كان أحلى محبّة الصِّغَرِ

[٢٣٠]

وقال أيضاً :

١ – بفتور طرفِكَ واحوِرارِهْ وبنور خدِّكَ واحمِرارِهْ
٢ – وضياء عارِضِكَ الذي فيه ظلامٌ من عِذارِهْ
٣ – وعُقار ثغرِكَ انَّ بي طَلَباً[٢٦١] يطول الى عُقارِهْ
٤ – وبحسن قدٍّ راعني فاق القضيب لدى اخْضِرارِهْ[٢٦٢]
٥ – لا تُبْلِ[٢٦٣] قلبي بالفراقِ ولا تُعَذِّبْه بنارِهْ

(٢٥٨) في الأصل : عحب من صرنه ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، وبه يستقيم وزن البيت ومعناه .
(٢٥٩) في الأصل : باسوال .
(٢٦٠) كذا في الأصل ، وهو مصحف ومحرف .
(٢٦١) في الأصل : طلما ، ولعله تصحيف (ضرماً) أي نهماً وشدة جوع .
(٢٦٢) في الأصل : فاق القصب له احصراره . والاخضرار : الغضوضة والنعمة . والصواب ان يقال : في اخضراره .
(٢٦٣) في الأصل : لاتبد .

[٢٣١]

وقال أيضاً [٧٢/أ] :

١ ـ لولاك لم يحسن السرورُ ولم يكن للبلاد نُورُ
٢ ـ هذا محبٌّ اليك يشكو وبالرضا منك يستجيرُ
٣ ـ إنْ آبَ (٢٦٤) في حبّكم أسيراً (٢٦٥) فهو على غيركم أميرُ
٤ ـ اذا ملكتُمْ فلا تتيهوا وإنْ حكمتم فلا تجوروا
٥ ـ تعطّفوا وارحموا محبّاً قليلُكم عنده كثيرُ

[٢٣٢]

وقال أيضاً :

١ ـ يا مَنْ يجلُّ عن المقدار والخَطَرِ (٢٦٦) ومَنْ يدقُّ عن الأوهام والفِكَرِ
٢ ـ ومَنْ له صورة في حسن صنعتها دقائق لطفتْ عن سائر الصُّوَرِ
٣ ـ فيها ملاحات أنواعٍ مؤلّفة بحسنها بانَ (٢٦٧) عن كيفيّة البَشَرِ
٤ ـ على شمائل في تركيبها بِدَعٌ صيغتْ من النور والآيات للعِبَرِ
٥ ـ إنْ قلتُ : غصنٌ على عليائه قمرٌ فانما رُمتَ (٢٦٨) مدحَ الغصن والقمرِ
٦ ـ سقانيَ الحبَّ كأساً كنتُ أحذرها والمرء يُؤْتى اذا يُؤتى (٢٦٩) من الحَذَرِ

[قافية الزاي]

[٢٣٣]

---

(٢٦٤) في الأصل : اب اسا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٢٦٥) في الأصل : اسر .
(٢٦٦) الخطر ـ بالتحريك ـ : المثل في علو الشأن .
(٢٦٧) بان : أي بعد .
(٢٦٨) في الأصل : فانمار مت .
(٢٦٩) في الأصل : ويوبى المرد اذ يوبى ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، وبه يستقيم الوزن .

وقال[٢٧٠] :

١ – اذا راح مشهورُ المحاسنِ أوغدا يلين له[٢٧١] لحظُ العيونِ الغوامـزِ
٢ – فمن لم تفزْ عيناه منه بنظرة فليس بخيرٍ في الحياة بفـائـزِ
٣ – اذا ما انتضى سيفَ الملاحة طرفُهُ ونادى قلوبَ الناس : هل من مُبارزِ ؟
٤ – عجزتُ وألقى السلمَ قلبي لطرفِـهِ على أنه عن غيره[٢٧٢] غيـر عاجـزِ

[٢٣٤]

وقال أيضاً [١٧٢/ب] :

١ – مليـح في المـلاحة مـايُوازى تملّكَ مهجتـي ودمـي وحـازا
٢ – بذلتُ لـه المـودّةَ مـن فؤادي فجـازاني بـأحسن مـا يُجازى
٣ – عروسُ ملاحـةٍ جُليَتْ علينـا وقد نُفِـل الجمـالُ لهـا جهـازا
٤ – غلائل خدِّها صُبِغَـتْ بـوَرْدٍ وقـد جُعِـل النهـارُ لهـا طِرازا

[قافية السين]

[٢٣٥]

وقال[٢٧٣] :

١ – فرارُكما[٢٧٤] بالأمس بغّضني أمسي ولو قلتما لي كان أطْيبَ للنَّـفْـسِ
٢ – وما جازَ ماجاوزْ تماه[٢٧٥] ولم يكنْ ليذهب تلبيسٌ عـلى معـدن اللُّبْسِ

---

(٢٧٠) في الأصل : وقال على قافية الزاي ، وقد جعلنا (قافية الزاي) عنواناً للأبيـات .
(٢٧١) كذا في الأصل ولكن بلا نقط للياءين ، ولعله تصحيف (يلازمه) أو (يليز له) اي يلجأ ؛ ان جاز مثل هذا المجاز .
(٢٧٢) في الأصل : من عىره ، والصواب ما اثبتنا .
(٢٧٣) في الأصل : وقال على قافية السين ، وقد جعلنا (قـافية السـين) عنواناً للقصائد الآتية .
(٢٧٤) في الأصل : مراركما ، وسياق الأبيات يقتضي ما اثبتنا او ما يقاربه .
(٢٧٥) في الأصل : ما جاورتماه . وكأن الشاعر يعني بذلك عدم مراعاة حقوق الصداقة والمودة .

٣ ـ توحّشتما منّي لأُنسي اليكما فلم تُنْصِفاني في التوحّش من أُنسي
٤ ـ ولولا انبساطي لم تكونا انقبضتما فكافأتماني في المودّة بالعكسِ
٥ ـ ومَنْ يبخس الاخوانَ بعض حقوقهم فذاك حقيق أنْ يُكافوه بالبخسِ
٦ ـ ولولا حيائي منكما كنتُ واصفاً فعالكما وصفاً يُخلَّد في الطرسِ
٧ ـ ولكنْ اذا جيشٌ من الكيدِ راعني جثوت(٢٧٦) لهمن محكم الصبر في تُرْسِ
٨ ـ فقلْ لحبيبٍ لا أُحبُّ جفاءه نطس عن الشمس(٢٧٧) يامُشبه الشمس

[٢٣٦]

وقال أيضاً :

١ ـ إنني ذاكرٌ لما أنت ناسٍ ومُقاسٍ في الحبِّ مالا تقاسي
٢ ـ فاذا أنت لم تُواسِ محبّاً مخلصاً في الهوى فمن ذا يواسي
٣ ـ أيُّهَا اللابس الجمال أتَسْتَحْسِنُ(٢٧٨) أن تجعل السقامَ لباسي
٤ ـ أنت في رقّة الشمائل والنّعْمةِ بِدْعٌ فما لقلبك قاسِ
٥ ـ [٧٣ /أ] فبحسن الدلال أسّرت(٢٧٩) قلبي وبسوء الفعال شيّبتَ(٢٨٠) راسي
٦ ـ لم أزلْ أحرز اللسانَ على الكتمان حتّى تكلّمتْ أنفاسي
٧ ـ هام قلبي بمعدن الحسن حتى صار نيه معادنُ الوسواسِ
٨ ـ أنا كاسٍ من الصبابة والوجدِ لظبيٍ من الملاحة كاسِ
٩ ـ بين أجفانه اذا مرض اللّحظُ سيوفٌ لا تُتّقى بتراسِ(٢٨١)
١٠ ـ مُطمعٌ مُخلِفٌ قريب بعيدٌ مازجٌ في الهوى رجاءً بياسِ(٢٨٢)

(٢٧٦) هكذا وردت الكلمة في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعلها مصحفة أو محرفة.
(٢٧٧) كذا في الأصل .
(٢٧٨) في الأصل : فاسحسن ، وهو من أوهام النسخ .
(٢٧٩) هل يصح الفعل (اسر) مضعف السين لغوياً ؟ .
(٢٨٠) في الأصل : سبت .
(٢٨١) في الأصل : نت راسي . والتراس : جمع ترس .
(٢٨٢) في الأصل : رجاى ساسى ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وهو مايقتضيه السياق . وربما كان (رجائي بياسي) .

١١ـ فجزى اللهُ أهــلَـــه كــل خيرٍ انهــم أحسنوا اشتقاقَ القيــاسِ [٢٨٣]

[٢٣٧]

وقال أيضاً :

١ ـ أيُقاس قَـدُّك يا أبـا العبّاسِ بقضيب آسٍ . ليس ذا بقيــاسِ
٢ ـ جسمٌ شمائلــه تضاهي لــؤلــؤاً رطباً يقاس الى قضيــب الآسِ !
٣ ـ بدرٌ يكاد يذوب من ترىعـــه [٢٨٤] لـــولا تماسُكه . وقلبٌ قــاسِ [٢٨٥]
٤ ـ ذكراك أسلمني الــى الــوسواسِ يـــا سيدي وهواك شيّبَ راسـي
٥ ـ وحديثك الحَسَنُ المُقَطّع إنـــه أهدى اليَّ تقطُّعَ الأنفـــاسِ
٦ ـ مــاذا يضرُّك لــو رثيتَ لعاشقٍ متحيّرٍ [٢٨٦] بين الرَّجــا والياسِ
٧ ـ مولاي عبدك صار مُذْ فــارقْتَــه ممّا بــه أُحدوثــةً للنـــاسِ
٨ ـ لـــو مات كان الموتُ أيْسَرَ عنده ممّا يكابد في الهوى ويُقــاسي
٩ ـ ما إنْ يُقَضّي ليلَـــه ونهــارَه الاّ بذكـرك يا أبــا العبّــاسِ

[٢٣٨]

وقال أيضاً [٧٣/ب] :

١ ـ قـــد طوينا عهدَ [٢٨٧] الرجاء بياسٍ بعدما غرّني بكم وســـواســي
٢ ـ خدعتني ابــوّةٌ لك ســارتْ [٢٨٨] وظننتُ الفـــروعَ كالآســاسِ

---

(٢٨٣) في الأصل : العاسي .
(٢٨٤) كذا في الأصل .
(٢٨٥) في الأصل : لولا تمسكه فقلب قاسى ، ولعل الصواب ما اثبتنا . وربما كان : (لولا تمسكه بقلب قاس) .
(٢٨٦) في الأصل : متحرا ، وهو من أوهام النسخ .
(٢٨٧) في الأصل : عند ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .
(٢٨٨) في الأصل : سادت .

٣ ــ فرجونا[٢٨٩] بك القياس[٢٩٠] ولكنْ فسد النّسجُ من فساد القياسِ
٤ ــ ما توهمتُ انّ معدنَ تبرٍ كائنٌ منه بُرّةٌ[٢٩١] من نحاسِ
٥ ــ إنْ نسبنا[٢٩٢] الى الكرام سجايا لك رقعْنا الحريرَ بالكِرْباسِ
٦ ــ قد غرسنا لك المَلامةَ[٢٩٣] في الأنفُسِ إذْ حُلْتَ عن كريمِ الغِراسِ[٢٩٤]
٧ ــ إنْ تناسيتَ أو نسيتَ فلا عُذْرَ فانّ المُهْتَمَّ ليس بناسِ

[٢٣٩]

وقال أيضاً :

١ ــ اذا ما أطعتَ لأهل الحبيبِ بنيتَ البناءَ بآساسِهِ
٢ ــ ولو لم تَرِدْ وصلَه لم تَذِلّ[٢٩٥] لأخدانِهِ أو لحُلاّسِهِ[٢٩٦]
٣ ــ وممّا تمثّله الفارسيُّ وأودَعَه بطنَ[٢٩٧] قِرطاسِهِ
٤ ــ اذا كنتَ تطلب عفوَ الأميرِ فخُذْ في مداراة جُلاّسِهِ

[٢٤٠]

وقال أيضاً :

١ ــ وزائرٍ زارَ بعد ياسٍ في مقلتيْه سيما[٢٩٨] النعاسِ[٢٩٩]

---

(٢٨٩) في الأصل : فرحربا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٢٩٠) القياس : التقدير على ذلك المثال .
(٢٩١) في الأصل : بربره ، والبرة : الحبة الواحدة من البر اي الحنطة . وقد يقرأ الأصل : (بزة) بكسر الباء وتشديد الزاي .
(٢٩٢) في الأصل : ان سساك .
(٢٩٣) في الأصل : المدامة ، وربما كانت (المذمة) .
(٢٩٤) في الأصل : الفراسى ، وهو تصحيف .
(٢٩٥) في الأصل : لم برل ، وهو تصحيف ايضاً .
(٢٩٦) كذا في الأصل ، ولعله مأخوذ من قولهم : فلان يجالس بني فلان ويحالسهم اي يلازمهم .
(٢٩٧) في الأصل : نطن نطى ، وهو من سهو النسخ .
(٢٩٨) في الأصل : سحا ، وهو تصحيف .
(٢٩٩) في الأصل : النعاسى ، وهو من خطأ النسخ ، وكذلك في قافية البيت الثالث الآتي : (مواسى) .

٢ – فقلت : يا منتهى منســاى[٣٠٠] ومَنْ بــه[٣٠١] كــان إلتماسي
٣ – أزُرتَ شوقــاً ؟ فقال : كــلاّ لكنْ بروحــي لكم مُــوَاسِ

[٢٤١]

وقال أيضاً :

١ – ولقد دخلتُ الدّيْرَ أطلب شخصَــه فرأيتُ ثَمَّ أهِلَّةً وشــموســا
٢ – [٧٤/أ] ورأيتُه فحسبتُه من بينهم لمّــا بــدا لجمــاله بلقيســا
٣ – فشهقتُ ثم صعقتُ ثــم سألتُه ما الاسم؟ قال . وقد تبسّم[٣٠٢] –: موسى
٤ – قلتُ : استمعْ منّي بحرمة مَنْ مضى أعني أخــاك أبا المكارم عيســى
٥ – قُلْ لي فانّي مذ عشقتُكَ سيــدي قــد ظَلْتُ في شَرَك الهوى محبوسا
٦ – فأجابني أوَ ما علمتَ بــأنّني ذوَّبتُ قبلك[٣٠٣] في هواي نفوســا
٧ – اذهبْ فلستَ بنائلٍ مــا رمتَه حتى تُغَيَّب في الثرى مرموســا
٨ – ثم انثنى يتلو الزّبورَ تشــاغُلاً عنّي وخافَ رَهابِناً[٣٠٤] وقُسُوسا
٩ – واللهِ لولا اللهُ أحــذر سخطَهُ حقــاً لصرتُ لأجلــه قسّيسـا

[٢٤٢]

وقال أيضاً :

١ – قد كنتُ فزتُ بمن أهوى وآنَسَني طيبُ الحياة وطيبُ العيش إذْ أنِســا
٢ – حتّى تعرّض لي واشٍ فنغّصَني فصار لي مأتماً ما كان لي عُرُســا

---

(٣٠٠) كذا في الأصل . ولعل الشاعر جعلها (منائي) وظنها مثل (رجائي) .
(٣٠١) كذا في الأصل مع قطع همزة (التماسي) ، ولعل الصواب : ومن اليــه كان التماسي .
(٣٠٢) في الأصل : وقد نسيم ، وهو تصحيف .
(٣٠٣) في الأصل : قلبك ، وهو من أوهام النسخ .
(٣٠٤) في الأصل : رهابا . وهو من سهو قلم الناسخ .

٣ — بمجلسٍ كان مُلْتَذاً فنغّصَه(٣٠٥) ما كان من طَفِسٍ(٣٠٦) ، لا كان ذا جَلَسا

٤ — في مجلسٍ غرّسَ اللّهوَ الكرامُ به أكرِمْ بهمْ غارساً لهواً ومُغْتَرِسا

٥ — فلو بـدا حسنُهم في حسن مجلسهم لشاربٍ مُرْقِداً(٣٠٧) دهـراً لما نعسـا

٦ — والكأس كالثلج لكنْ وسطها قبس هـل كنتَ نعرف ثلجاً يألف القبسا

٧ — فالشمس(٣٠٨) في فم ذاتجري وفي يد ذا تبدو ، إذنْ خلت(٣٠٩) مشروبأومُلتمسا(٣١٠)

٨ — حتى اذا احتش(٣١١) الأسماع من ظُرُفِ الا ألفاظ نعس سوءُ الطبع من نعسـا(٣١٢)

٩ -[٧٤/ب] كانت له معدة قدسرحت(٣١٣) زمناً اذا عرست(٣١٤) بدَنَيّنِ المدامَ حَسَاً

١٠— وانما السُّكر أفراس الصِّباجمحت(٣١٥) فكيف يضبط مرهونُ الحجا فَرَسـا

١١— ألم ترَ الكأسَ فيما أنبتتْ طرَفـاً من السرور وفيما أنبتتْ طَفِسا(٣١٦)

---

(٣٠٥) في الأصل : كمجلس كان ملتذا فعضه ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

(٣٠٦) الطفس : القذر الذي لايتعهد نفسه وثيابه ، وكأن الشاعر قد عنى بـه الثقيل .

(٣٠٧) في الأصل : مرقد . والمرقد : دواء يرقد شاربه .

(٣٠٨) في الأصل : فالشمس ، واظنه : والشمس .

(٣٠٩) يعني الشاعر بـ (خلت) (رأيت) ؛ كما تقدم منه ذلك في البيت التاسـع من القصيدة (٢١٧) .

(٣١٠) في الأصل : ومحتلسا ، وهو تصحيف .

(٣١١) كذا في الأصل ، ولعله تصحيف (انتشت) ، وظرف ـ بضم الظاء والراء ـ : جمع ظريف .

(٣١٢) كذا في الأصل ، ولعل العين في (نعس) و (نعسا) تصحيف الحاء ، أي (نحس) بتشديد الحاء و (نحسا) بالتخفيف . ووهـم الناسـخ فكتب (سوالطع) فصححناها .

(٣١٣) كذا في الأصل .

(٣١٤) كذا وردت الكلمة في الأصل ، وهي مصحفـة ، والسيـاق يقتـضي (اذا يحسى) بتشديد السين والبناء للمجهول .

(٣١٥) في الأصل : حمحا ، وهو من أوهام النسخ .

(٣١٦) في الأصل : وفنه انس الطفسا ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

[٢٤٣]

وقال أيضاً :

١ ـ وروضة عرسنا معرَّسها[٣١٧] حريرها مشرق وسندسها
٢ ـ يحكي خدودَ الملاح ثامرها[٣١٨] وأعينَ الغانيات نرجسها
٣ ـ اذا نسيم الرياح قابلها[٣١٩] طيَّب ما بيننا تنفُّسها[٣٢٠]
٤ ـ تزداد طيباً بمن يحرِّكها[٣٢١] وعارف حقّها منكسها[٣٢٢]

[٢٤٤]

وقال أيضاً :

١ ـ يالكِ من معركةٍ بالحاسي[٣٢٣]
٢ ـ مع ابن لاوي شاخص[٣٢٤] الأضراسِ
٣ ـ مُكَلْثَم[٣٢٥] الوجه صغير الراسِ
٤ ـ عِضّ أبي شبلٍ لدى افتراسِ[٣٢٦]
٥ ـ ومخلبٍ ضخم وقلب قاسِ

---

(٣١٧) في الأصل : غرسنا يغرسها . والعرس : الاقامة في الفرح ، والمعرس : موضع الاستراحة .
(٣١٨) في الأصل : احرها . والثامر : نور الحماض وهو أحمر .
(٣١٩) قابلها : اي واجهها وعارضها ، ومنه القبول ـ بفتح القاف ـ لريح الصبا .
(٣٢٠) في الأصل : فنسها ، وهو تصحيف .
(٣٢١) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعل (يحركها) مصحفة او محرفة .
(٣٢٢) كذا في الأصل وهو نص غير سليم ، وان صحت (يحركها) في صدر البيت فلعل القافية (ينوسها) .
(٣٢٣) لم نجد (الحاسي) في كتب البلدان ، وقد ورد (الساسي) في معجم البلدان : ٥/٩ وقال : « قرية تحت واسط » ، ولا اظنها هي المرادة .
(٣٢٤) كذا في الأصل ، ومعناه مرتفع ، واظنه (شاخس) بالسين .
(٣٢٥) مكلثم الوجه : اي كثير لحم الوجه والخدين .
(٣٢٦) في الأصل : لدى اقراسى ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

٦ ــ ومقالــة تلمــع كالمِقباسِ[٣٢٧]
٧ ــ يكــرُّ كــرَّ الأســد الفــرّاسِ
٨ ــ عــلى الكلاب أو عــلى الأفــراس
٩ ــ لولا لَحاقي في[٣٢٨] الشديــد البأسِ
١٠ــ الأســود السعديَّ ذي المــراسِ[٣٢٩]
١١ــ لمّا أخذْنــاه[٣٣٠] وربِّ النــاسِ
١٢ــ بالمكــر والختْر[٣٣١] بُعَيْدَ اليأسِ
١٣ــ إذْ لانَ في الوقعــة كالقرطاسِ
١٤ــ حــتى ضربنــا رأسَــه بالفــاسِ

[٢٤٥]

وقال أيضاً [٧٥/أ] :

١ ــ تبدَّتْ لنا حوراء في صورة الإنْسِ تُشَبَّه شمساً وهي أبهى من الشمسِ
٢ ــ أرى شخصَها أُنْساً لغيري فديتُهــا وذكري لذاك الشخص في خلوتي أُنسي

[٢٤٦]

وقال أيضاً :

١ ــ لنــا في وجهــه بستان حســنٍ مــتاح للعيــون بــلا مساسِ
٢ ــ سقاني الراحَ من يــده سُــحَيْراً وفي عينيه من مرض النعــاسِ[٣٣٢]
٣ ــ فيُمْنــاه مُقَرَّطــة بكربٍ[٣٣٣] ويســراه متــوَّجــة بــكاسِ

---

(٣٢٧) في الأصل : كالمقياسي ، وهو تصحيف .
(٣٢٨) في الأصل : أو لا لحلوق فى ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب ، واللحــاق يعدى بالباء لا ب « في » . وربما كان : (لولا لجوئي للشديد) .
(٣٢٩) في الأصل : دى المراسى ، وهو تصحيف .
(٣٣٠) الأخذ : العقوبة والايقاع بالشخص .
(٣٣١) الختر : الخديعة .
(٣٣٢) كذا ورد عجز البيت في الأصل .
(٣٣٣) في الأصل : بعور ، وكتب الناسخ فوقها كلمة (نكوب) .

[٢٤٧]

وقال أيضاً :

١ ــ أُقاسـي في الهـوى مالاتقاسـي وأذكر عهدنا إذ كنتَ ناسِ[٣٣٤]
٢ ــ فعهدك في الغـرور كعهـد وردٍ وعهديَ في الإسار[٣٣٥] كعهد آسِ[٣٣٦]
٣ ــ وما أنسى إشـارات المعـانـي أسارِقُها وألحـظ باختـلاسِ[٣٣٧]
٤ ــ وغرَّتْنـي محاسنُ منـك رقّتْ ولـم أعلـم بـأن القلب قـاسِ

[٢٤٨]

وقال أيضاً :

١ ــ مالي قليـل وكسبي ليس ينفعنـي وقـد بُليـتُ بأقـوام مفاليسِ
٢ ــ ما منهم أحدٌ يُرجى لنـائلـــه وكيف ترجى عظامٌ فـي النَّواويسِ
٣ ــ رد دارىسم[٣٣٨] [في[٣٣٩]] عَطيَّتهم وفي السفاهـة هـم اخـوان ابليسِ
٤ ــ الخبز عندهُمُ ني وقت بيـادرهـم أعزُّ من نَوْرَةٍ[٣٤٠] في عهد بلقيسِ

[٢٤٩]

وقال أيضاً :

١ ــ جمال[٣٤١] عينيك عَطَّلَ[٣٤٢] النَّرجسْ حتى تقاضـى ودار فـي المجلسْ

---

(٣٣٤) في الأصل : وادكر عهده اد كان ناسى ، وسياق الابيات يقتضي ما اثبتنا.
(٣٣٥) في الأصل : الاسا ؛ ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٣٣٦) الآس : شجر ، وقد قابل الشاعر به وببقائه سرعة ذبول الورد في صدر البيت .
(٣٣٧) في الأصل : وسارقها ولحظ باحىلاسى ، وهو تصحيف ، ولعل الصواب ما اثبتنا .
(٣٣٨) كذا في الأصل .
(٣٣٩) زيادة يقتضيها السياق والوزن .
(٣٤٠) كذا في الأصل ولكن بلا نقط ، ولعله (بدرة) أي كيس فيه مال كثير .
(٣٤١) في الأصل : عطل ، والكلمة محرفة ، والسياق يقتضي ما اثبتنـا او ما يقاربه في المعنى .
(٣٤٢) التعطيل : الاهمال وتركه ضائعاً .

٢ – [٧٥/ب] أبصر عينيك فانثنى خجلا فهو لفرط الحياء قد نكس

٣ – لو استطاع الكلام قال : كذا كان ، ولكن[٣٤٣] لسانه أخرس

[٢٥٠]

وقال أيضاً :

١ – كأنه و الكأس[٣٤٤] في كفه متصلاً بالأنامل الخمس

٢ – يا قوتة حمراء قد صيرت واسطة البدر والشمس

[٢٥١]

وقال أيضاً :

١ – بنفسي حبيب سوف يثكلني نفسي ويجعل جسمي تحفة[٣٤٥] اللحد والرمس

٢ – لقد ضاقت الدنيا عليّ بأسرها بإعراضه[٣٤٦] عني كأني في حبس

٣ – جحدت الهوى إذ كنت مذ جعل الهوى محاسنه شمساً[٣٤٧] نظرت الى الشمس

٤ – لأسكن قلباً تيه قد صار مأتم[٣٤٨] من الشوق الا أن عيني في عرس

[٢٥٢]

وقال أيضاً :

١ – سقيتني كأساً فأسكرتني ومنك سكري لا من الكاس

٢ – أوقعتني في قعر بحر الهوى في لجة تقطع أنفاسي

٣ – أنا غريب والهوى قاتلي والقلب مملوء من الياس

٤ – حتى متى أخفي عليك الهوى يا دولتي عودي من الراس[٣٤٩]

(٣٤٣) في الأصل : ولكن ، وهو من اوهام النسخ .

(٣٤٤) في الأصل ، كاسا الكاس ، وهو تصحيف ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

(٣٤٥) كذا في الأصل ولكن بلا نقط للتاء ، فان لم تكن الكلمة مصحفة فهي مستعارة من : وحف اي قصد مكاناً ونزل به .

(٣٤٦) في الأصل : باعراضها ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .

(٣٤٧) في الأصل : سمس ، وهو من اخطاء النسخ .

(٣٤٨) في الأصل : ماتما ، وهو من اوهام النسخ .

(٣٤٩) كذا في الأصل وفيه « من الراسى » . وجاء في اساس البلاغة : « وتقول لمن يحدثك : خذه من راس » .

[٢٥٣]

وقال أيضاً :

١ – بديع ملاحات يذوب من اللمس تكبّر أن يُدعى الى حوزة الانس(٣٥٠)

٢ – [٧٦/أ]فلما رأته الشمسُ منه تعجّبتْ وقالتْ له : بالله أنت من الإنسِ ؟

٣ – وقالت له : ما الاسم؟ قال: محمد فقالت: فقس في الحسن نفسك مع نفسي

٤ – فأغضب حتى كاد يلطم وجهها وحذّرَ بالكفّ المليح على الشمسِ

٥ – وقيل لها(٣٥١) : غيبي فانيَ طالعٌ على الناسِ(٣٥٢) بالنور الذي كان بالأمسِ

[٢٥٤]

وقال أيضاً :

١ – فؤادي على عهد الحبيب حبيسُ وبين ضلوعي للحنين رسيسُ

٢ – فإنْ توحش الأيامُ بيني وبينه فما لي سوى شوقي اليه أنيسُ

٣ – يؤانسني ذكراه في كلّ خلوةٍ بلى منه إنْ غاب الجليس جليسُ

٤ – عجبتُ لمن يكفي(٣٥٣) النفس عن الهوى وقَدْرُ الهوى عند النفيس نفيسُ

[٢٥٥]

وقال أيضاً :

١ – لوحُزّ(٣٥٤) بالسيف رأسي في محبّتكم لسالَ يهوي اليكم مسرعاً راسي

٢ – ولو بَلِيْ تحت أطباق الثرى جسدي لكنتُ أبلى وما قلبي لكم ناسِ

---

(٣٥٠) كذا في الاصل . فان كانت (الانس) مكسورة الهمزة فهي والقافية التي تليها بمعنى واحد ، وان كانت مضمومة الهمزة ففي الشطر تصحيف أو تحريف . ولعل الصواب : (الى حوزة الانس) .

(٣٥١) في الاصل : وقالت له ، والسياق يقتضي ما اثبتنا .

(٣٥٢) في الاصل : على النار ، ولعل ما اثبتنا هو الصواب .

(٣٥٣) كذا في الاصل ، والسياق يقتضي (ينهى) أو ما بمعنى ذلك .

(٣٥٤) في الأصل : لوجر ، وهو تصحيف .

[٢٥٦]

وقال أيضاً :

١ – قلْ للغزال الذي في سكَّةِ الآسي[٣٥٥] عذَّبتَ قلبي وقد قطَّعتَ أنفاسي
٢ – بحسن وجهك يا مَنْ لاشبيه له لا تشمت الناسَ بي يا أملح الناسِ
٣ – هذا كتابيَ لمّا قلَّ[٣٥٦] مصطبري أشكو اليك صباباتي ووسواسي
٤ – ما زال يُملي فؤادي ما تخطُّ يدي حتى بكتْ ليَ أقلامي وقرطاسي

[٢٥٧]

وقال أيضاً [٧٦/ب] :

١ – أمَّا والنور والوادي الـ ـلَذي نادى به موسى
٢ – لقد أصبحتُ مشتاقاً الى وجه أبي عيسى

(٣٥٥) لم نجد لسكة الآسي ذكراً في كتب البلدان المعنية بالبصرة واحيائها وسككها وأسواقها ، ولعلها (سكة الآس) وهو الشجر المعروف .
(٣٥٦) في الأصل : كما قل ، وهو من اغلاط النسخ .

أرض السواد

دراسة في الجغرافيا والتاريخ

الدكتور علي محمد المياح

عضو المجمع العلمي العراقي

الجغرافيا والتـاريخ :

تبرز بعض المشاكل التي تجابه الباحث الجغرافي في يومنا هذا من طبيعة ظواهر سطح الأرض ذاتها . فالظواهر التي يعنى الجغرافي بالتحري عن تكاملها الأقليمي لها أبعاد مكانية كما لها مراحل زمنية ؛ تطورت خلالها واستقرت على نوعيتها وصورتها الحاليتين . وقد حمل هذا الأمر بعض الجغرافيين على القول بان تطورات أو تغيرات ظواهر سطح الأرض يجب ان تحظى باهتمام الباحث الجغرافي . وان الاحاطة بعلاقاتها الزمنية لها أهمية بالغة لا يمكن إغفالها(١) . وهكذا تصبح دراسة التاريخ في هذا المجال مهمة جداً لانه يعنى بتقصيّ الاحداث المهمة والافادة عن إسبابها وما تركته من آثار في الانسان . ويحاول التاريخ في خضمّ دراسته أن يكشف عن تكاملها زمنياً ، ويستمد الحدث التاريخي بعض مقوماته من مكان حدوثه ويرتبط بمجريات الاحداث اقليمياً . وهكذا تبرز علاقة متبادلة بين هذين الحقلين من حقول المعرفة . ولكن الى أي مدى تتداخل موضوعات الدراسة الجغرافية والتاريخية ؟ هذا سؤال ليس من السهل الاجابة عليه . فادراك العلاقة المتبادلة بينهما يجب ألا يؤدي الى الخلط بين

---

(1) Richard Hartshorne, The Nature of Geography, Annals of Asso. of Amer. Geographers., Vol. XXIX No. 3 and 4, Lancaster, Pennsylvania, 1939, P. 176.

وظيفة كل منهما وجوهر مادته العلمية . فذكر مواقع الاحداث التاريخية ، أو تحديد موقع مدينة معينة لا يجعل منها بحثاً جغرافياً . لذا كان إيجاد العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ أمر تعترضه صعوبات بالغة . ففهم التاريخ فهماً عقلانياً يتطلب معرفة جيدة بتغير ظروف البيئة التي تقع في إطارها احداث التاريخ ، بل ان مثل هذه المعرفة تعد ضرورة ، في كثير من الاحيان ، لاختبار صدق الرواية التاريخية والتثبت من مدى صحتها . وقد التفت (ابن خلدون) الى اهمية هذه الحقيقة حيث يقول (ان كلّ حادث من الحوادث . ذاتاً كان أو فعلاً ، لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله . فاذا كان السامعُ عارفاً بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب)(٢) . ولذلك فانـه يأخذ على (المسعودي) ما نقله عن (الاسكندر) لما صدّته دواب البحر عن بناء الاسكندرية . ويُظهر خطل هذه الرواية في ضوء ما يحدث للمنغمس في الماء . وعلى هذا الغرار يفنّد ما نقله (البكري) عن بناء المدينة المسماة (ذات الابـواب) ، لأن حجمها كان من السعـة بحيث يتنـاقض واغراض بناء المدن من تحصّن وإعتصام (٣) . ولعل (البلاذري) من المؤرخين العرب الاوائل الذي تناول هذه العلاقة بين التاريخ والجغرافيا . فكتابه يتناول، فضلاً عن الفتوح ، مادة جغرافيّة وعمرانية وسياسية لم يتطرق اليها أي من كتب التاريخ . ففي حديثه عن تمصير البصرة ، مثلاً ، يذكر (الاخوار) وتعريفها وغورة (الأجانة) والانهار والجزر والسباخ(٤) . واستفاد (اليعقوبي) من

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، (ت ٨٠٨هـ) ، مقدمة بن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ـ ، ص ٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .
(٤) أبو الحسن احمد بن يحيي بن جابر بن داود البلاذري (ت سنة ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ ص ٣٣٧ ـ ٣٤٧ .

ميله المزدوج الى التاريخ والجغرافيا فكاد يحقق نمطاً أصيلاً يسبق فيه وصف الأطار الجغرافي والبشري بصورة طبيعية سرد الاحداث الجارية فيه ويكملها ويفسرها(٥) . فعندما يتحدث (اليعقوبي) عن بغداد يبدأ بذكر موجز تاريخ الدولة العباسية ، ثم ينتقل الى شرح جغرافيتها الاقليمية عامة ، بدءاً بموقعها وظروفها المناخية ودرجات حرارتها في الصيف والشتاء ، موازناً ذلك بالشام ومصر وافريقية وكور الجبل والتُبَّتّ وغيرها ، ثم ينتقل الى جغرافيتها البشرية فيذكر زروعها وخططها واسواقها وسكانها وقطائعها وأرباضها وانهارها(٦) . وينوه عن منهجه هذا صراحة في مقدمته فيقول : (وقد ذكرت أسماء الأمصار والاجناد والكور وما في كل مصر من المدن والأقاليم والطساسيج ، ومن يسكنه ويغلب عليه ويترأس فيه من قبائل العرب وأجناس العجم ، ومسافة ما بين البلد والبلد والمصر والمصر . ومن فتحه من قادة جيوش الاسلام ، وتأريخ ذلك في سنته واوقاته ومبلغ خراجه ، وسهله وجبله وبره وبحره ، وهوائه في شدة حره وبرده ومياهه وشربه (٧) . ولكن المفهوم الحديث للعلاقة بين التاريخ والجغرافيا ظل عند (اليعقوبي) خطوطاً عريضة عامة . وبقي التاريخ على ما هو من تتبع احداث الزمان وتعاقبها حتى انفتح بفضل (ابن خلدون) على الجغرافيا البشرية . ولذلك كان تركيب هذه العلاقة يقتضي ان يلم المؤرخ بمثل هذه المعرفة الجغرافية . والا فان دراسته لا تكلل بالنجاح . ومثل هذا القول يسري على الجغرافي الذي يعنى بهذا النوع من مشا كل الدراسة الجغرافية . إذ لابد له من حصر دراسته بمدة زمنية محددة . او منطقة معينة أو كليهما معاً .

---

(٥) اندريه ميكيل ، جغرافية دار السلام البشرية ، ترجمة ابراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، السم الثاني ، سنة ١٩٨٣، ص ٤٩

(٦) احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ)كتاب البلدان ، ليدن ، مطبعة بريل، سنة ١٨٦١ ، ص ٢٣٣ – ٢٥٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

ولا بد للباحث الجغرافي الذي يحاول فهم التأريخ فهماً عقلانياً ، كما ذكرنا، ان يكون ملمّاً بأحداث التاريخ إلماماً جيداً . لان عنايته في مثل هذه الحالة تنصب على على التاريخ لا الجغرافيا . أي أن الاحداث التاريخية تدرس في ضوء جوانبها الجغرافية . ولكن الى اي حد يجب ان يعنى الباحث الجغرافي بتعاقب التطور التاريخي ؟ هذا سؤال تختلف فيه اراء الجغرافيين وتتشعب به دروبهم . فبعضهم يصرّ على ابراز وجهة النظر الجغرافية . ويعتبر الحفاظ عليها أمراً أساسياً ، وان الاهتمام بعلاقات الظواهر مكانياً ، يجب ان ينال مكانه بارزة ، وأن تنحسر العلاقات الزمنية الى مكانه ثانوية مكملة فحسب . بينما يرى آخرون ان العناية بها لها أهمية بالغة .

ان الحديث عن هذه المشكلة قد يبدو يسيرا وواضحاً من الناحية النظرية ، ولكن الدراسة الجغرافية العلمية لتحقيق هذه الغاية أدّت الى نوع من الدراسات، يصعب تمييزها عن الدراسة التاريخية . لذا فان غاية هذا البحث تنحصر في محاولة ابراز ما كانت عليه جغرافية أرض السواد في العراق ، متلمساً صورها الاقليمية في ضوء الرواية التاريخية ، وتعاقبها الزمني وفقاً لمنهج جغرافي سليم ، محللاً ظروف البيئة وتباين أوجه النشاط الزراعي حتى مطلع القرن الثالث الهجري .

اصل تسميتة .

يقول صاحب المُلَمَّع (والخضرة عند العرب : السواد) . (٨) ويذكر البلاذري : (حدثني الأثرم عن ابي عبيدة عن أبي عمر بن العلاء قال : لما رأت العرب كثرة القرى والنخل والشجر ، قالوا : ما رأينا سواداً أكثر) (٩) . ويعزي (ابن الجوزي) هذه التسمية الى كثرة الزرع والشجر ، إذ يقول : (وانما سمي السواد سواداً ، لأن العرب لما جاءوا ونظروا الى مثل

(٨) ابو عبدالله الحسين بن علي النمري ، الملمع ، تحقيق وجيهة السطل ، دمشق ١٩٧٦ ، ص ١٠٢ .

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٣ .

الليل من النخيل والشجر والماء فسموه سواداً) (١٠) . والى مثل هذا الرأي يذهب (الماوردي) حيث يقول : (سمي سواداً لسواده بالزرع والاشجار . . وهم يجمعون (ويعني العرب) بين الخضرة والسواد في الأسامي فسموا خضرة العراق سواداً) (١١) .

ولا يكاد يختلف نص (ابن منظور) عما سلف لفظاً ومعنى . حيث يقول : (السواد جماعة النخل والشجر لخضرته واسوداده . وقيل إنما ذلك لان الخضرة تقارب السواد ، وسواد كل شيء كورة ما حول القرى والرساتيق ، والسواد ماحوالي الكوفة من القرى والرساتيق ، وسواد الكوفة والبصرة قراهما) (١٢) .

ويقول : (الثعالبي) في فصل النبات والشجر (المخلاف لليمن كالسواد للعراق)(١٣) والمخلاف صقع اصطلح أهل اليمن على تسميته بالمخلاف ، مضافاً الى اسم قبيلة أو زعيم مشهور او بلدة معروفة (١٤) .

هكذا يستقر معنى السواد بما يتفق ومعنى الريف في يومنا هذا . وان الزراعة وطرح البذرة في الأرض حرفة أهل السواد ، وبها كانوا يعيشون . وهي حرفة تتناقض تماماً وحرف أهل الامصار أو الحواضر . مقر السلطان ومركز الادارة

---

(١٠) ابو الفرج جمال الدين ابن الجوزي (ت٥٩٥هـ) سيرة عمر بن الخطاب ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٢٤ ، ص ٩٤ .

(١١) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت٤٥٠ هـ) الاحكام السلطانية ، المطبعة المحمودية التجارية ، مصر، ص ١٦٦ .

(١٢) ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري (ت٦٣٠هـ) ، لسان العرب ، الدار المصرية لتاليف والترجمة ، القاهرة، الجزء الرابع ، ص ٢٠٩ .

(١٣) ابو منصور ، اسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٣ .

(١٤) اسماعيل بن علي الاكوع ، مخاليف العرب عند الجغرافين المسلمين ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد (٣٢) ، مطابع الجمعية الملكية ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص ٧ – ١١ .

ومقام التجّار واهل الصناعة . ويستشف من قول (الماوردي) ان السواد لفظة تطلق على الأراضي الزراعية لسوادها بالزرع والاشجار ، وتظهر للناظر من بعيد مشوبة بالسواد ، وهي تختص بالقرى دون غيرها .

وينقل (الحموي) قول (الاصمعي) : (السواد سوادان ، سواد البصرة وسواد الكوفة)(١٥) . وقد ورد مثل هذا التمييز في قول (ابن منظور) . وأورد (أبو يوسف) مقدار الاموال التي كانت تجبى من سواد الكوفة حيث قال : (أدت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بن الخطاب (رض) بعام مائة الف الف درهم(١٦) . وذكر (الاصطخري) سواد البصرة وبطائحها(١٧) ولا يقوم هذا التمييز على اسس جغرافية وإنما هو تقسيم اداري مالي . فقد كان لكل من البصرة والكوفة والٍ يقيم في المصر، ويتولى ادارة شؤون الاقاليم التابعة له . ولكن هذا التقسيم الاداري لم يبق على وتيرة واحدة : بل تغير وفقاً لمتطلبات العمل الاداري ، لذا كان يتولى خراج البصرة والكوفة والٍ واحد أحياناً(١٨) .

حدوده .

قال (ابو يوسف) : حدثني (الحجاج بن أرطاة بن عوف) ان عمر بن الخطاب (رض) مسح السّواد ما دون جبل حُلوان(١٩) . ويذكر (المسعودي) تفاصيل حدوده العامة فيقول : (وقد حدّ كثير من السواد وهو العراق ، فقالوا

---

(١٥) شهاب الدين ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(١٦) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، (ت ١٨٢ هـ) ، كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ، الطبعة الثانية ، ص ٢٦ .

(١٧) ابو اسحق ، ابراهيم بن محمد الاصطخري المعروف بالكرخي ، (ت حوالي ٣٥٠ هـ) مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٧٩ .

(١٨) صالح احمد العلي ، خطط البصرة ومنطقتها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٩ .

(١٩) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ .

حدّه مما يلي المغرب وأعلى دجلة من ناحية آقور وهي الموصل ، القريتان المعروفة إحداهما (بالعَلْث) من الجانب الشرقي من دجلة والاخرى المعروفة بجزيرة (عبادان) وراء البصرة مما يلي البحر ، طول ذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخاً، والحد الشمالي من عقبة (حُلْوان)ء الى الموضع المعروف (بالعُذَيب)ء وراء القادسيةء من جهة الجنوب مسافة ما بين هذين الموضعين ، وهو عرض السواد ثمانون فرسخاً . يكون ذلك مكسراً عشرة الاف فرسخ(٢٠) . ولعل خير تحديد هو ما ذكره (ابن سلاّم) فهو يقول : (إن حد السواد الذي وقعت

---

(٢٠) أبو الحسن ، بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) التنبيه والاشراف ، اشراف لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥١ .

ـ العلث : العلث خلط البر بالشعير ، وهي قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء وهي اول العراق في شرق دجلة . معجم البلدان ١١٥/٤ .

ـ حربى : بليدة في اقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة ، تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل الى سائر البلاد . معجم البلدان ٢٣٧/٢ ــ ٢٣٨ .

ـ حلوان : الحلوان في اللغة الهبة ، وحلوان في عدة مواضع : حلوان العراق ، وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . وهي مدينة عامرة، واكثر ثمارها التين وهي بقرب الجبل . معجم البلدان ٢/ ٢٩٠ ــ ٢٩١.
العذيب : تصغير العذب وهو الماء الطيب ، وهو ماء بين القادسية والمغيثة ، وقيل هو واد بني تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة ، وقيل هو حد السواد ،وبين القادسية حائطان (بستانان) متصلان بينهما نخل وهي ستة اميال فاذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة . وهناك دليل على انه هناك عذيبين ، عذيب الهجانات وعذيب القوادس . معجم البلدان ٩٢/٤ .

ـ القادسية : القادس السفينة العظيمة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينهما وبين العذيب اربعة اميال ، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين بين سعد بن ابي وقاص والمسلمين والفرس في ايام عمر بن الخطاب (رض). معجم البلدان ٢٩١/٤ .

ـ عبادان : وموضعها تحت البصرة (اى جنوبها) قرب الملح فان دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى المحرزي .. وعبادان في هذه الجزيرة بين النهرين . معجم البلدان ٧٤/٤ .

عليه المساحة من لدن تخوم الموصل . ماداً مع الماء الى ساحل البحر ، ببلاد عبّادان ، من شرق دجلة هذا طوله . وأما عرضه فحدّه مُنْقَطَع الجبل من أرض حُلوان الى منتهى طرف القادسية المتصل بالعُذيب من أرض العرب . فهذا حدود السّواد وعليها وقع الخراج)(٢١) وتتطابق حدود السواد التي ذكرها ابن الجوزي نصاً ولفظاً مع ما اورده ابن سلاّم(٢٢) ويقول الحموي : ان حدّ السّواد من حديثه : الموصل طولاً الى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية الى حُلوان عرضاً فيكون طوله مائة وستين فرسخاً ، وعرضه ثمانين فرسخاً)(٢٣) . ولما كان الفرسخ يتألف من ثلاثة أميال (الميل يساوي ثلث الفرسخ) وكل ميل ١٠٠٠ باع ، كل باع اربعة اذرع شرعية (يبلغ طولها ٨٧٥و٤٩ سم) أي أن طول الفرسخ كان حوالي ستة كيلومترات(٢٣) . وبناء على هذا يكون طول السواد ، وفقاً لما أورده المسعودي ، (٧٥٠) كيلومتراً ، اما عرضه في اقصى جهاته إتساعاً فيبلغ (٤٨٠) كيلومتراً . ويزيد (الحموي) من امتداده نحو الشمال حتى يبلغ طوله (٩٦٠) كيلومتراً . ولكنه يُبقي عرضه على حاله دون اتساع . وفي الحالتين يأخذ السّواد شكل مستطيل يتسع في الشمال ويضيق تدريجياً نحو الجنوب ، وإن كان امتداده اكثر إستطالة عند الحموي . ولكنه في الحالتين ينحصر بين الجبال شرقاً والبادية غرباً ، أو حسب قول (الاصطخري) من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها غرباً . وحدود الطيب شرقاً(٢٥).وتتباعد المسافة بين هذين الحديّن في الشمال وتضيق في الجنوب ،مما يوضح

---

(٢١) ابو عبيد القاسم بن سلام ، (ت ٢٢٤هـ) كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٦ ، ص ٧٨ . وهي نفس الحدود التي ذكرها الماوردى ، ص ١٦٦ .
(٢٢) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ٩٤ .
(٢٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص ٢٧٢ .
(٢٤) فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٩٤ .
(٢٥) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٩ .

سبب اتساع السواد في الشمال وضيقه في الجنوب . (انظر صورة العراق للمقدسي)

ان هذا الاختلاف في حدوده تفرضه دلالة الاصطلاح . فالسواد تعبير عن الأرض الزراعية . ويشار به الى السّواد الذي فتحه المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من أرض العراق (٢٦) . وأبعاد هذه الارض تتغير من وقت لآخر . تبعاً لتغير متطلبات الزراعة السائدة في البلاد . والظروف التي تساعد على إتساع مساحة الأرض المزروعة في العراق تتمثل باجتماع أمرين هما :

أ ـ مصادر كافية من مياه الري

ب ـ وبدرجة أقل ، وجود تربة غرينية جيدة الصرف .

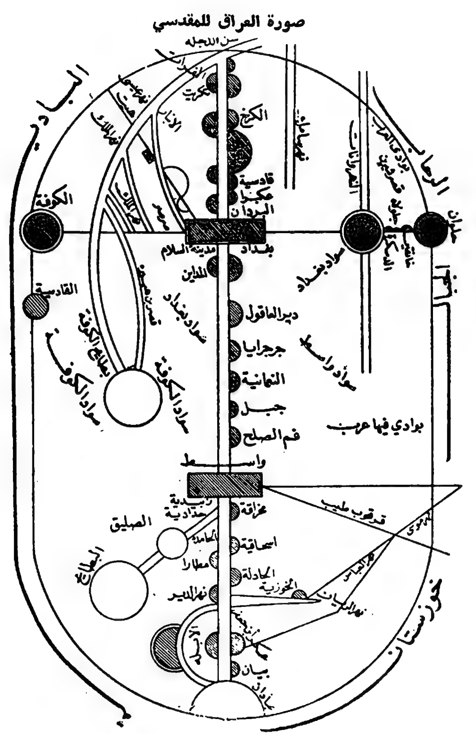
وتناقص هذه المساحة يدل بصورة جزئية عن تناقص تدريجي في مصادر مياه الري ، وتردي الطاقة الانتاجية للتربة . لذا فأن ما ذكره (أبو يوسف) و (ابن سلاّم) يشير الى ما استقرت عليه حدود السّواد ، ومساحة مزارعه التي تمّ مسحها أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . وبين (أبي يوسف) و(المسعودي) فاصل زمني يزيد على قرن ونصف، تغيرت خلاله أحوال السوّاد وتبدلت أوضاعه الزراعية . من شق الترع والجداول وكراء الانهار وإصلاح البريدات (مفاتح الانهار) والقناطر . او ما تحول من أرضه الى سباخ وآجام(٢٧)

ولما كانت هذه الحدود ترسم أبعاد الأرض الزراعية في العراق ، فانها لا تساير بالضرورة حدوده الادارية ولا تتطابق معها . ويمكن ان نستشف ذلك مما ذكره(الماوردي) . ولذلك فأن (المسعـودي) الذي ذكر حدود العراق بالصورة التي وردت آنفاً . يعود ليذكر حدود السواد على نحو آخر إذ يقول : (وهي من السّواد البقعة التي حدّها الزاب فوق سرّ من رأى مما يلي السنّ وتكريت . وناحية حُلوان مما يلي الجبل . وهي مما يلي الفرات والشام . وواسط

---

(٢٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٦ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .



المصدر : العراق في الخوارط القديمة ، تحقيق ، احمد سوسة ، المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ص ٢٣ .

من أسفل دجلة والكوفة . من سقي الفرات الى بهندف وباداريا وباكسايا)(٢٨) ومعنى هذا انه رسم حنوداً شمالية ، تتفق مع ما اورده (ابن سلاّم) . وهي مساحة ميزتها الاساسية انها أرض مستوية . خلت من جبال تعلو وأودية — تنخفض(٢٩) . ولكن ظروفها الزراعية العامة تختلف من السقي سيحاً وفي الدوالي كما هي الحال في جزأيه الجنوبي والأوسط ، الى الاعتماد على سقي السماء في اطرافه الشمالية .

ومتطلبات العمل الاداري المالي لها دورها في اختلاف حدود السواد . فقد (كانت الموصل ثماني عشرة كورة يُجبى خراجها مع خراج المغرب ، وخزل منها المعتصم، كورة تكريت)(٣٠) .

المساحة :

إن معرفة الأحوال وتحديد المساحات ، ليست مجرد حقيقة جغرافية تذكر عرضاً . وانما هي هنا ضرورة علمية لابد من معرفتها لصلتها بالاوضاع — الاقتصادية العامة للدولة في تلك العهود . إذ يقول الماوردي : (والخراج حق معلوم على مساحة معلومة فاعتبر في العلم بها ثلاثة مقادير تنفي الجهالة عنها . أحدها مقدار الجريب بالذراع الممسوح بها، والثاني مقدار الدرهم المأخوذ به ،

---

(٢٨) المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٤٩ .
(٢٩) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٦ .
(٣٠) ابو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي (ت ٤٨٧) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، حققه مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ج ٣ ، ١٩٥١ ، ص ١٢٧٨ .
— السن ، كبيرة على دجلة عليها من الشرق نهر الزاب الجامع في الاسواق بناؤهم حجارة والجبال منها قريبة على تخوم آقور . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٣ .
— المعتصم ؛ ابو اسحق بن هارون الرشيد ثامن خلفاء الدولة العباسية امتدت خلافته من ٢١٨ — ٢٢٧هـ . وتوفي بسر من رأى سنة ٢٢٧هـ وله ست واربعون سنة وعشرة اشهر .

والثالث مقدار الكيل المستوفى به) (٣١) . ولذلك فأن عملية مسح أرض السّواد كانت من الأعمال الادارية المالية الاساسية التي نهض بها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . عندما عزم على وضع الخراج في العراق لتقدير الوظائف الخراجية على وحدات المساحة بالدقة ، وبما تتحمله الأرض(٣٢) . قال ابو يوسف : حدثني سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي مجلز قال : بعث عمر بن الخطاب (رض) عمار بن ياسر على الصلاة والحرب ، وبعث عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال ، وبعث عثمان بن حنيف على مساحة الأرضين(٣٣) وفي رواية أخرى إن عثمان كان عاملاً على شط الفرات . وحذيفة على ما وراء دجلة من جوخى وما سقت (٣٤) . وكان عثمان عالماً بالخراج فمسحها مساحة الديباج ، وأما حذيفة فكان أهل جوخى قوماً مناكير فلعبوا في مساحته (٣٥) ومعنى هذا انه وقع شيء من الاختلاف بين مساحتيهما . وان كلاً منهما قد إختصّ بمسح جهة من السوّاد . وكان من نصيب عثمان بن حنيف مسح المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات . التي تسقي أراضيها مجموعة الانهار المتفرعة من الفرات . أما حذيفة بن اليمان فنهض بمسح الأراضي التي تستقي من نهر تامرّا والنهروانات . ويبدو ان عملية المسح هذه لم تشمل — على الأرجح — المنطقة الممتدة بين واسط والبصرة لا نخراق دجلة وخروجها عن عمود مائها ، وكان مجراها في جوخى وتغريقها نواحي الثرثور من بلاد كسكر وغيرها حتى صارت بطائح . (٣٦) . وان صحّ هذا فأن ما تمّ مسحه من الأراضي كان يقتصر على

(٣١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٧ .
(٣٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٧ — ٣٨ .
(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .
(٣٦) المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٥٢ — ٥٣ .

الجزء الاوسط من سواد العراق . ولم يشمل المنطقة المعروفة بفرات البصرة أو كور دجلة . ولا المنطقة الواقعة بين سامراء والسن .

وتتفق الروايات ، على اختلاف تواريخها . على سعة مساحة السواد وإن اختلفت في ذكر من نهض بعملية المسح . قال ابو يوسف : (حدثني السري بن اسماعيل عن عامر الشعبي ان عمر بن الخطاب (رض) مسح السوّاد فبلغ ستة وثلاثين الف الف جريب) .(٣٧) وقال ابن سلاّم : (حدّثنا اسماعيل بن مجالد بن سعيد عن ابيه مجالد بن سعيد الشعبي ان عمر (رض) بعث عثمان بن حنيف فمسح السّواد . فوجده ستة وثلاثين الف الف جريب) (٣٨) . وحكى عمر بن ميمون ان عمر (رض) حين استخلص أرض السـواد بعث حذيفة على ما وراء دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على ما دون دجلة . قال الشعبي فمسـح عثمان بن حنيف السواد فوجده سته وثلاثين الف ألف جريب) (٣٩) . ويذكر البلاذري هذه المساحة أيضاً . (٤٠)

وقد شمل الخراج كل جريب عامر أو غامر يبلغه الماء (٤١) . وروى عن الحسن بن صالح انه قال : أرض الخراج ما وقعت عليه المساحة (٤٢) . وقيل هي كل أرض بلغها ماء الخراج (٤٣) . وينقل صالح العلي ما ذكره ابـي ليلى

---

(٣٧) ابو يوسف الخراج ، ص ٣٦ .
(٣٨) ابن سلام ، الاموال ، ص ٧٥ .
(٣٩) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٨ .
(٤٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧ .
(٤١) قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٦٧ .
(٤٢) ابن سلام ، الاموال ، ص ٧٨ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

عن الحكم ان عثمان بن حنيف لم يمسح تلاً ولا أجمة ولا سبخة ولا مستنقع ماء ولا مايصل اليه الماء(٤٤) . وللخراج تعريف محدد منصوص عليه . وهو ما وضع على رقاب الأرض يكون أجرة لها تُؤدّى في كل عام . (٤٥) وهو اصطلاح عربي ورد في القرآن الكريم : (أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين) (٤٦) وإن معنى الخراج في كلام العرب : انما هو الكراء والغلة . ومنه حديث النبي (ص) «أنه قضى أن الخراج بالضمان»(٤٧) . ويعتبر الفقهاء السّواد أصلاً يقيسون عليه نظائره (٤٨) . ولذلك اهتم الباحثون في معرفة مقاييس الخراج .

وينقل الماوردي قول موسى بن طلحة بانه رأى ذراع عمر بن الخطاب (رض) التي مسح بها أرض السواد ، وهي ذراع وقبضة وابهام قائمة (٤٩) . ومع كل هذا الأفصاح بقيت هنـــاك حاجة ملحة لمعـــرفة مقاييس الطول التي استخدمت بالنسبة للمقاييس الحالية . وتناول ذلك عدد من الباحثين ؛ فقد عقد الريّس دراسة مفصلة عن هذا الوضوح ، اشار فيه الى مختلف الاراء التي وردت في كتـــب التراث وما حققه الباحثون المعاصرون وحاول أن يكشف بعض الابهام الذي بقي يحيط بها . وخلص من ذلك الى ان طول الذراع الهاشمي . الذي قال عنه الماوردي انه هو ذراع المساحة ، يساوي ٦ ر٦١ سنتيمتراً . وجعل مساحـــة الجريب . وهو الوحدة المساحية المعتمدة لقياس الاراضي الزراعية الذي تحدد

(٤٤) صالح احمد العلي ، دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٩م ؛ ص ١٧٧ .
(٤٥) الماوردي الاحكام السلطانية ، ص ١٦٨ .
(٤٦) المؤمنون ، الاية : ٧٢ .
(٤٧) ابن سلام ، الاموال ، ص ٧٩ .
(٤٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٦ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

بموجبه وظائف الخراج . تساوي ٠٤١٦ ر١٣٦٦ متراً مربعاً(٥٠) . ويذهب (هنتس Hinz) الى ان الذراع العمرية تساوي ، وفق الحسابات الحديثة ٨١٥ و٧٢ سنتيمتراً(٥١) . وأن الجريب باعتباره مقياساً للأرض ، كان يساوي شرعاً في اوائل العصور الوسطى ١٠٠ قصبة مربعة ، وبذلك يكون الجريب على وجه الدقة ١٥٩٢ متراً مربعاً(٥٢) . ولما كانت مساحة أرض السواد التي اتفقت عليها الروايات تساوي ٣٦ مليون جريب فان ذلك يعني ، حسب ما خلص اليه الريّس ، انها تبلغ في حساباتنا الحالية (٤٩ر٤٩١٧٧) كيلومتراً مربعاً ، أو (١٩٦٧٠٩٩٦) مشارة . وتبلغ هذه المساحة ، وفق قياس (هنتس) (٥٧٣١٢) كيلومتراً مربعاً او (٢٢٩٢٤٨٠٠) مشارة . بينما هي وفق حساب آخر تساوي (٥٤٠٥٩) كيلومتراً مربعاً او (١٨) مليون مشارة (٥٣) . وهكذا يبدو الاختلاف واضحاً في سعة مساحة أرض السواد ، نتيجة لاختلاف وحدة القياس . ويبدو ان مقاييس (فالتر هنتس) بعيدة نسبياً ، وما ذكره الآخران أقرب الى جغرافية الواقع الزراعي آنذاك .

وتذكر مصادر القرن الرابع الهجري مساحة الأرض الصالحة للزراعة في العراق . فقد أورد المسعودي : (ان طول العراق مائة وخمسة وعشرون فرسخاً . وعرضه ثمانون فرسخاً يكون مكسراً عشرة الآف فرسخ وتبلغ مساحة الفرسخ (٢٢٥٠٠) جريب . فاذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ بلغ مائتي الف الف وخمسة وعشرين الف الف جريب. أسقط أرباب الخراج لمواضع

---

(٥٠) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ ، ص ٢٨١ — ٢٩٠٩ .

(٥١) فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٨٩ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

(٥٣) صالح احمد العلي ، دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى ، ص ١٧٨ .

الجبال والاكام والتلول والآجام والسباخ ومدارس الطرق والمحاج ومجاري الأنهار ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع التي لا يتأتى فيها الحرث على التخمين والتقريب الثلث ، وهو خمسة وسبعون الف الف جريب فيبقى مائة الف الف وخمسون الف الف جريب ، يراح النصف من ذلك ويكون النصف معموراً في الجميع من النخيل والكروم وسائر الاشجار ، وما يعمر دائماً من الأرضين)(٥٤) والى مثل هذا يشير الماوردي نقلاً عن قُدامة ويضيف الى ما استقطه أرباب الخراج ،مواضع الأرحاء والبريدات والقناطر والشادورانات والبنادر ومسارح القصب وأتاتين الآجرّ(٥٥) . وقدامة بن جعفر (ت ٣٢٩ هـ) من الجغرافيين الذين مارسوا الحياة العملية . فقد تقلد عدداً من مناصب الدولة قادته الى ديوان الخراج . والعمل في هذا الديوان يفرض على صاحبه معرفة الأرض المملوكة والشرع المطبق عليها ومن يقطنها من الناس وإتقان ما ينبغي ان يعرفه جميع الكتاب لصياغة القرارات الادارية(٥٦) . ولذلك فان مايذكره قدامة بن جعفر له سمة خاصة : لأنه ينقل عن الوثائق الرسمية للدولة التي عمل في دواوينها ، ووضع قائمة مفصلة تبين خراج السواد ابتداء من سنة (٢٠٤ هـ) وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحضرة(٥٧) . اي ان قائمة قُدامة تبين خراج الدولة العباسية في اوج عصر ازدهارها في عصر المأمون وعهد المعتصم . وقائمة تمثل الحالة المالية للدولة خلال الربع الاول من القرن الثالث الهجري ، لذا يمكن اتخاذها سنة اساس تستشف منها جغرافية العراق الزراعية التي كانت سائدة آنذاك ، ومعرفة كثير من العوامل التي توضح ظواهرها . ومثل هذه

---

(٥٤) المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٥١ ــ ٥٢ .
(٥٥) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٧ .
(٥٦) اندرية ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ص ١٨٩ .
(٥٧) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٦٢ .

الصورة لا تكتمل ما لم تتضح تفاصيل الفعاليات الزراعية السائدة . وهذا أمر تقضي ضروراته العلمية دراسة ظروف البيئة العامة ، التي لها علاقة مباشرة باحوال العراق في تلك العهود . فمن خلال مكوناتها يمكن ان نتبين العوامل التي توضح نوع المحاصيل التي كانت تزرع ، وتحدد المتغيرات التي ترتبط واماكن زراعتها ، وتوضح تباينها من مكان لآخر . ومما يعين على ذلك ... أن أرض السواد لم تكن باجمعها مزروعة في آن واحد في اي وقت كان . فمن المتعذر أن تستوعب زرع جميع أراضيها ، فقد يتعطل منها بالعوارض والحوادث مالا ينحصر . وان ما كان يزرع منه على عهد عمر (رض) من اثنين وثلاثين الف الف جريب الى ستة وثلاثين الف جريب(٥٨) .

المعطيات الزراعية

اولا : متغيرات البيئة :

تشمل معطيات البيئة عناصر مختلفة ، كأشكال سطح الأرض ، وموارد المياه . والثروة النباتية والمعدنية ، ونوعية التربة . وتختلف نوعية هذه المعطيات و درجتها من مكان لآخر في أرض السواد وما يصاحب ذلك من اختلاف ظواهر النشاط الزراعي . ومراكز استقرار السكان ، ومسالك انتقالهم وتجارتهم وطراز معيشتهم ، وتكشف مناقشة تفاصيل هذه المعطيات وعرض اولياتها حقائق توضح حركة الحياة العامة وسجل تاريخها في هذه المنطقة . وتعدّ دراسة الأرض مدخلاً تقتضيه ضرورات البحث .

ظواهر السطح :

تشغل أرض السّواد منطقة حوضية واسعة يمتد محورها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وارتبط تكوّن هذا الحوض بحركة للقشرة الأرضية أدت الى ارتفاع حائط جبلي التوائي من ناحيتي الشمال والشرق ، والى هبوط جزء من

---

(٥٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٧ .

كتلة شبه جزيرة العرب التي قاومت صخورها القديمة الصلبة هذه الحركة . وتفصل مثل هذه الاحواض في كثير من مناطق العالم بين السلاسل الجبلية الالتوائية الحديثة وكتل اليابس الصلبة القديمة . ومنها حوض نهر (ايبرو) الذي يفصل بين السلاسل البرانس (البورتات) الالتوائية والهضبة الاسبانية القديمة . وقد ادى هبوط هذا الجزء من سطح العراق الى طغيان مياه الخليج العربي على اجزاء منه .

ولم تبق صورة الحوض على حالها ، فقد تغيرت نتيجة الرواسب الكثيرة التي نقلتها دجلة والفرات والانهار المنحدرة على سفوح الجبال المجاورة ؛ والاودية الجارية نحو وادي الفرات من مرتفعات جزيرة العرب وهضبتها . وتسارع زخم عملية الارساب مع تقدم الرياح الغربية المطيرة الى الجنوب من نطاق هبوبها الفصلي المألوف مصاحباً زحف الضغوط الجوية العالية التي تركزت فوق اوربا اثناء العصور الجليدية . ونعم العراق وجزيرة العرب آنذاك بظروف مناخية رطبة وامطار وفيرة . وسالت أرضهما بمياه كثير من الانهار والاودية ، ولا سيما في الفصل الدافىء من السنة ، حيث تحمل مياه الثلوج المنصهرة مقادير عظيمة من صخور هذه المرتفعات والهضاب وتربهما حولت بها الخليج الضحل القديم الى سهل مستو . وهي صفة عامة لكل الأراضي التي تنشأ عن عملية الارساب في بحيرات او مساحات مائية واسعة ، حيث تعمل المياه على تنظيم هذه العملية ونشر المواد وارسابها بصورة منتظمة . ويذكر الماوردي : (ان العراق سمي عراقاً لاستواء أرضه حين خلت من جبال تعلو واودية تنخفض . والعراق في لغة العرب هو الاستواء) (٥٩) . ولا يعني هذا ان عملية الردم سارت على نسق

(٥٩) المصدر نفسة ، ص ١٦٨ .

– يقول ابن سيده الاندلسي في المخصص : زعموا ان العراق انما سميت عراقا لانها استكفت ارض العرب ، وقيل سميت بذلك لتواشج عروق الشجر والنخل فيها كأنه اراد عرقا ثم جمع عراقا . السفر العاشر ، باب ما في الاسقية والقرب وغيرها . ٧٠

واحد في كل جهات هذا الخليج الضحل . فقد بقيت بعض جهاته الجنوبية مغمورة بالماء . وتزيد مساحة هذه المناطق في يومنا هذا على ٣٥ الف كيلو متر مربع او ١٤ مليون شارة . وهي مساحة من السواد لم تشملها عملية المسح التي قام بها عثمان بن حنيف الانصاري زمن الخليفة عمربن الخطاب (رض) .
ويذهب الباحثون في علم الأرض والآثار مذاهب شتى لتفسير نشأة ظواهر سطح أرض السّواد ، وتحديد امتداد ساحل الخليج العربي . ويذكر (دي مورجان) الباحث في علم الأرض ، ان ساحل الخليج العربي كان يمتد في عصور ماقبل التاريخ مسافة بعيدة الى الشمال من حده الحالي ، وان معظم القسم الجنوبي والاوسط من العراق كان مغموراً بمياه الخليج (٦٠) . بينما ينفي (ليس) و (فالكون) وجود ما يدل على أن رأس الخليج الغربي كان شمال غرب حده الحالي منذ اوائل عصر البلايستوسين (٦١) .

ان الخوض في تفاصيل هذا الموضوع يحيد بالبحث بعيداً عن اغراضه . ولكن مما لا جدال فيه ان معالم سطح أرض السواد هي نتيجة مجموعة من العمليات الأساسية من ابرزها :

١ - حركة القشرة الأرضية .
٢ - تباين درجة إنحدار أرض السّواد .
٣ - الأرساب النهري .

ويترك كل من هذه العوامل اثره في معالم سطح الأرض ، وما يتصل بذلك من نشاط بشري . ويمكن ان نتبين ذلك من دراسة كل منهما على إنفراد بشيء من التفصيل .

---

(٦٠) طه باقر ، جغرافية العراق التاريخية ، وازرة الاعلام - مجلة الاقلام ، العدد ١١ ، ١٩٧٠ ، ص ٤ .
(٦١) ج . م . ليس و ن . ل . فالكون ، التاريخ الجغرافي لسهول مابين النهرين ، ترجمة صالح احمد العلي ، مجلة الجمعية الجغرافية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٩ .

١ ــ حركة القشرة الارضية :

تأخذ أشكال سطح الأرض سمات معالمها بفعل عمليات معقدة متباينة ، منها ما ينشأ في باطن القشرة الأرضية ، والاخرى ترتبط بقوى خارجية . وينزع النوع الاول من العمليات عموماً الى بناء سطح الارض أو الحفاظ على مستوى ما انخفض منه ، أما العمليات الخارجية ، مثل المياه الجارية وظروف المناخ وغيرهما ، فتعمل على تسوية ما إرتفع منه .

ان مناقشة حركة القشرة الأرضية ومحاولة بيان علاقاتها بظواهر سطح الأرض في منطقة السّواد أمر فرضته الحقائق العلمية ، التي دلت على ان مثل هذه الحركات أصابت جهات المنطقة . وهي عملية تصيب كثيراً من مساحات القشرة الأرضية بصورة متناوبة ومختلفة . فقد تعرضت بعض جهات أرض السّواد الى حركات رفع رأسي ، بينما تعرضت جهات اخرى الى انخفاض مستمر . وقد تركت كل من هذه الحركات المتباينة آثاراً تضاريسية وحضارية في أرض السواد . ويمكن ان نتبين ذلك بدراسة آثار كل منهما على انفراد .

أ ــ حركات الرفع الرأسي

ينقل (آدمز) عن (ميتشل ر . سي) قوله بأن حركات القشرة الأرضية الرأسية تعد (العامل الرئيسي الذي يتحكم في تطور أشكال السطح في القطر)(٦٢) وان عمق مجرى نهر ديالى في الجزء الاعلى من سهله ، جاء نتيجة لارتفاع بطيء مستمر بجبل حمرين والسهل نفسه(٦٣) . وتعرضت أرض السّواد في منطقتي الفلوجة والزبير لحركة ارتفاع رأسي أدت الى رفع مستوى سطح الأرض فيها .

---

(٦٢) روبرت ماك اوامز ، اطراف بغداد ، ترجمة صالح احمد العلي وعلى محمد المياح وعامر سليمان ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٥٠ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

وصاحبت هذه الحركات تغيرات تضاريسية وحضارية شملت نواحي السّواد . وبرزت تغيرات معالم السطح على النحو الآتي :ـ

أ ـ ادى ارتفاع مستوى الأرض في هذه المناطق الى انحدار الماء عن الأراضي المرتفعة الى الواطئة منها ، وتحوّل مجاري الانهار أو تعميقها . فمن المعلوم ان طاقة أي نهر على نحت مجراه تختلف تبعاً لعوامل مختلفة، منها انحدار السطح . وكان هذا العامل سبباً رئيساً في وضع حد لنظام الاستقرار الذي مر به نهر ديالى وفروعه ، وساعد على تجدد عنفوان هذه الانهار والعدل على تعميق الاجزاء العليا من مجاريها سريعاً(٦٤) . ويذكر (آدمز) دلائل تشير الى أن واحداً أو اكثر من فروع ديالى كانت تجري في زمن ما شمالي موقعها الحالي من النهر بين جلولاء والسعدية(٦٥) .

وأدى نشاط حركة الرفع الرأسي وارتفاع مستوى السطح الى تحول مجرى الفرات من وقت لاخر . متنقلاً بين شط الهندية الحالي (الكوفة) وشط الحلة (شط بابل) والكار والنيل (كوثى) .

واثبتت البحوث في منطقة البصرة أن ارتفاع سطح المنطقة الواقعة الى الغرب من الزبير له علاقة بضغط تركيب نفطي ، يمتد تحتها ويؤدي الى رفعها(٦٦). ولعل جفاف نهايات بعض الانهار التي كانت تنقل الماء من شط العرب لري البصرة القديمة كان مصاحباً لهذا الارتفاع . ومن اشهرها النهر الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) أبا موسى الاشعري بحفره ، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المُزَني ، الصحابي المشهور . فنسب اليه(٦٧) . ويرجح أحد

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
(٦٥) المصدر نفسه ، ٢٤٨ .
(٦٦) ليس وفالكون ، ص ٢١١ .
(٦٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ .

الباحثين بان فوهته تقع عند المعقل الحالية(٦٨) . ونهر الأبلّة وطوله أربعة فراسخ* ، ثم اذه إنطمّ منه ما بين البصرة وبثق الحيري وذلك على قدر فرسخ من البصرة ... ثم أقرّ زياد بن أبي سفيان ، وكان والياً على الديوان وبيت المال ، حفر النهر من حيث إنطم حتى بلغ البصرة(٦٩) . ويبقى السؤال ، هل ان ذنائب هذه الانهار إنطمت بفعل الرواسب التي تراكمت فيها ، أو ان الأرض ارتفعت تحتها ، بحيث لم يعد بأمكان المياه الجريان فيها ، او بفعل الاثنين معاً . ولكن وقوع هذه الانهار الى الشرق من الزبير قد يرجح فكرة الارتفاع الذي اصاب ذنائبها .

ويمكن ان يقال ، بناء على ما تقدم ، ان أرض السّواد تعرّضت لحركة رفع اقليمي أدت الى تجدد عنفوان بعض الانهار لتعميق اوديتها ، وعملت الى تحول نهر دجلة وروافده نحو الغرب ، بينما حملت الفرات وفروعه الى الانتقال شرقاً . وقد تركت هذه العمليات آثارها في الحياة البشرية عامة .

ب ـ تغيرات الحياة العامة .

إن حركات الرفع الرأسي التي تعرضت لها مناطق السّواد المختلفة تركت أدلّة نوهت عنها المراجع الجغرافية والتاريخية العربية والدراسات الحديثة . فقد ذكر البلاذري أن نهر الأبلّة فقد من طوله على قدر فرسخ من البصرة (٦٩) . وان انقطاع جريان الماء في هذا الجزء من النهر ترك ، دون شك ، آثاراً في النشاط الاقتصادي عموماً . لأن الأبلّة كان من اهم انهار البصرة ، وتأخذ منه عدة أنهار تسقي مناطق واسعة من سوادها . ولعل الأضرار التي تركها انحسار

(٦٨) محمد طارق الكاتب ، شط العرب وشط البصرة والتاريخ ، مطبعة مصلحة الموانىء العراقية ، البصرة ، ١٩٧١ ، ص ٣٥ .

(٦٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٧ .

* الفرسخ يساوي ٦ كيلو مترات تقريبا ـ هنتس .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

الماء عن جزء منه كانت من الخطورة بحيث أنها حظيت بعناية زياد بن ابي سفيان ، وكان والياً على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الله كان يومئذ والياً على البصرة من قبل عثمان بن عفان (رض) فأشار على ابن عامر ان ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث إنطمّ حتى يبلغ به البصرة (٧٠)

ووضعت عملية الرفع الرأسي نهاية لنظام الاستقرار الذي مرّ به نهر ديالى . فقد عمل النهر على تعميق مجاريه العليا . وادت هذه الظاهرة الى تغير ظروف الاستفادة من مياه الانهار لسقي المزارع . واقتضى ذلك انشاء وسائل تعمل على رفع منسوب مياه بعض هذه الانهار والاعتماد على طرق لرفع مياه الري في الاخرى ،أو اتخاذ الحيطة للحيلولة دون حدوث انتقال مفاجىء مدمر في مجاري الانهار (٧١) . ويستنتج آدمز من مقارنة انماط الاستيطان التي شهدتها سهول ديالى في فترات مختلفة ، ان تقلصاً كبيراً حدث في سعة الاستيطان وكثافته . وان حسابات موارد الضرائب في العصر العباسي الاول تنزع للدلالة على أن مساحة الأرض المزروعة تتراوح بين (خمسة الى ستة الاف كيلو متر مربع . بينما تقدر مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في هذه السهول بحوالي ٨١٠٠ كيلو متر مربع . وترجع بعض حقيقة هذا الامر الى عدم كفاية مياه نهر ديالى الى ري الأراضي الزراعية والحاجة الى سد نواقصها من مصادر جديدة للماء (٧١) وينقل (آدمز) عن (هرزفيلد) ان الخليفة هارون الرشيد حفر قاطول (أبو الجند) الذي يجري عبر النهاية العليا من سهل ديالى الرسوبي حاملاً اليها مياه دجلة من المنطقة الواقعة قريباً من سامراء . وان المأمون حفر القاطول المأموني . وان المعتصم جعل مكان مدينته (سرّ من رأى) قرب القاطول . غير أن الجزء الاكبر من القاطول كان من عمل المتوكل . وكانت تتفرع من القاطول أنهر تتصل بنهر العظيم وبسد أنشأه عند جبل حمرين (٧٢) .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .
(٧١) روبروت ماك آدمز ، اطراف بغداد ،ص ٥٠ ــ ٥١ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .

وعلى كل حال . . . هناك عدة عوامل ترابطت حملت الناس على النزوح ، ولا سيما سكان القسم الشمالي من المنطقة . والقاطنين على طول فروع نهر ديالى المتفرعة من فج حمرين . ويذكر (آدمز) جملة من المتغيرات من بينها تغيرات مجاري الانهار . وهي تغيرات صاحبت حركة الرفع الرأسي التي تعرضت لها المنطقة وتغير نمط الأرساب وحدوث فيضانات مدمرة (٧٣).

وأدى تحوّل مجرى الفرات تدريجياً من الغرب الى الشرق الى إنحسار موارد الماء عن شريط من الأرض الزراعية يحاذي أطرافه الغربية . وهكذا خسرت منطقة السّواد نطاقين ضيقين من الأرض الزراعية ، احداهما يحاذي الجهات الشرقية من سهول ديالى ، والآخر يمتد على الجهة الغربية من سهول الفرات . وهو نقص دفع الناس الى استصلاح أرض جديدة وترفير حاجتها من الماء مما سيرد ذكره .

٢ ـ تباين درجة انحدار ارض السواد .

يمتد مجرى كل من نهر دجلة والفرات مع الانحدار العام لسطح العراق نحو الخليج العربي . وهو انحدار بطيء جداً لا يزيد على ١ ــ ١٧٠٠٠ . ويصاحب هذا الانحدار سطح مستو يخلو من معالم تضاريسية واضحة خلت ، على حد قول الماوردي آنفاً . من جبال تعلو واودية تنخفض . ويقطع دجلة والفرات هذه الأرض السهلة الواسعة ، يتباعدان تارة ، ويقتربان تارة اخرى ، الى حــد أن المسافة الفاصلة بينهما تبلغ الى جنوب الفلوجة بقليل حولي (٢٠) ميلاً في منطقة بغداد . ولكن يلاحظ ان مستوى وادي الفرات المحصور بين الفلوجة والديوانية يعلو عن مستوى القسم المقابل من وادي دجلة الممتد بين بغداد والكوت . فبينما يبلغ الارتفاع عند الفلوجة (٤٠) متراً فوق مستوى سطح البحر ، ينخفض عند بغداد الى حوالي (٣٤) متراً . ويصل هذا الارتفاع عند الديوانية الى (١٩)

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

متراً . في حين يقلّ الى (١٧) متراً عند الكوت . ويحدث عكس ذلك فيما تبقىّ من أرض السواد حيث يعلو مستوى وادي دجلة عن مستوى القسم المقابل له من وادي الفرات (٧٤) .

يتحكم الانحدار الجانبي لسطح أرض السواد في الحالتين بشبكة الانهار المتفرعة عن دجلة والفرات . إذ تنصرف مياه الفرات في المنطقة المحصورة بين الفلوجة والديوانية نحو وادي دجلة ، وتتغير أوضاع التصريف الى الجنوب من ذلك . وهذه ظاهرة معروفة ورد ذكرها في كتب التراث . فقد ذكر اليعقوبي : (ما كان من جانب دجلة الشرقي فشربه من دجلة ، وما كان من جانب دجلة الغربي فشربه من الفرات ، يأتي مياهه من نهر يقال له الملك ، يأخذ من الفرات)(٧٥) ويذكر المقدسي.وهويتحدثعن بغداد:(وأنهار والفرات تقلب في دجلة في جنوبها وما حاذى المدينة وشماليّها دجلة حسب) (٧٦) .

تنحدر من الفرات عدة انهار تسقي الأرض الخصبة المحصورة بين دجلة والفرات اهمها :

أ - نهر عيسى . ويجري في واد كبير يربط بين الفرات ودجلة حتى ينتهي الى دجلة جنوب بغداد بقليل.وكان عرضهيبلغ(٢٥٠)قدمأوعمقه(٢٥) قدماً . وقد عرفهذاباسماءمختلفة،إذ سمي بالعصور القديمة باسم (حداقل) و (أدقل) و (دجلة) . وهو نهر عيسى في العصور العباسية ، ثم أصبح يعرف بشط الكرمة . ونهر الصقلاوية حالياً . وكان سريع الجريان ، كثير الماء لو ترك

(٧٤) ابراهيم شريف . الموقع الجغرافي للعراق ، مطبعة شفيق ، بغداد ، الجزء الاول ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣ .

(٧٥) اليعقوبي . كتاب البلدان ، ص ٣٢١ .

(٧٦) شمس الدين او عبدالله بن احمد بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت.٣٩٠هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ م ، ص ١٢٠ .

وطبيعته لكان بأمكانه أن يزود دجلة باكثر من من نصف مياه الفرات . (٧٧) ويذكر اليعقوبي : (ولهم نهر عيسى الأعظم يأخذ من معظم الفرات ، تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقّة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر تصير الى فرضة عليها الاسواق وحوانيت التجار لا تنقطع في وقت من من الاوقات فالماء لا ينقطع) (٧٨) . وجاء في كتاب مسالك الممالك في الحديث عن بغداد : (وأما الجانب الغربي فانه قد شُقّ اليه من الفرات نهر عيسى لجنب قنطرة (دِميمّا) . وتتحلب من هذا النهر صبابات تتجمع فتصير نهراً يسمى الصَّراة ويتفجَّر منها أنهار وبها عمارات الجانب الغربي ، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة في دجلة . وينتهي نهر عيسى الى دجلة في جوف مدينة بغداد . وأمّا نهر عيسى فان السفن تجري فيه من الفرات الى أن يقع في دجلة ، وأما الصراة فان فيها حواجز تمنع من جري السفن فتنتهي السفن منها الى قنطرة الصراة ثم يحوّل ما فيها ويجاوز به ذلك الحاجز الى سفن غيرها) (٧٩).

ب — نهر صرصر ، وهو من الانهار التي ذكرته كتب التراث وأكدت عليه . إذ يذكر إبن حوقل : (وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه انهار من الفرات ، فاولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه . ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار . صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ) (٨٠) . ونهر صرصر هو جدول ابو غريب حالياً .

---

(٧٧) وليم ولكوكس، من جنة عدن الى عبور نهر الاردن، تعريب محمد الهاشمي مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ١٣ .

(٧٨) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٢٥٠ .

(٧٩) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٨٤ — ٨٥ .

(٨٠) ابو القاسم بن حوقل ، (عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، كتاب صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ٢١٧ .

جـ – نهر الملك . وهو نهر كبير أيضاً اضعاف نهر صرصر في غزارة مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه (٨١) . وكان قديماً يعرف باسم نهر ملكا ، وهو عند العرب نهر الملك . وينحدر من قرب الفلوجة حتى يتصل بدجلة الى الجنوب من المدائن . ويتبع امتداده في الوقت الحاضر القسم الاعلى من قناة الرضوانية ، والقسمان الاوسط والادنى من جدول اليوسفية (٨٢) . ويذكر ابن حوقل : (ونهر الملك مدينة اكبر من صرصر عامرة باهلها ، وهي أكثر نخلاً وزرعاً وثمراً وشجراً منها ثم ينتهي قصر ابن هبيرة . . . وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء ، وليس للفرات شعبة اكبر منه وينتهي الى سائر سواد الكوفة) (٨٣) .

د– « نهر كوثى ، يتبع الجزء الأوسط من جدول المسيب مجرى هذا النهر القديم ، وتعرف بقايا المجرى القديم بأسم (حبل ابراهيم) (٨٤) .

وساعدت قلة انحدار السطح العام وانبساط الأرض وخصوبتها على امتداد هذه الأنهار بصورة موازية بعضها لبعض ، تفصل بينها مسافات متقاربة . فالمسافة من بغداد الى جسر نهر صرصر (١٠) أميال ، ومن جسر صرصر الى نهر الملك (٧) أميال . ومن نهر الملك الى كوثى (٤) أميال . (٨٥) (صورة العراق للمقدسي) .

---

(٨١) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
(٨٢) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ج ١ ص ٤٦ – ٤٧ .
(٨٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٨ .
(٨٤) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٤م ، ص ٤٨ .
(٨٥) ابو علي احمد بن عمر بن رسته ، (ت ٣١٠ هـ) ، كتاب الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧م ، ص ١٨٢ .
* الميل = ٤٠٠ ذراع شرعية ، ثلث فرسخ : حوالي كيلومترين – هنس ، ص ٩٥ .

لقد ساعدت وفرة المياه وانبساط الأرض وخصب التربة وجودة صرفها على تطور الزراعة في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات حتى أصبحت مشتبكة السواد . وأتاحت سعة بعض مياه الانهار مثل نهر عيسى وصرصر ، حركة ملاحية نهرية واسعة لنقل كثير من البضائع منها ما يرد من الشام ومصر . ونشأت في خضمّ ذلك موانيء نهرية صغيرة عند ملتقى الانهار ، كما هي حال مدينة (كرثى ربّا) . أو في المواقع التي تنقطع فيها حركة الملاحة النهرية ، كما هي الحال عند قنطرة الصراة . ولكن هذه الانهار عملت ، دون شك ، على زيادة مياه دجلة وانخفاض مقدار ما يجري منها في نهر الفرات .

ان اختلاف مستويات الأرض بين دجلة والفرات ، واعتماد الجانب الشرقي من دجلة على الشرب منه . ظهرت آثارهما في توزيع مراكز السكن على جانبيه . إذ يلاحظ ان المدن الرئيسة التي تقع على نهر دجلة الى الجنوب من المدائن تتركز على جانبه الشرقي وأهمها : (دير العاقول) و (النهروان الاوسط) و (جَرْجَرايا) وهي مدينة (النهروان الاسفل) و (النعمانية) وهي مدينة الزاب الاعلى* ومدينة (جبُّل) و (مادَرايا) . اما على الجانب الغربي من دجلة فتطالعنا قرية نعمان ، فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل ، ثم (نهر سابس) بازاء (المبارك) التي تقابلها على الجانب الشرقي من النهر (٨٦) .

هكذا يصبح الجزء الجنوبي من أرض السّواد منصرفاً لمياه دجلة والفرات معاً . ويرتبط ذلك بظاهرتين أساسيتين هما :

أ — إنحدار سطح المنطقة نحو الداخل سواء إتجهنا من الشرق الى الغرب ام العكس .

٢ — انخفاض سطح هذا الجزء عن سائر مناطق السّواد الواقعة الى شماله، حيث يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار عن مستوى سطح البحر .

* الزابي ، نسبة لاخذه من الزاب القديم .

(٨٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

وبذلك تحولت هذه المنطقة الى بطائح * متصلة ومجتمع لمياه النهرين . وهي ثلاثون فرسخاً في ثلاثين فرسخاً . حدّ منها جزيرة العرب ، وحدّ منها أرض ميْسان ، وحدّ منها دجلة بغداد وحدّ منها مصب الفرات والنهروان . وهي خزانة أهل البصرة تجتمع فيها المياه وينبت فيها القصب لمنافعهم . ومنها سمكهم من الطري والمالح ، في نواحيها مزارع منها طعامهم(٨٧) وتتخلل هذه البطائح مساحات متناثرة من اليابسة والجزر الصغيرة حتى أصبحت تبدو وكأنها أرخبيل داخلي (خريطه ٢) .

وترك انحدار أرض السواد أثره في النشاط الزراعي . إذ لم يكن من المستطاع زراعة المنطقة الممتدة من هيت الى البطائح طول العام . فالقسم المنخفض منها كان يسقى سيحاً في فصل الصيف لانخفاض مستوى الأرض عن منسوب ماء النهر . اما في فصل الشتاء والربيع فأن هذا القسم يصبح عرضة لخطر الفيضان . في حين يصعب توفير مياه الري اللازمة للزراعة الصيفية نظراً لارتفاع مستوى أرضه عن منسوب ماء النهر . وعلى نقيض ذلك يمكن زراعة مناطق اليابسة من البطائح طول العام(٨٨) .

وحددت مستويات سطح الأرض ومقادير مياه الري المتاحة نوعية المحاصيل التي يمكن زراعتها . إذ تكثر زراعة الرز صيفاً في مناطق الري سيحاً ، بينما تشيع زراعة القمح والشعير شتاء في الجهات الشمالية من أرض السواد . وتنتشر على طول مجاري الانهار زراعة النخيل واشجار الثمار حيث تجود التربة وتتوفر مياه الري على الدوام .

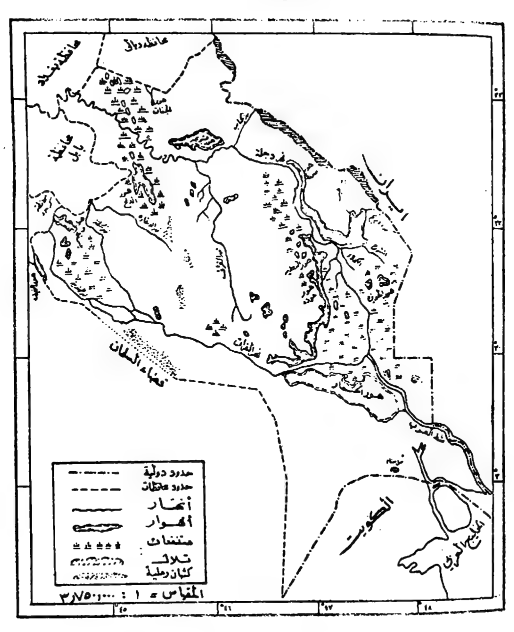
---

* البطيحة والابطح كل مكان متسع .

(٨٧) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ٩٤ .

(٨٨) وليم ويلكوكس ، جنة عدن ، ص ١١ .

بطائح السواد



خريطة ٢

وتكوّن البطائح منطقة جغرافية فاصلة بين سوادي البصرة والكوفة ، وسوادي البصرة وواسط .

وهكذا تنقسم أرض السواد الى ثلاثة أقاليم زراعية هي : —

أ — سواد الكوفة ، ويمتد هذا السواد الى الانبار شمالاً ، وينتهي عند الحدود الشمالية لمنطقة البطائح حيث يقع الفاضل من نهر سورا الى بطائح الكوفة . ويعتبر هذا الاقليم من أعمر نواحي السّواد (٨٩) .

ب — سواد واسط . ويمتد على جانبي عمود دجلة ، حدّه الشرقي أرض ميسان . وحده الغربي بطائح الكوفة ، ويتصـل من ناحية الشمال بسواد النهروان وتامرّا .

جـ — سواد البصرة . ويمتد من جنوب مجتمع البطائح الى الخليج العربي .

وتنتشر على جوانب كثير من أنهاره الزروع وبساتين النخيل مسافة نيفّ وخمسين فرسخاً متصلة . لا يكون الانسان منها بمكان الا وهو في نهر ونخيل او يكون بحيث يراهما . ومن مشاهير انهارها نهر الأبلّة . وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصـلة كأنها بستان واحـد مدّت على خيط . وكأن نخيلها غرست ليوم واحد . وعلى نهر معقل قصور مشيّدة وبساتين وضياع واسعة غزيرة كبيرة عظيمة(٩٠) .

ولكن هذه البطائح على سعتها لم تكن مانعاً يعزل هذه الاقاليم عن بعضها . ويحول دون اتصال الناس وإنتقالهم . إذ تنتشر وسط هذه البطائح وآجامها كثير من القرى والموانيء النهرية التي تخدم حركة النقل النهري بين الكوفة وواسط ومنهما الى البصرة .

---

(٨٩) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٨ .
(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

وقد كتب الباحثون ، القدماء منهم والمحدثون ، عن اسباب تكوّن هذه البطائح وكل عزى ذلك الى عامل معين ، ولم يتطرق احد منهم إلى علاقة تكونها بعملية الأرساب النهري . وهو أمر سنأتي على بحثة في الصفحات الآتية .

٣ ـ الارســاب النهري

أرض السّواد سهل كوّنته رواسب دجلة والفرات . وعلى جوانبهما يظهر سجل هذا السهل وتفاصيل مراحل تكوّنه . إذ تتعاقب على جانبي المجرى القديم لنهر دجلة بجوار سد سامراء طبقات متباينة في سمكها ونوعية موادها ، من حصى مختلف الاحجام الى رمل وطين . وتنّم كل طبقة عن حالة فيضان النهر في فترة معينة . وتختفي من ضفاف النهر في مجاريه الدنيا طبقات الحصى والرمال الخشنة . وتظهر بديلاً عنها طبقات من رمال ناعمة وطين ، أو طين وحده . ولم يكن الارساب يجري على وتيرة مستمرة في مختلف نواحي السهل ، بل أن المياه كانت تفيض ، في أي فيضان كان ، على اجزاء منه دون أخرى . ولذلك يظهر اختلاف تضاريسي واضح في بناء أرض السواد . فقد تكامل بناء الجهات الشمالية من السهل (رأس الدلتا)* ، بينما تخلّف بناء جهاته الجنوبية القريبة من المصب . وهكذا ينقسم السهل وفق خصائص سطحه ، الى سهول داخلية وسهول خارجية . وتتميز السهول الداخلية بوضوح حواف مجرى النهر وخلوّها من مساحات مائية تحاذي المجرى ، في حين تضيع معالم وادي النهر . وتكثر المساحات المائية المحاذية لمجرى النهر . كما تكثر تفرعات النهر في السهول الخارجية . ويمكن ان نلحظ مثل هذا التباين واضحاً بين شمال أرض السواد وجنوبها . فقد ذُكر ان الفرات ينصب في البطائح بعد أن يتفرع فيصير

* ينقل الماوردي عن ابي حنيفة قوله (حريم النهر ملقى طينه) ص ١٧٦ وجاء في القاموس المحيط ، فصل الحاء ـ باب الميم ، الحريم الشريك ، وملقى نبيثة البئر .

أنهاراً عظاماً ومصبّه في البطائح بموضع كسكر (٩١) . وكانت هذه البطائح عذبة المياه لاستمرار جريان الماء اليها وكثرة الانهار التي تخرج منها . ومن جملتها نهر المرّة الذي يصب في دجلة العوراء (شط العرب) ، ونهر يقال له نهر أبي الاسد وهو قريب من سالفه ويصب في دجلة العوراء . ومن ذلك نهر في أسفل البطائح يقال له نهر ابن عمر ، وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حفره ليعذب ماء أهل البصرة ، وطوله أربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة . ونهر ابن عمر يصب في نهر البصرة وما صار في فيض البصرة وقع في نهر الأبلّة حتى يخرج الى دجلة العوراء (٩٢) . وهذه من ظواهر السطح لا نجد لها مثيلاً في شمال أرض السواد .

ويرتبط الأرساب النهري بعاملين اساسين هما : —

أ — ضعف قدرة النهر على النقل

ب — عجزه عن نقل المواد التي تأتي بها روافده .

وتصاحب عملية الأرساب النهري متغيرات عديدة أهم ما ينطبق منها على حالة دجلة والفرات هي :

أ — تناقص إنحدار المجرى .

ب — بطء جريان ماء النهر .

ج — تحول المياه وكثرة انتشارها .

د — امتداد الدلتا (٩٣) .

(٩١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ٩٤ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

(93) William D. Thornbury, Principles of Geomorphology, John Wiley and Sons, Inc., New York, Third Printing, 1957, P. 164.

ومجمل القول ان قدرة النهر على حمل الرواسب تتناسب مع كل من انحداره ومساحة مقطعة . وقد كتب الباحثون ، القدماء منهم والمحدثون ، عن معالم أرض السّواد وعزوا تكوّن بطائحها الى اسباب معينة ، لم يرد ذكر الارساب النهري بينها .

ذكر قدامة بن جعفر البطائح المبطحة في أرض السّواد . وعزاها الى أن ماء دجلة كان منصباً الى دجلة المعروفة بالعوراء ، التي هي أسفل البصرة ، في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب حتى إنبثق في أسفل كسكر بثق عظيم ، فأُغفِل أمره حتى غلب ماؤه وغرق كثير من أرض عامرة . كانت تليه وتقرب منه . ثم لما كانت سنة ست من الهجرة زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة ايضاً ، لم ير مثلها . وانبثقت بثوق كبار لم يستطيع ان يسكرها الناس وعجزوا عن سدها ، فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت (٩٤) . وهكذا ربط قدامة بين تكوّن البطائح وفيضان دجلة والفرات وكثرة البثوق التي تفجرت حتى عجز الناس عن سدها . وهذه حقيقة قائمة وان لم يشر الى اسبابها .

أما الدراسات الحديثة فتذهب الى تفسير آخر . فقد ذكر (ليس) و (فالكون) ان احداث التاريخ الحديث (تاريخ علم الأرض) لسهول ما بين الرافدين ينبغي فهمها على أساس ان العامل الاساسي هو الهبوط ، فهي ليست مجرد منخفض ثابت تملؤه ترسبات الانهار ، وان اهوار العراق الواسعة حدثت نتيجة انخفاض مستمر حتى أصبح الهبوط عملية حاسمة غلبت على عملية الارساب وصاحب ذلك سلسلة فيضانات أدّت نتائجها الى كارثة على مر الزمن . ومـــن أمثال ذلك ما حدث في جنوب شرق الزبير حيث غمرت مياه الخليج العربي أراضي خصبة واسعة (٩٥) .

---

(٩٤) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .

(٩٥) ليس وفالكون ، التاريخ الجغرافي لسهول مابين النهرين ، ص ١٩٧ ــ ٢١٦ .

وعلى نقيض ذلك ما ينقله (ادمز) من أن حركات القشرة الأرضية الرأسية تعد العامل الرئيسي الذي يتحكم في تطور اشكال سطح الأرض في العراق (٩٦). وان تكوّن البطائح صاحب تبدل مجرى دجلة الادنى من مجرى مشابه لمجراه الحالي الى مجرى يتجه نحو الجنوب مباشرة قرب الكوت ، جنوبي شط الحي (٩٧) . ان ما ذكره الباحثون المحدثون يقوم على دراسات علمية رصينة تابعت إرتباط معالم أرض السّواد بمتغير معين وجعلت من المتغيرات الاخرى حقائق ثابتة لم تناقش علاقتها في تشكيل ظواهر سطح هذه المنطقة . وهذا نهج علمي له محاسن كما عليه مآخذ . فان تكوّن اشكال سطح الأرض يرتبط بعمليات معقدة ، لها جوانبها البيئية كما لها متغيراتها البشرية أحياناً . وان الضرورة العلمية تحتم ، إن أردنا ايضاحاً شاملاً ، ان نأخذ هذه المتغيرات بنظر الاعتبار . وفي الواقع ان ما ذكره قدامة بن جعفر يشير في حقيقته : الى ترابط عوامل مناخية وتضاريسية ، واوضاع إدارية متردية كانت سائدة قبيل العهد العربي الاسلامي ، عملت مجتمعة على حدوث هذه الفيضانات المدمرة . وبيان ذلك يدعو الى شيء من الشرح والإيضاح .

يدخل دجلة والفرات سهلهما الرسوبي على مقربة من المنطقة الممتدة بين سامراء والرمادي . وهما مثقلان بحمولة كبيرة من الرواسب . والى الجنوب من ذلك يتغير انحدار المجرى . وتتناقص سرعة تيار الماء فيهما . ويعجز كل منهما من نقل رواسبه ، وتبدأ عملية الأرساب . والأرساب النهري عملية مزدوجة أفقية ، على الجانبين ، ورأسية ، على القاع ، عندما ترتفع مناسيب الماء في النهر وقت الفيضان وتتخطى سعة استيعابه ، يفيض على ضفتاه ويصبح جريانه حراً لا يتقيد بمجرى معيّن . فتقل سرعته ويلقي بحمولته مكوناً على جانبيه أكتافاً تصل ، بمرور الزمن الى ارتفاع يتراوح بين (١٠ — ٢٠) قدماً فوق مستوى سهله

(٩٦) روبرت ماك ادمز ، اطراف بغداد ، ص ٥٠ .
(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

الفيضي الممتد على جانبيه (٩٨) . ويكثر إرســاب دجلة والفرات مع ازدياد طولهما وضعف إنحدارهما ؛ وان ظل مقداره على القاع يقل عن مثيله على الجانبين . وخلال جريانهما جنوباً تكثر العراقيب فيهما ويزداد طولهما طولاً وانحدارهما قلة . ورواسب القاع كثرة. وتبلغ رواسب القاع في بعض المناطق من الكثرة الى حد أنها تظهر للعيان جزراً أوتلالاً أوقات انخفاض مناسيب الماء صيفاً .و(عقر الصيد) من تــلال البطائح المعروفة (٩٩) . ويأخذ دجلة والفرات في مثل هذه المناطق صفة الانهار المجدّلة . ومع اتساع هذه الجزر وتعاظمها سنة بعد اخرى تتناقص سعة النهرين الى حد أن المياه تفيض على الجانبيين ان حصلت زيادة قليلة في مقدار مياههما (١٠٠) .

ولا تقتصر عملية الأرساب هذه على دجلة والفرات ، بل تحدث فــي الجداول المتفرعة عنهما . وهي ظاهرة عامة واضحة حتى أصبح كراء الانهار العظام التي تأخذ من دجلة والفرات من عموم مصالح الناس التي تصرف نفقاتها من بيت المال ومن أهل الخراج ، شأنها في ذلك شأن أرزاق الجيش ، وتحصين الثغور ، وبناء الجوامع والقناطر (١٠١) . وكان ذلك يكوّن جزءاً من مهام الدولة في تمويل عمليات الري على نطاق واسع . وهكذا تتقلص سعة الاستيعاب في مجرى النهرين وفرعهما وتزداد مخاطر الفيضان حدة .

(98) A. K. Lobeck, Geomorphology, McGrow - Hill Book Co., Inc., New York, 1939, P. 224.

(٩٩) ابن رسته الاعلاق النفيسة ، ص ٩٥ .

(100) P. Buring, Soils and Soils Conditions in Iraq, Ministry of Agriculture, Baghdad, 1960, pp. 144 — 45.

(١٠١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٦٨ .
قال ابو يوسف ، أما الانهار التي يجرونها الى أرضهم ومزارعهم وكرومهم ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم وما اشبه ذلك فكريها عليهم خاصة ليس على بيت المال من ذلك شيء ، فأما البثوق والمسنيات والبريدات التي تكون في دجلة والفرات وغيرهما من الانهار العظام فان النفقة على هذا كله من بيت المال لايحمل على اهل الخراج من ذلك شيء ، كتاب الخراج ، ص ١١٠

وتأتي ذروة تصريف دجلة والفرات مصاحبة لارتباط ظاهرتين . سقوط امطار ربيعية غزيرة على المنابع ، وبدء فترة ذوبان الثلوج . واذا حدثت مثل هـذه الذروة ، على ضعف احتمالات حدوثها ، وسعة استيعاب الرافدين على قلتها ، فان أرض السّواد تشهد فيضاناً عارماً تغمر مياهه المنخفضات الخلفية المحاذية لهما والاجزاء المنخفضة من سهلهما الفيضي (الحوّي) ، وتزداد البطائح مساحة وعمقاً ، ومستوى النهر ارتفاعاً . حتى اصبح بالامكان رؤية آثار في بطن البطائح تحت الماء . وذلك لركود الماء وصفائه ، فيعلم انها كانت أرضين (١٠٢) .

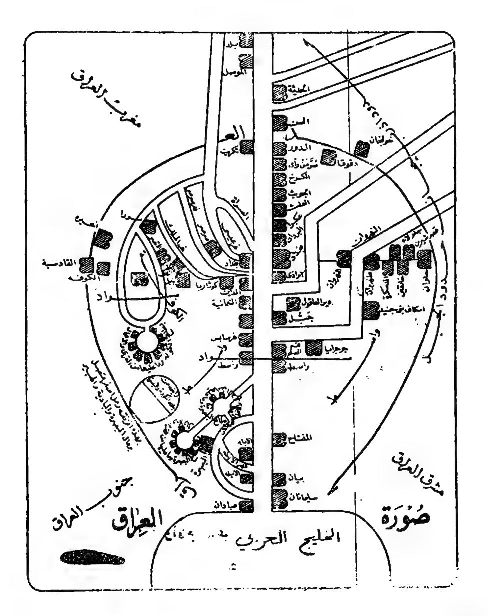
وترك الارساب آثاراً أخرى في الحياة العامة . إذ تتميز أكتاف الانهار بترب مزيجة من الرمل والغرين والطين . جيدة الصرف ، ملائمة لزراعة كثير من المحاصيل لا سيما أشجار الثمار . كما أن ارتفاعها عما يجاورها من الأراضي ، وقلّة تعرّضها لأخطار الفيضان في حالاته الاعتيادية ، جعل منها محاور رئيسة لاستقرار الناس وطرقاً يسلكونها في ترحالهم . لذا تُظهر المدن الرئيسة على دجلة والفرات توزيعاً جغرافياً خطياً يساير إمتداد اكتاف النهر ولا يجانبها إلا في مناطق البطائح . وهذا ما يفسر لنا ، الى حد ما . وقوع مدن وادي الفرات من الناحية الغربية على طرف البر وامتدادها مع حواف بطائحه وفيضه ، ابتداء من البصرة جنوباً والى الحيرة والقادسية والكوفة شمالاً . (انظر صورة العراق لابن حوقل) .

ثانياً : المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية

أشرنا فيما سلف الى أن عوامل البيئة قد حددت نسبياً الأوضاع الزراعية في أرض السّواد . ورسمت أبعاد أقاليم زراعية واضحة شملت سواد البصرة ، وسواد واسط . وسواد الكوفة . إلا ان هذا التحليل سيظل ناقصاً ما لم نتناول بالشرح المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبتها . فالتنوع الزراعي

(١٠٢) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ٩٥ .

صورة العراق لابن حوقل



المصـــدر :

العراق في الخوارط القديمة ، تحقيق احمد سوسة ، المجمــع العلمي العراقي ، مطبعة المعارف ، بغــداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢٢ .

واختلاف ما يزرع من محاصيل ، أو يُرَبَّى من حيوان ، يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية السائدة . إذ تعمل المتغيرات البشرية على إيجاد توزيع جغرافي لا يتفق في كثير من الاحيان وعوامل البيئة التي تتميز بها منطقة ما . فالأرض لا تزرع كما هي في حالتها الاولى ، وانما تقسّم الى مزارع مزودة بما تتطلبه عملية الانتاج. لذا فان نمط حيازة الأرض وتوفير اليد العاملة. وموقع السوق . القريبة والبعيدة ، وسعتها ، مثلاً ، كلها متغيرات تؤثر في الطريقة التي تستثمر بها الأرض . والحديث عن الزراعة في أرض السواد على هذا النحو يقتضي وفرة المعلومات ودقّة تفاصيلها . وإن في تضاعيف كتب التراث من النصوص والبيانات الاحصائية ما يعين على إيضاح بعض جوانب الموضوع وبيان متغيراته . وإن من أهم هذه المتغيرات هي :—

١ — حيازة الأرض

إن اختلاف نظام حيازة الأرض وحقوق التصرّف فيها من مكان لآخر ، يبعث على تغير جغرافي في نوع المحاصيل التي تزرع ، والحيوانات التي تُرَبّى ، وطرق إستثمار الأرض ، ودرجة العناية بها . وكانت مشكلة الأرض من الأمور الاساسية التي صاحبت عمليات الفتح . فما مصير هذه الأراضي الواسعة التي آلت الى حكم الدولة ؟ وما مصير سكانها ؟ . وكان لا بد من حل لهذه المشكلة يضمن حقوق الجميع . يذكر أبو يوسف : ان عمر بن الخطاب (رض) كتب الى سعد بن أبي وقاص وهو في العراق : (أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك ان تقسم بينهم مغانمهم . وما أفاء الله عليهم . فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما جلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الأرضين والانهار لعمالها . ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فانك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيىء) (١٠٣) . وذكر هذه الرواية أبو عبيد بن سلام (١٠٤) .

(١٠٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٤ .
(١٠٤) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٦٤ .

والبلاذري(١٠٥) وغيرهما من أوائل كبار مؤرخي التاريخ الاسلامي. وهكذا أصبحت أرض السواد ملكاً عاماً للدولة ، لا تُشترى ولا تباع لانها فُتحت عنوة، فهي لجميع المسلمين(١٠٦) . وتستثنى من ذلك بعض المناطق التي أُخذت صلحاً . ذكر ابن سلاّم قال : حدثنا عبّاد بن العوّام عن حجّاج عن الحكم عن عبدالله بن فضل قال: (لا تشترينّ من السّواد إلا من أهل الحيرة وبانِقيْا وأُليّس)(١٠٧).

ولكن الشرع الحنيف خصّ بعض أراضي السّواد بأحكام معينة ، فيها مصلحة الجمهور . وتشمل هذه :–

آ – احياء الأرض الموات

ويقصد بذلك الأراضي التي لايُرى عليها أثر زراعة ولا بناء لأحد ، وليست مرافق لقرية من القرى . وينقل الماوردي قول النبي (ص) من أحيا أرضاً فهي له(١٠٨) . ويُشترط في أحياء الأرض الموات للزرع والغرس وتملّك الأرض ما يأتي :–

– جمع التراب المحيط بها حتى يصير حاجزاً بينها وبين غيرها .
– سَوْق الماء اليها إن كانت يبساً ، وحبسه عنها ان كانت بطائح .
– حرثها . والحرث تجمع إثارة المعتدل ، وكسح المستعلي ، وطمّ المنخفض .(١٠٩)

(١٠٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٤ .
(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .
(١٠٧) ابو عبيد ابن سلام ، الاموال ، ص ٨٨ .
(١٠٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٧١١ . وهو حديث متفق عليه اخرجه ابو دواد ، مادة امارة ، والبخاري مادة حرث ، والترمذي ، مادة احكام والدارمي ، مادة بيوع ، وجاء في الموطأ في مادة اقضية . ونصه (من احيا ارضاً ميتة فهي له ، وليس لعرق ظالم حق) سنن ابي دود ، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، حمص ، ١٩٧١ ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ .
(١٠٩) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٧١ .

وجعل أبو يوسف من الأرض الموات :

- الجزائر التي تكون في دجلة والفرات ينضب عنها الماء . فجاء رجل وهي جزيرة أرض له فحصّنها من الماء وزرع فيها . أو اذا نضب الماء عن جزيرة دجلة أو الفرات، فجاء رجل ملاصق تلك الجزيرة بأرض له فحصّنها من الماء . وزرع فيها فهي له . إذا كان لا يضر بأحد ولا بسير السفن .
- ما كان خارج المدينة فهي بمنزلة الأرض الميتة . يحييها الرجل ويؤدي عنها حق السلطان .
- ما عالج الرجل من البطائح بضرب المسناة عليها واستخرج واحياها وقطع ما فيها من القصب . ويسرى ذلك على ما عالج الآجام شريطة أن لا يكون للأرض مالك أو ذو يد أو مرتفق (١١٠) .

وكانت أرض البطائح المستصلحة كثيرة الغلة لجودة تربتها ووفرة مياهها طول العام . فقد استخرج عبدالله بن درّاج من الأرضين بالبطائح ، ما بلغت غلتّه خمسة آلاف ألف درهم ، بعد أن قطع القصب وغلب الماء بالمسنّيات . كذا استخرج حسّان النبطي . وهو مولى بني ضبّة . وصاحب حوض حسّان بالبصرة . والذي تنسب اليه منارة حسّان بالبطائح . للحجّاج أيام الوليد وهشام بن عبدالملك أرضين من أراضي البطيحة (١١١) .

ب ــ الصوافي او القطائع

وهي الأراضي التي بقيت بعد الفتح دون مالك ، أما لنزوح أهلها عنها ، أو لأنها كانت من أملاك الدولة أو الملوك السابقين . قال ابو يوسف : (حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال : أقطع رسول الله (ص) الزبير ارضاً فيها نخل من

(١١٠) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٩١ ــ ٩٢ .
(١١١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٧ .

أموال بني النضير ، وذكر انها كانت أرضاً يقال لها الجُرْف . (١١٢)
وذكر البلاذري ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أصفى من أرض السّواد
من قُتل في الحرب ، وأرض من هرب ، وكل أرض كسرى وكل أرض
لاهل بيته ، وكل مغيض ماء ، وكل دير بريد ، وكل صـــافية اصطفاها
كســـرى . فبلغت صوافيه سبعة آلاف ألف درهم (١١٣) . وذكر أبو
يوسف ، ان الصوافي بلغت على عهد عمر (رض) أربعة آلاف ألف . وهي التي
يقال لها صوافي الثمار(١١٤) . أما الماوردي فيذكر أن مبلغ غلتّها تسعة آلاف
ألف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ؛ وانه لم يقطع من الأرض
شيئاً (١١٥) . وكانت مساحة ما اصطفاه أربعة آلاف ألف جريب (١١٦) .

أما القطائع فجمع قطيعة . وهي ما يمنحه الأمام من الأرض لبعض المتازين
بفعالهم من الرعية (١١٧) . فقـــد روى ابن سلام عن محمـــد بن عبيدالله
الثقفي قال : خرج رجل من أهل البصرة ، من ثقيف ، يقال له : نافع ابو
ابو عبد الله . وكان أول من أفتلا الفلا ، فقال لعمر بن الخطاب : إن قبلنا
أرضاً بالبصرة لست من أرض الخراج ؛ ولا تضر بأحد من المسلمين ، فأن
رأيت أن تقطعنيها أتخذ فيها قضباً لخيلي(*) قال: فكتب عمر الى أبي موسى
الأشعري ، أن كانت كما قال فأقطعها إياه(١١٨) . وقال ابو يوسف: كان عمر

* القضب : ما اكل من النبات المقتضب غضاً . محمد حسن آل ياسين ، معجم النبات والزراعة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(١١٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ .
(١١٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٨ .
(١١٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٥٧ .
(١١٥) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٨٥ .
(١١٦) محمد الخضري ، محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ــ الدولة العباسية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، الطبعة الرابعة ، ص ١٤٨ .
(١١٧) المصدر نفسة ، ص ١٤٨ .
(١١٨) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٢٩٠ .

(رض) يقطع من هذه لمن أقطع (١١٩) . اما الماوردي فيذكر انه لم يقطع شيئاً . وذكر البلاذري : حدثني الوليد بن صالح . عن محمد به عمرو الأسلمي ، عن اسحق بن يحي ، عن موسى بن طلحة أن عثمان بن عفان (رض) أقطع خمسة نفر من اصحاب النبي (ص) . منهم عبدالله بن مسعود ، وسعد بن مالك الزهري . والزبير بن العوام ، وخباب بن الأرت وأسامة بن زيد . (١٢١) وذكر البلاذري ان عثمان بن عفان (رض) أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الجالية الى كل من

- عبدالله بن مسعود أرضاً بالنهرين .
- عمار بن ياسر . أستينيا
- خباب بن الأرت ، صعنبا
- طلحة بن عبدالله . النشا ستج
- سعد بن مالك الزهري . قرية هرمز
- جرير بن عبدالله البجلي ، أرضه على شاطيء الفرات
- عدي بن حاتم الطائي ، الروحاء
- خالد بن عرفطة . أرضاً عند حمام أعين
- الأشعث بن قيس الكندي . طيزناباذ
- وائل بن حجر الحضرمي . ما والى زرارة (١٢٢) .

وقال الماوردي . إن عثمان (رض) أقطعها لأنه رأى إقطاعها أوفر لغلتها من تعطيلها ، وشرط على من أقتطعها إياه أن يأخذ منه حق الفيء . فكان ذلك تمليك إجازة لا إقطاع تمليك . فتوفرت غلّتهـــا حتى بلغت على ماقيل خمسين ألف ألف درهم . فكان منها صِلاته وعطاياه (١٢٣) . ومن هذا يتضح ان

---

(١١٩) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٥٨ .
(١٢٠) الماوردي الاحكام السلطانية ، ص ١٨٥ .
(١٢١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٩ .
(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .
(١٢٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٨٥ .

إقطاع القطائع كان وسيلة لاحياء الأرض الموات واستثمارها واستصلاح الأراضي التي غمرتها المياه وزيادة الجباية . فقد ذكر البلاذري ان زياد بن أبي سفيان كان يقطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين فان عمّرها والا أخذها منه (١٢٤) . ومن هذا القبيل ان الوليد بن عبد الملك أقطع مسلمة بن عبد الملك الاراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء شريطة ان ينفق على استصلاحها ثلاثة آلاف الف درهم . فخلصت له أرضون من طساسيج متصلة ، فحفر السيبين ، وتألف الأكره والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس اليها (١٢٥) .

وقد كثرت القطائع فيما بعد وفق هذه الشروط . فقد اقطع الحجاج . بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخا قتيبة ، سبعمائة جريب ، ويقال اربعمائة جريب ، فحفر لها النهر الذي ينسب اليه (١٢٦) . وقال القحذمي نهر البنات ، بنات زياد . . أقطع كل بنت ستين جريباً (١٢٧) . واقطع زياد مرة بن ابي عثمان مولى عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق (رض) مائة جريب على نهر الأبلّة ، وأمره فحفر لها نهراً نسب اليه . واقطع عبد الملك بن مروان العلاء بن شريك الهذلي مائة جريب واليه ينسب نهر العلاء (١٢٨) وأمثلة ذلك كثيرة .

بل ان بناء مدينة واسط ، مهما كانت أسبابه ، كان بحدّ ذاته مثالاً لاستصلاح الأرض وإحياء الأرض الموات . فقد أحدث الحجاج مدينة واسط سنة ثلاث وثمانين أوسنة أربع وثمانين . وكانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب . وحفر نهر الصين والنيل والزابي ، وأحيا على هذين من الأرضين وأحدث المدينة التي تعرف بالنيل ومصرّها (١٢٩) .

---

(١٢٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٥٢ .
(١٢٥) المصدر نفسة ، ص ٢٨٨ .
(١٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥١ .
(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .
(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٥١ .
(١٢٩) المصدر نفسة ، ص ٣٨٤ .

وأقطع أبو جعفر المنصور أهل بيته والعاملين في دواوين الدولة ، وسائر قبائل العرب من قريش والأنصار وربيعة ومضر ويمن . ويذكر اليعقوبي أن أول من أقطعة ابو جعفر المنصور خارج المدينة من أهل بيته كان عبدالوهاب ابراهيم بن محمد . بازاء باب الكوفة على الصراة السفلى . التي تأخذ الماء من الفرات . وأقطع العباس بن محمد بن علي الجزيرة التي بين الصراتين . فجعلها بستاناً ومزدرعاً . وهي العباسية المذكورة المشهورة التي لا تنقطع غلاتها في صيف ولا شتاء . ولا في وقت من الاوقات . وقطيعة لجعفر بن بن المنصور صارت لأم جعفر ، ناحية باب قُطْرَ بُّل تعرف بقطيعة أم جعفر . وقطيعة عيسى بن علي واليه ينسب نهر الأمير (١٣٠) .

لقد أخذت هذه القطائع توزيعاً جغرافياً واسعاً. شمل أرض السّواد برمتّها ، ويلاحظ مما سلف ذكره عنها ما يأتي : —

— ان توزيع القطائع يكشف . على مر العهود ، انتقالاً جغرافياً واضحاً من جنوب السواد الى شماله . فقد انحصرت معظم القطائع في العهد الراشدي في الجنوب . وامتدّ سواد البصرة شمالاً في مناطق البطائح . وأصبح اتساع الأرض الزراعية في هذا الاتجاه في العهد الأموي . فقد إنحصرت القطائع ، بعد بناء واسط ، في الجهات الوسطى من السواد في حين ان كثرتها تركزت ، بعد بناء بغداد . في الانحاء الشمالية منه . وصاحب بناء سرّمن رأى وحفر القواطيل كثرة القطائع في هذه المنطقة . وبعبارة اخرى أن هذه القطائع كانت تكوّن ظهيراً زراعياً لهذه المراكز الحضارية الادارية الجديدة . وان الوظيفة الادارية التي ظهرت في بعض مناطق السواد كانت تكوّن متغيراً جغرافياً مهماً ، صاحبه تغير في استثمار الأرض وإقطاع القطائع .

— ان كثرة القطائع واتساع مساحة الأرض الزراعية حدثا في مناطق البطائح اكثر من غيرها ، ولا سيما في القرن الاول الهجري . ويرتبط بصعوبة

---

(١٣٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

حفر الانهار . وشق ترع الري الى الشرق من وادي دجلة ، والى الغرب من وادي الفرات ، لانحدار سطح الأرض نحو الداخل في الحالتين . ويبدو ان استصلاح البطائح ، من رفع القصب وضرب المسنيات ، كان أقل كلفة من التوسع في الاتجاهين المذكورين . يضاف الى ذلك وفرة مياه البطائح طول العام ، مما يجعل استثمار الارض في زراعة محاصيل شتوية وصيفية أمر ممكناً فضلاً عن سهولة النقل المائي الرخيص ، وصعوبته وارتفاع كلفته على اليابس . كل هذه متغيرات جعلت البطائح مناطق مفضلة . و صبحت السفن واسطة النقل الرئيسة . ويبدو ان الغلبة كانت لوسائط النقل النهري حيثما توفرت اسباب ذلك . فقد كانت تجارة الشام تصل بغـداد ، كما ذكرنا . عن طريق الفرات والانهار المنحدرة منه نحوها .

-- هناك إرتباط واضح بين موقع القطائع ومراكز المدن الكبيرة . فقطائع البصرة تحاذيها من الشمال والجنوب على امتداد شط العرب ، ولا تبعد عنها سوى مسافة بضعة فراسخ نحو الشرق والغرب . وعلى هذا الغرار إنحصرت قطائع واسط في المناطق المتاخمة المدينة من الجنوب . وكان للجانب الغربي من بغداد وسرّ من رأى نصيب أوفر في كثرة القطائع والتوسع الزراعي .

-- وارتبطت بهذا الموقع المجاور نوعية المحاصيل التي كانت تزرع في القطائع او الأراضي المستصلحة . فان قربها من المدن الكبرى ، أي السوق الرئيسة في المنطقة ، وارتفاع كلفة الاستصلاح ، وما يصاحب ذلك من ارتفاع قيمة الارض الزراعية ، جعل زراعة الخضروات واشجار الثمار هي السائدة لسد حاجة السوق اليومية اليها . كما ان سرعة تلفها شجعت على زراعتها في المناطق القريبة من المدينة . بينما احتلت زراعة محاصيل الحبوب مناطق الاطراف. لا سيما وانه ليس في شيء من الفواكه والخضر صدقة . ولا في أثمانها إذا بيعت حتى يحول على الاثمان الحول من يوم تقبض(١٣١)

(١٣١) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٥٠١ .

– إن التوسع المتسارع في إستصلاح الأرض الموات ، وحاجة زراعة البساتين والخضروات الى كثرة من العمال الزراعيين ، أديا الى جلب هؤلاء من بلدان بعيدة لسد النقص في اليد العاملة المحلية . فقد تباينت مساحة هذه القطائع من مائة جريب ، مثل قطائع بنات زياد ، الى ثمانية آلاف جريب مثل قطيعة عبدالله بن عمير بن عمر بن مالك الليثي(١٣٢) . وظهرت حاجة ماسة عندما أحدث الحجاج مدينة واسط وعمل على إستصلاح أراضي البطائح المتاخمة لها . فقد قال البلاذري : حدثني روح بن عبدالمؤمن ، قال حدثني يعقوب بن الحضرمي عن سلاّم ، قال : أتى الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بها من أمم معهم أهلوهم واولادهم وجواميسهم فاسكنهم في أسافل كسكر(١٣٣) ولكن ذلك لم يخلُ من محاذير . فقد غلب هؤلاء على البطيحة وتناسلوا بها ، ثم انضوى اليهم قوم من آباق العبيد وموالي باهلة وغيرهم ، فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان . وتجنب الناس أيام المأمون الاجتياز بهم ، وانقطع عن بغداد جميع ما كان يُحمل اليها من البصرة في السفن حتى تجرد لهم المعتصم وسكر عنهم الماء حتى اخذوا(١٣٤) .

٢ ـ الوظيفة المالية للارض

يرتبط الحديث عن الوظيفة المالية للأرض بسابقه ، ويكشف عن بعض المتغيرات التي لها صلة باستثمار الأرض وتباين نوعية المحاصيل التي تزرع في أرض السواد من مكان لآخر . وبعبارة أخرى أن هذه الوظيفة تعد من المتغيرات التي توضح صورة التوزيع الجغرافي الزراعي في أرض السّواد .

تنقسم الأراضي التي أصبحت ملكاً لبيت مال المسلمين الى نوعين هما :

---

(١٣٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(١٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

(١٣٤) المصدر نفسة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

أ - أرض عشر

ب - أرض خراج

وقد أفرد ابو يوسف فصلاً بينّ فيه أرض العشر من أرض الخراج .وتشمل أرض العشر عنده :

أ - كل أرض أسلم أهلها عليها وهي من أرض العرب أو أرض العجم فهي لهم ، وهي أرض عشر .

ب - أرض العرب التي لا تقبل منهم الجزية وان ظهر عليها الأمام .

جـ - أرض العجم التي فتحت عنوة ، وقسمها الأمام بين الغانمين(١٣٥).

اما أرض الخراج فهي أيّما دار من دور الاعاجم قد ظهر عليها الامـــام وتركتها في أيدي أهلها(١٣٦) .

وذكر أبو عبيد أحكام الأرضين العشرية على النحو الآتي :-

أ - كل أرض اسلم عليها اهلها ، فهم مالكون لرقابها .

ب - كل أرض أخذت عنوة جعلها الأمام غنيمة ، فخمسها ، وقسمّ أربعة أخماسها بين الذين إفتتحوها خاصة ، كفعل رسول الله (ص) بأرض خيبر .

جـ - كل أرض عادية لاربّ لها ، أي لا مالك لها ، ولا عامر . او قطعها الأمام رجلاً إقطاعاً من جزيرة العرب او غيرها ، كفعل رسول الله (ص) والخلفاء بعده فيما أقطعوا من بلاد اليمن ، واليمامة والبصرة ، وما اشبهها .

د - كل أرض ميتة إستحياها رجل من المسلمين بالماء والنبات .

---

(١٣٥) ابو يوسف ، الخراج ص ٦٩ .

(١٣٦) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

هذه هي الأرضوان التي جاءت فيها السُنّة بالعشر ، أو نصف العشر (١٣٧).
والى مثل هذا يذهب الماوردي حيث يقول : وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر في الملك والحكم . والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام :

أ — ما استأنف احياءه فهو أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليهاخراج .

ب — ما أسلم عليه أربابه فهم أحقّ به وتكون أرض عشر .

جـ — ما مُلِكَ من المشركين عنوة أو قهراً فيكون غنيمة تقسم بين الغانمين وتكون أرض عشر .

د — ما صولح عليه المشركون من أرضهم فهي الأرض المختصة بوضع الخراج عليها (١٣٨) .

ذكر البلاذري قال : حدثني الحسين قال : حدثنا يحي بن آدم عن عبدالسلام بين حرب عن معمر عن علي بن الحكم عن ابراهيم النخعي ، قال : جاء رجل الى عمر بن الخطّاب (رض) ، قال : إني قد أسلمت فارفع عن أرضي الخراج قال : إن أرضك أُخِذت عنوة (١٣٩) . أي أن الخليفة فرّق بين الأمرين : ففي أرض العنوة لايسقط الخراج بالاسلام ، وفي أرض الصلح لايزاد عليهم على ما اشترط (١٤٠) .

وكره الناس شراء أرض الخراج لانها فيء للمسلمين ، والاخرى : أن الخراج صغار (١٤١) . وروى ابو عبيد عن الشعبي قال : اشترى عتبة بن فرقد أرضاً على شاطيء الفرات ليتخذ منها قضباً ، فذُكِرَ ذلك لعمر ، فقال : ممن

(١٣٧) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٥١٠ — ٥١١ .
(١٣٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤١ — ١٤٢ .
(١٣٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٤ .
(١٤٠) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص ١٣٦ .
(١٤١) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٨٦ .

اشتريتها ؟ قال من أربابها ، فلما اجتمع المهاجرون والانصار عند عمر : قال هؤلاء أهلها فهل اشتريت منهم شيئاً ؟ قال لا قال : فارددها على من اشتريتها منه ، وخذ مالك (١٤٢) .

وتختلف الوظيفة المالية لأرض السوّاد من مكان لاخر وفق هذه الاحكام . فالكوفة خراجية بخلاف البصرة ، لأن ضياع الكوفة قديمة أزلية ، وضياع البصرة احياء موات في الاسلام (١٤٣) . وقد أجمع العراقيون وغيرهم على ان ماحيي من موات البصرة وسباخها أرض عشر (١٤٤) وما أحيي من الموات البصرة وسباخها أرض عشر (١٤٤) . وما أحيي من الموات معشور لا يجوز أن يضرب عليه خراج سواء سقي بماء العشر أو بماء الخراج (١٤٤ — أ) .

وقد تغيرت وظيفة بعض الاراضي من الناحية المالية على مر الأيام .

فقد صيرت بعض اراضي الفرات عشرية وكانت خراجية ، فردها الحجاج الى الخراج ، ثم ردّها عمر بن عبد العزيز الى الصدقة . ثم ردّها عمر بن هبيرة الى الخراج . فلما وليّ هشام بن عبد الملك رد بعضها الى الصدقة ، ثم ان المهدي ، الخليفة العباسي ، جعلها كلها من أراضي الصدقة (١٤٥) .

خراج الارض

يختلف تقدير خراج الأرض تبعاً لنوع المحاصيل التي تزرع فيها . فقد ذكر أبو يوسف أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وضع على كل جريب عامر أو غامر يناله الماء قفيزاً من حنطة أو قفيزاً من شعير ودرهماً . وأخذ من جريب الكرم عشرة دراهم ، ومن جريب السمسم خمسة دراهم ، ومن الخضر من

(١٤٢) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
(١٤٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٥ .
(١٤٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٧٠ .
(١٤٤ أ) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ٩
(١٤٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٥٧ .

غلة الصيف من كل جريب ثلاثة دراهم ، ومن جريب القطن خمسة دراهم . وفي رواية اخرى انه الغى لهم النخل عوناً(١٤٦) . واختلف التقدير ، حسب النواحي ، فقد راعى الخليفة ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا اجحاف بزارع (١٤٧). وروى ابو عبيد عن لاحق بن حميد ان عثمان بن حنيف مسح الأرض ، فجعل على جريب الكرم عشرة دراهم . وعلى جريب النخل خمسة دراهم ، وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب البر اربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين(١٤٨) . . وفي رواية له عن محمد بن عبيد الله الثقفي ان الخليفة لم يذكر النخل (١٤٩) .

ومن هذا يتضح ان الخراج على المساحة ، والعشر على الزرع دون المساحة (١٥٠) . وهو عشر الثمار والزروع . وقد حددت السُّنة ذلك : أي العشر . في الاراضي التي تُسقي عذياً (سقي السماء) أو سيحاً (أي بدون مؤونة) ونصف قسط العشر إن سقيت عذياً أو نضحاً (١٥١) .

وقال أبو يوسف : فأما القطائع فما كان منها سيحاً فعلى العشر ، وما سقي منها بالدلو والغرب والسانية فعلى نصف العشر لمؤونة الدالية والغرب والسانية (١٥٢) .

وكانت أرض السواد تزرع مختلف محاصيل الحبوب والخضروات واشجار الثمار ونباتات الألياف وأهمها : —

(١٤٦) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ .
(١٤٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .
(١٤٨) ابو عبيد بن سلام ، الاموال ، ص ٧٤ .
(١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(١٥٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .
(١٥١) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
(١٥٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٥١ .

أ – محاصيل الحبوب

الرز ، القمح ، الشعير ، الذرة ، السمسم ، الدخن والسلت نوع من الشعير يضم اليه ، والجاورس نوع من الدخن يضم اليه .

ب – البقول

الباقلاء ، اللوبيا ، الحمص ، العدس ، الجلبّان (١٥٣) .

ج – محاصيل الالياف

القطن ، الكتان

د – الخضروات (الرطاب)

الباذنجان ، اللوبيا ، الخيار ، القثاء ، البطيخ ، الرياحين

هـ – الاشجار

النخيل ، الكروم ، الزيتون ، الرمان ، الخوخ ، المشمش ، التين ، الأترج ، التفاح .

كما كان يزرع قصب السكر .

ولم تكن زراعة هذه المحاصيل موزعة بصورة منتظمة في مختلف مناطق السواد . وانما كان هناك نوع من التخصص الاقليمي يسبغ على بعض المناطق صفة زراعية خاصة ، بحيث يمكن تسمية منطقتها باسم المحصول الذي تسود زراعته فيها . وهو موضوع سيرد الحديث عنه في صفحات آتية .

خراج السواد

تعد دراسة خراج السواد مدخلاً أساسياً لمعرفة أوضاع الزراعة التي كانت سائدة فيه ، ومعرفة تباين صورها من ناحية لاخرى . فالخراج يمثل مجمل النشاط الزراعي ويعين على تحليل متغيراته ، ولكن المراجع التاريخية والجغرافية لم تحفظ قائمة مفصلة عن خراج السواد في أي من عصر الخلفاء الراشدين

(١٥٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١١٤ .

والدولة الأموية . بل تذكر تقديراً عاماً لمجموع الخراج الذي كان يُجبى . فقد ذكر إبن خرداذبة (أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) جبى السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين الف درهم . وجباه الخليفة عمر بن عبدالعزيز مائة ألف أف وثمانية وعشرين الف ألف درهم)(١٥٤) . وذكر ابن حوقل ما جباه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قال : (انه جبى السواد فبلغت الجباية مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم . وجباه عمر بن عبدالعزيز مائة ألف ألف وعشرين الف الف درهم)(١٥٥) . وذكر قدامة بن جعفر إن جميع إرتفاع السواد كان ايام المأمون والمعتصم مائة الف الف واربعمائة الف وسبعة وخمسين الفاً وستمائة وخمسين درهماً(١٥٦) .

ويدل مقدار الخراج في هذه العهود ، بغض النظر عن الاختلاف البسيط في مقاديره ، على أن مساحة الأرض بقيت دون تغير واضح . وأن طاقتها الانتاجية لم تتغير ، على ما يبدو ، طوال هذه المدة . ويمكن ان يستشف من هاتين الظاهرتين أن صيانة التربة وإدامة جودتها ظلتا على وتيرة واحدة ، من إدامة موارد المياه . وغمر الأرض للحيلولة دون تجمع السباخ . والذي يساعد على ذلك هو ان معظم أرض السواد تسقى سيحاً . وعملية غسل التربة من حين لاخر وقت الفيضان ، مما يصطلح على تسميته اليوم بالتطّيب ، أمر سهل ميسور .

ولكن مراجع العصر العباسي تختلّف عن ذلك ، فقد حفظت قوائم مفصّلة كاملة عن مقادير الخراج . وكميات الانتاج على أساس الوحدات الادارية المعمول بها آنذاك. أي أنها جعلت من التقسيم الاداري وحدات جغرافية تعكس

---

(١٥٤) عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ١٤ — ١٥ .

(١٥٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١١ .

(١٥٦) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٦٨ .

صور الاختلاف من وحدة لاخرى . وهي بيانات تفي بحاجة البحث الجغرافي وإن اقتصرت على ذكر بعض المحاصيل . ولعل ما ورد في كتب الادب الجغرافي العربي من إشارات وذكر ما تشتهر به بعض مناطق السواد ما يسد بعض النواقص.

اقاليم السواد الزراعية

ان الاقليم الزراعي ، من الناحية الجغرافية ، لا يعني بالضرورة منطقة تغلب فيها زراعة محصول معين على سائر المحاصيل ، بل ان تعدد ما يزرع فيها من محاصيل واختلافها قد يصبح السمة الغالبة على النشاط الزراعي فيها . وتسمى عندئذ كل منطقة وفقاً لما تغلب زراعته فيها . ويمكن ان نتبين من كتب التراث بعض الخصائص الاقليمية الزراعية التي إتسمت بها أرض السواد .

سر من راى

ذكر ابن حوقل (سامراء لها نخيل وكروم وغلات تحمل الى مدينة السلام)(١٥٧) . وتحدث اليعقوبي عن إعمار الجانب الشرقي منها ، بعد ان فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء فيه قال : وحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشأم والجبل وسائر البلدان . . . فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي بسرّ من رأى وصلح النخل وثبتت الاشجار وزكت الثمار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل، وزرع الناس أصناف الزروع والرياحين والبقول والرطاب . وكانت الأرض مستريحة ألوف سنين فزكا كلٌ ما غرس فيها وزرع بها(١٥٨) .

بغداد

يقول اليعقوبي (غرسوا النخل الذي حمل اليهم من البصرة فصار ببغداد اكثر منه بالبصرة والكوفة والسواد ، وغرسوا الاشجار واثمرت الثمر العجيب

(١٥٧) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٨ .
(١٥٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

وكثرت البساتين والأجنّة في رياض بغداد من كل ناحية لكثرة المياه وطيبها(١٥٩) وذكر المقدسي ان بغداد بين نخل ، وان زراعته تكثر في قطر بُل . (١٦٠) . وذكر ابن حوقل قال : وبين بغداد الكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه انهار من الفرات . وأوال هذه الانهار مما يلي بغداد .

– صرصر ، وهي مدينة عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار

– نهر الملك ، مدينة اكبر من صرصر ، وهي اكثر نخلاً وثمراً وشجراً

– سورا ، اكثر تلك النواحي كروماً وأشربه (١٦١). ويقول المقدسي عنها بها فواكه كثيرة واعناب . (١٦٢) .

تكريت

معدن السمسم – (١٦٣)

عكبرا

كثيرة الفواكه جيدة الاعناب (١٦٤) .

النهروان

كثيرة الغلات والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة (١٦٥) . فاذا جزت النهروان الى الدَّسْكَرة خفت المياه والنخيل ، ثم يصير من الدسكرة الى حد حُلْوان كالبادية المنقطعة (١٦٦) .

---

(١٥٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .
(١٦٠) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١١٩ – ١٢٠ .
(١٦١) ابن حوقل . صورة الارض ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .
(١٦٢) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١١٧ .
(١٦٣) المصدر نفسه ، ص (١٢٣) .
(١٦٤) المصدر نفسه ، ص (١١٧) .
(١٦٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٨ .
(١٦٦) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٨٦ .

الكوفة ونواحيها

الكوفة والقادسية والحيرة والخورنق على طرف البادية مما يلي الغرب ، ويحيط بها مما يلي الشرق النخيل والانهار والزروع . والقادسية على شفير البادية ، وهي مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وزروع ، ليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر (١٦٧) . وحول الكوفة نخيل وبساتين .

واسـط

تحيط بحدها الغربي البادية بعد مزراع يسيرة ، وهي خصبة كثيرة الشجر والنخل والزرع (١٦٨) .

البصرة

بها نخيل متصلة نيفاً وخمسين فرسخاً متصلاً ، لايكون الانسان منه في مكان الابحيث نهر ونخيل ، او يكـون بحيث يراهما (١٦٩) . وبالبصرة أجناس من التمور تسعة وأربعون هي : الضبّي ، الحرثي ، الخيشوم ، الصخري ، البشكر ، الطبرزد الأحمـر الأصفـر ، الخستواني ، المعقـلي ، الآزاذ ، الهلياث ، الكرامي ، القثرية ، القريطي ، الهيروم ، البدالي ، الريفي ، العروسي ، الباذنجاني ، الابراهيمي ، الزنبوري ، اليعضوض ، البرناج ، المحلر ، البيروني ، الشويقي ، الجيشوان ، العمري ، القرشي ، اليمامي ، البرني ، السهرير ، الحزكان الحادمران الاصغر ، المحكرم ، القصب ، الجناني ، المدحرج ، الغزالي ، الشرقي ، الخوارزمي ، الفحل ، المابوري ، بيض البغل ، الفاوسان ، وبها صيحاني نقلة أبو احمد الموسائي من المدينة (١٧٠) . والاسماك والتمور بها كثيرة . ذات لحم

---

(١٦٧) المصدر نفسه ، ص ٨٢ ــ ٨٣ .
(١٦٨) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص .
(١٦٩) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٨٠ .
(١٧٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ .

وخضر وأقطان والبان (١٧١) . ومنها تحمل التمور الى الأطراف والحناء ، ولهم خز وبنفسج وماورد ، وبالأبلة تعمل ثياب الكتان (١٧٢) .

ويلاحظ في كل ماورد ان المراجع تصمت عن ذكر زراعة الحبوب الكبيرة . كالذرة والرز ، في حين تذكر مناطق زراعة الحبوب الصغيرة كالسمسم والدخن . والواقع ان زراعة الرز تحتل مساحات واسعة في البطائح الممتدة بين كسكر والبصرة . وكانت تعتمد الى حد ما على اليد العاملة المجلوبة ، أمثال زط السند الذين استقروا في البطائح جنوب كسكر. وأن الرز يكون مادة غذائية رئيسية لسكان المنطقة ، وان زراعته تنتشر في هذه البطائح ، وحقوله تشغل مساحة تزيد سعتها على غيره من المحاصيل ، حتى اكسب المنطقة سمة زراعية معينة . وكان الناس يصنعون خبزهم منه . وكان الشاعر نصر بن أحمد البصري (ت ٣٣٠ هـ) ، المعروف بالخبز أرزي في شبابه خبازاً يصنع خبز الأرز بدكانه في مربد البصرة (١٧٣) .

ولكن المراجع الجغرافية العربية تحفظ قائمة مفصلة عن مناطق زراعة القمح والشعير حسب وحداتها الادارية . وقد استخرج محمد ضياء الدين الريّس قائمة كاملة نقلها من تضاعيف هذه الكتب ، اقتصرت على خراج القمح والشعير لكل منطقة. وهي قائمة . رغم اقتصارها على هذين المحصولين، تعين الباحث الجغرافي في معرفة الاقاليم الزراعية في أرض السواد .

---

(١٧١) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(١٧٢) المصدر نفسه . ص ١٢٨ .

(١٧٣) الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ديوان الخبز ارزي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الجزء الاول ، المجلد الاربعون ، ١٩٨٩ ، ص ٩٢ .

جدول (١)
خراج السواد في مطلع القرن
الثالث الهجري

المنطقة	الحنطة (بالكر)*	النسبة من المجموع	الشعير (بالكر)	النسبة من المجموع	الدراهم	النسبة من المجموع
المجموع	٧١٦٥٠	—	١١٢٠٥٠	—	١١٥١٤٨٤٠	
(غرب دجلة)						
سقي الفرات ودجيل	٤٣٦٥٠	٪٦٠	٨٠١٥٠	٪٧١	٩٦٨٤٨٤٠	٪٨٤
(شرق دجلة)						
سقي دجلة وتامرّا	٢٨٠٠٠	٪٣٩	٣١٩٠٠	٪٢٨	١٨٣٠٠٠٠	٪١٥

المصدر :

محمد ضياء الدين الريّس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص٥٢٧ – ٥٢٨

* الكُرّ : وحدة الوزن الذي تقدر به كميات الحبوب المأخوذة للخراج المسجلة في قوائم الخراج الرسمية في العصر العباسي ويساوي ١٦٥٠ كيلوغراماً . الريس ، ص ٣٤٨ ويذكر هنتس ، ان الكر مكيال عراقي قديم ويساوي كر القمح عنده ٢٩٢٥ كيلوغراماً ، وكر الشعير يساوي ٢٤٣٧٫٥ كيلوغرام . ص ٦٩ – ٧٠ .

يتضح الجدول المذكور ان المنطقة الواقعة غرب دجلة ، أي المنطقة المحصور بين دجلة والفرات ، كانت تكوّن المنطقة الرئيسة لزراعة القمح والشعير . ويرتبط ذلك بكثرة الانهار التي تنحدر اليها من الفرات . وسهولة الري سيحاً ، وجودة التربة ، والنقـــل النهري الرخيص الذي توفره انهـــار المنطقة ، لاسيما عيسى ونهر الملك . إذ يمكن عن هذا السبيل نقل سلعة كبيرة الحجم رخيصة الثمن ، كالقمح والشعير . بكلفة اقتصادية من مناطق انتاجهما الى سوق بغداد الكبير .

ويمكن الكشف . بطريقة علمية موضوعية عن معالم جغرافية زراعة هذين المحصولين وتباين مناطق انتاجهما . إذ يمكن تقسيم الوحدات الادارية حسب مقدار خراجها . مرتبة من اعلى مقدار الى اقل مقدار الى أربعة أقسام يتساوى عدد في كل قسم منها .

ويتضح من توزيع مقادير خراج الحنطة (جدول ٢) ، ان المنطقة الرئيسة لانتاج هذا المحصول في أرض السواد تتركز في نواحي : كسكر ، الرذانين ، باداريا وباكسايا ، بادوريا ، الرومقان . مسكن ، بابل وخرطينة ، إيغار يقطين ، براز الروز . كوثى . النهروان الاعلى . واذا استثنينا نواحي نواحي بادوريا براز الروز و كوثى والنهروان الاعلى والرذانين ، فان معظم نواحي اقليم القمح هذه تقـــع في غرب دجلة . ومن المعروف ان مناطق زراعة القمح في هذا الجزء من العراق تنتشر حيثما تجود التربة وتقل موارد الماء نسبياً ، وما يصاحب ذلك من قلة كثافة السكان وقلة زراعة الخضر والبساتين . وهذه متغيرات تعم في هذه النواحي .

أما أقل نواحي السواد خراجاً من القمح فتشمل: سورا وبربيسما . الذبيين . البندنجين ، السيبين والوقوف ، الفلوجة العليا . روذ مستان . النهرين ، عين تمر . نهر بوق . الدسكرة والرستاقين وحلوان ، وتقع معظم هذه النواحي في الجانب الغربي من دجلة كذلك ما عدا ، الدّسكرة والرستاقين ، نهر بوق ، حلوان ، الذبيين والبندنجين .

وقد ارتبطت عدة متغيرات على قلة مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً في هذه النواحي . وهذه تجمع بين ضيق الاراضي المنبسطة كما هي الحال في حلوان ، او شحة المياه التي تعاني منها نواحي عين تمر والدسكرة والرستاقين ، او منافسة محاصيل اخرى تدر دخلاً اكثر . أي ان زراعة القمح هنا خضعت لما يعرف بقانون الفائدة المقارنة ، وضعف مايدره المحصول ازاء منافسة محاصيل اخرى . فزراعة القمح لا يمكنها منافسة زراعة البساتين في عين تمر ، او زراعة الكروم في سورا مثلاً . فضلاً عن ان كثافة السكان ترتفع في مثل هذه النواحي . وما يصاحب ذلك من انعكاس على سعة المزارع ونواحي المحاصيل التي تزرع فيها .

ويعرض خراج السواد من الشعير (كما هو مبين في جدول ٣) توزيعاً جغرافياً يختلف تماماً عن توزيع خراج القمح إذتظهر هناك علاقة سلبية بين خراج المحصولين ، فحيثما يرتفع خراج القمح في ناحية يقل خراج الشعير فيها والعكس صحيح . وبعبارة اخرى ان هذه العلاقة توجد ، في الواقع ، بين المساحة المخصصة لكل منهما في الناحية . ويمكن ان نتبين ذلك بصورة اكثر وضوحاً إذا رجعنا الى تفاصيل الجـدول المذكور إذ يتركز إنتاج الشعير في نواحي الجانب الغربي من دجلة في كل من : كسكر ، الزوابي ، نهر جوبر . السيبين والوقوف . بابل وخطرنية . باروسما ونهر الملك ، الرومقان والفلوجة السفلى ، وعلى الجانب الشرقي منه في كل من ناحية بادرايا وباكسايا . براز الروز والرذانين . وان خراج ناحية نهر جوبر يظهر العلاقة السلبية وا ضحة بين خراج الشعير والقمح ، حيث يرتفع خراجها من ١٧٠٠ كر حنطة الى ٦٠٠٠ كر شعير ؛ ومن ٥٠٠ كر حنطة في ناحية السيبين والوقوف الى ٥٥٠٠ كر شعير .

أما أقل النواحي خراجاً على الجانب الغربي من دجلة فهي : قطربُـل ، الفلوجة العليا ، روذمستان، إيغار يقطين وعين تمر وأما على جانبه الشرقي فتشمل نواحي حلوان ، نهر بوق، جلولا وجللتا ، البندنجين والنهروان الأوسط .

جدول – ٣ –

خراج نواحي السواد من الحنطة في مطلع القرن الثالث الهجري

التسلسل	الناحية	المقدار بالكر	التسلسل	الناحية	المقدار بالكر
١	كسكر	٣٠٠٠٠	١٩	بهر سير	١٩٠٠
٢	الرذانين	٤٨٠٠	٢٠	نهر جو بر	١٧٠٠
٣	بادرايا وباكسيا	٤٧٠٠	٢١	كلواذي ونهر بين	١٦٠٠
٤	بادوريا	٣٥٠٠	٢٢	باروسما ونهر الملك	١٥٠٠
٥	الرومقان	٣٣٠٠	٢٣	الزوابي	١٤٠٠
٦	مسكن	٣٠٠٠	٢٤	نستر	١٢٥٠
٧	بابل وخرطنية	٣٠٠٠	٢٥	الجبّة والبداة	١٢٠٠
٨	إيغار يقطين	٣٠٠٠	٢٦	السيلحين	١٠٠٠
٩	براز الروز	٣٠٠٠	٢٧	جازر والمدينة العتيقة	١٠٠٠
١٠	كوثى	٣٠٠٠	٢٨	رستقباذ	١٠٠٠
١١	النهروان الاعلى	٢٧٠٠	٢٩	جلولا وجللتا	١٠٠٠
١٢	برز جسابور	٢٥٠٠	٣٠	النهروان الاوسط	١٠٠٠
١٣	الانبار	٢٣٠٠	٣١	النهروان الاسفل	١٠٠٠
١٤	قطربُّل	٢٠٠٠	٣٢	سورا وبربيسما	١٠٠٠
١٥	نهر درقيط	٢٠٠٠	٣٣	الذيبين	٧٠٠
١٦	الفلوجة السفلى	٢٠٠٠	٣٤	البند نجين	٦٠٠
١٧	فرات باذقلي	٢٠٠٠	٣٥	السيبين والوقوف	٥٠٠
١٨	سلسل ومهروذ	٢٠٠٠	٣٦	الفلوجة العليا	٥٠٠

التسلسل	الناحية	المقدار بالكر	التسلسل	الناحية	المقدار بالكر
٣٧	روذمستان وهرمزجرد	٥٠٠	٤٠	نهر بوق	٢٠٠
٣٨	النهرين	٣٠٠	٩١	السكرة والرستاقين	٢٠٠
٣٩	عين تمر	٣٠٠	٤٢	حلوان	—

دليل الجدول

الربع الاول — ٢٧٠٠ فأكثر
الربع الثاني — ٢٦٥٠ — ١٥٠٠
الربع الثالث — ١٤٥٠ — ٧٠٠
الربع الاخير — ٦٥٠ فأقل

المصدر : محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم امالية للدولة الاسلامية ص ٥٢٧ — ٥٢٨

جدول – ٣ –

خراج السواد من الشعير في مطلع القرن الثالث الهجري

التسلسل	الناحية	المقدار بالكر
١	كسكر	٢٠٠٠٠
٢	الزوابي	٧٢٠٠
٣	نهر جوبر	٦٠٠٠
٤	السيبين والوقوف	٥٥٠٠
٥	براز الروز	٥٠٠٠
٦	بابل وخطرنية	٥٠٠٠
٧	بادرايا وباكسايا	٥٠٠٠
٨	الرذانين	٤٨٠٠
٩	باروسما ونهر الملك	٤٥٠٠
١٠	الرومقان	٣٠٥٠
١١	الفلوجة السفلى	٣٠٠٠
١٢	فرات باذقلي	٢٥٠٠
١٣	سلسل ومهروذ	٢٥٠٠
١٤	سورو وبربيسما	٢٤٠٠
١٥	بزر جسابور	٢٢٠٠
١٦	مسكن	٢٠٠٠
١٧	بادوريا	٢٠٠٠
١٨	كوثى	٢٠٠٠
١٩	نهر درقيط	٢٠٠٠
٢٠	نستر	٢٠٠٠
٢١	الدسكرة والرستاقين	٢٠٠٠
٢٢	النهروان الاعلى	١٨٠٠
٢٣	نهر سير	١٧٠٠
٢٤	السيلحين	١٧٠٠
٢٥	الجبّة والبداة	١٩٠٠
٢٦	كلواذي ونهر بين	١٥٠٠
٢٧	جازر والمدينة العتيقة	١٥٠٠
٢٨	رستقباذ	١٤٠٠
٢٩	الانبار	١٤٠٠
٣٠	الذيبين	١٣٠٠
٣١	النهروان الاسفل	١٢٠٠
٣٢	قطربُل	١٠٠٠
٣٣	نهر بوق	١٠٠٠
٣٤	جاولا وجلتا	١٠٠٠
٣٥	الفلوجة العليا	٥٠٠
٣٦	روذمستان وهرمزجرد	٥٠٠

	التسلسل	الناحية		التسلسل	الناحية
٣٧	البدنجين	٥٠٠	٤٠	عين التمر	٤٠٠
٣٨	النهروان الاوسط	٥٠٠	٤١	ايغار يقطين	—
٣٩	النهرين	٤٠٠	٤٢	حلوان	—

دليل الجدول :

الربع الاول – ٣٠٠٠ فأكثر

الربع الثاني – ٢٩٠٠ – ١٨٠٠

الربع الثالث – ١٧٥٠ – ١٠٠٠

الربع الرابع – ٩٥٠ فأقل

وتتكر العلاقة السلبية بين خراج كل من القمح والشعير ، حيث يرتفع خراج ناحية نهر بوق من ٢٠٠ كر قمح الى كر شعير ، بينما ينخفض خراج ناحية النهروان الاوسط من ١٠٠٠ كر قمح الى ٢٠٠ كر شعير وهكذا .

وتركز انتاج الشعير في منطقة ما . يرتبط عادة اما بتردّي نوعية التربة ، كأن تكون أكثر ملوحة أو صخرية ، او بقلة موارد مياه الري ، او بضعف قدرتة على منافسة المحاصيل الاخرى ، للاستحواذ على الأرض في المناطق التي تجود فيها التربة وتتوفر مياه الري .

الاقاليم الزراعية

إن أرض السواد على الرغم من انتظام بيئتها على ما يبدو ، فان تفاصيل سطحها وموارد مياهها وطرق الاستفادة منها للري ، وتوزيع سكانها ومناطق تركزهم تبعث ، من الناحية الزراعية ، على نشاط متباين من مكان لآخر . ويُلاحظ بصورة عامة أن نمط الزراعة الكثيفة ، من زراعة الخضروات واشجار الثمار والنخيل ، كان سائداً في أرض السواد لا سيما في المناطق القريبة من المدن ، او على امتداد ضفاف الانهار . حيث تجود التربة وتتوفر مياه الري ووسائل النقل النهري . ومن الملاحظ ان نطاق هذا النوع من الزراعة يتسع كلما ازداد عدد سكان المدينة واتسع سوقها . إذ يتسع نطاق الزراعة الكثيفة حول بغداد ليشمل بساتين عكبرا ونخيل قُطربُل على الرغم من بعد المسافة نسبياً . ومع ذلك فقد عملت متغيرات أرض السواد واختلاف درجة أرتباطها من مكان لآخر على ظهور أقاليم زراعية متخصصة يختلف فيها طابع الزراعة عما يجاورها . ويمكن ان نجمل هذه الاقاليم على النحو الاتي انتقالاً من الجنوب الى الشمال :

١ — إقليم النخيل

ويمتد على جانبي شط العرب . وعلى امتداد الانهر المتفرعة منه ولا سيما نهر الأبلّة . ويتسع نطاق هذا الاقاليم على الجانب الغربي من النهر ، بينما يضيق على جهته الشرقية لانحدار الأرض وصعوبة توفير مياه الري. وسمة هذا الأقليم

جليّة واضحة إذ تمتد بساتين نخيله امتداداً متصلاً مسافة خمسين فرسخاً ، وتتعدد انواع تموره كما اسلفنا . وتمور هذا الاقاليم تحمل عن طريق شط العرب والخليج العربي الى سائر البلدان . وكان هذا الاقليم ينفرد بزراعة الحناء فضلاً عن محاصيل الخضر واشجار الثمار .

٢ـ ـ اقليم الرز

وينحصر في منطقة البطائح الممتدة بين جنوب كسكر وشمال البصرة . ويتميز هذا الاقليم ايضاً بثروة حيوانية تكاد تعتمد على تربية الجاموس .

٣ ـ اقليم القمح والشعير

ويقع على جانبي دجلة ، الا ان زراعة هذين المحصولين تتركز في الجانب الغربي من النهر انتقالاً من نواحي الانبار الى شمال كسكر . اما زراعتها على الجانب الشرقي من دجلة فأقل شأناً ، وتمتد من شرق كسكر الى النهروان .

٤ ـ اقليم الخضروات والثمار

ويمتد هذا الاقليم مشتبك من بغداد الى الكوفة حيث تكثر زراعة النخيل والكروم والخضروات ، ولذلك يتميز بارتفاع كثافة سكانه ، وكثرة قراه وقصباته ، وتقاربها .

٥ ـ اقليم الزراعة المختلطة

ويظهر هذا الاقليم في منطقتين ، احداهما تحيط بمدينة بغداد تتسع نحو الشمال وال الجنوب : وثانيهما تظهر على جانبي دجلة حول مدينة سامراء . والمحاصيل الزراعية الغالبة فيه ، كما سبق ذكره . هي زراعة النخيل وبساتين الكروم واشجار الثمار والخضروات والرياحين .

ان هذه الاقاليم كانت تكوّن وحدة زراعية متكاملة ، تنتقل فيها زراعة

اشجار النخيل والمحاصيل من اقليم لآخر ، كما تنقل المنتجات من اقاليم الوفرة الى اقاليم القلة . وكان النقل النهري واسطة اساسية لحركة الاتصال بين هذه الاقاليم والتبادل التجاري . ولم تحدد حركة النقل هذه بنطاق أرض السواد ، بل انها كانت وسيلة لتبادل تجاري اقليمي ، حتى اصبحت منتجات السواد تجد سبيلها الى اسواق التجارة الخارجية آنذاك .

شواهد الزمخشري في «أساس البلاغة»

الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

كلية التربية ــ جامعة بغداد

الحديث عن شواهد الزمخشري في (أساس البلاغة)، يعني الحديث عــن كتاب وضعه مؤلفه في الكلمة العربية بين حقيقة دلالتها اللغوية ، وما آلت إليه في الاستعمال المجازي ، والسياقات التي ترد فيها ، والكيفيات والهيئات .

« وكتاب الأساس » ، سماه مؤلفه بـ (أساس البلاغة) ؛ لأنه نتبع فيــه صور انتقال اللفظ من معنى إلى معنى ، في كلام المتقدمين شعرهم ونثرهم ،وفي كلام الله ــ تعالى ، وفي حديث نبيه الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وهذا الانتقال هو صورة من صور البلاغة العربية .

ولقد صدر الاستعمالات الجديدة في كلام الناس بقوله : « ومن المجاز » ، أو بقوله : « ومن الكناية » ، أو بكلتا اللفظتين : « ومن المجاز والكناية» ، أو بقوله احياناً و « من المستعار » ، أو « ومن المشتقات منه » ، وهذه الحالات التي يصدر بها عباراته المجازية ، تمثل الوجوه البلاغية التي عثر عليها في كلام المتقدمين والمتأخرين .

ومن هنا جاءت شواهده تمثل المراحل التطورية للدلالة في اللفظة العربية ، وأبرزها الشعر العربي ، وكلام الفصحاء والبلغاء ، ثم القرآن الكريم والحديث النبوي كما سنرى .

الزمخشري والشاهد الشعري

يمثل الشاهد الشعري في « أساس البلاغة » ظاهرة بارزة متميزة من بين شواهد « الأساس » الأُخرى ، كالقرآن الكريم وقراءاته ، والحديث النبوي الشريف ، والأمثال العربية ، وأقوال الفصحاء والبلغاء ، وسجع الكهان .

وأستطيع أن أقرر أن الشعر كان رائد الزمخشري في كل مادة يريد تفسيرها ، وذلك أننا قليلاً ما نجد مَوادّ لغوية خالية من شاهد شعري ، إلا المفردات التي اقتصر فيها على إعطاء معنى لها موجز عابر ، أو المفردات التي قل استعمالها في كلام العرب ، على الرغم من فصاحتها ، أو المفردات التي اقتصرت في أصل دلالتها على الحقيقة ولم ير لها استعمالاً مجازياً في شعر عربي .

وربما يكتفي في بعض تفسيراته على ورود اللفظة في آية ، أو حديث أو مثل ، وبذلك يكون للشعر المقام الكبير في تقرير دلالات المفردات المختلفة ، في مستويات الاستعمالات المتعددة ، بين الحقيقة والمجاز ، مع اقتران ذلك بالمكان والزمان لكل استعمال وسياق .

ولقد تناولت مئتي مادة من مواد « الأساس » ، تتبعت فيها مقدار ما ورد فيها من شواهد شعرية ، موزعة بين الرجز والشعر القريض بأنواعه المختلفة ، وبحوره المعروفة ، فكان الشعر هو الغالب في استشهاداته ، على الرغم من أنّ الرجز يمثل ظاهرة واضحة من بين شواهده الشعرية الأخرى .

ومن الواضح أن معظم شواهده الشعرية منسوبة إلى قائليها . ومن خلال مئتي المادة التي أحصيت شواهدها الشعرية رأيت أنّ المؤلف قد أورد شعراً لمئة وأربعة شعراء موزعين بين شعراء جاهليين ، من أمثال : عنترة ، وامرئ القيس ، والأَفْوَه ، وطَرَفَة . وزُهَيْر ، والنّابغة ، والأعشى ، والحارث بن حِلّزة ، ولَبيد ، والمُرَقّش ، وطُفَيْل . ودُرَيْد ، وعلقمة ، وأَوْس ، والمُتَلَمِّس ، وتأبّطَ شرّاً ، وغيرهم . تختلف نسب ورودهم باختلاف الاستفادة من شعرهم المستَشْهَد به . فالنابغة — مثلاً — يحتل المكان الأول من بين شعراء الجاهلية في

كثرة الشعر المستشهد به في « الأساس » ، يليه الأعشى ولبَيد في الأهمية ، ثــم زهير . فسائر شعراء ما قبل الإسلام .

وحين يحاول الباحث رصد الشواهد الشعرية الإسلامية والأُمَويّة ، يجد أنّ اتجاه المؤلف صوبَ شعر ذي الرُّمَّة واضح جليّ ، فقد حظي شعر هذا الشاعر بعناية أبي القاسم الزمخشري عناية كبيرة ، بحيث استوفى مفردات ديوانه في « أساسه » ، ويكفي أن نشير إلى أنه ذكره في ستة وخمسين موضعاً باسمه الصريح وبموادّ مختلفة مما سبق ذكره من المواد التي أحصينا شواهدها .

وتبدو شدة ولعه بلغة ذي الرُّمَّة من تكْرار شواهده في المادة الواحدة، فضلاً عن حرصه على الإتيان بشعره الشاهد كلما وجد إلى ذلك سبيلاً . ومن الأمثلة على ذلك قوله في مادة : (زمم) (١) .

« ومن المجاز : هو زمام قومه ، وهم أزمّة قومهم قال ذو الرمّة :

بــني ذوْ أدٍ ، إنّي وجــدتُ فَوارِســي
أزمــة غــاراتِ الصّيــاح الــدوالــق

الدّلْقة : الدفعة الشديدة . . .

وزمّت الناقة الإبل ، كانت زِماماً لها تتقدمها .

قال ذو الرُّمَّة :

مهريــة بــازل ســير المطــيّ بهــــا
عشــيةَ الخِمْسِ بالمَوْمــاةِ مَــزْمُوم

وقال أيضاً ـــ :

تزمُّ بيَ الأُرْكُوبَ أدْمــاءُ حُــرّةٌ
نهوزٌ وإن تستَذْمِلِ العيسَ تَذْمُــلِ

(١) الأساس : ٤٠٨ .

وزمَّ نابُ البعير ، وزمّ بأنفه إذا تحجم ، قال ذو الرُّمَّة :

خِدَبّ الشَّوَى لم يَعْدُ في آل مُخلفٍ
إنِ اخضر أوْ إن زُمّ بالأنفِ بازِلُهْ

إلخ » .

وتتقارب نسب ورود أشعار الآخرين ، وان كانت أقل بكثير من شعرذي الرمة ، بين الأخطل التَّغْلَبِيّ وابن أحمر والراعي النُّمَيْري ورُؤْبة والعجّاج والكُمَيْت وجَرير فالفَرَزْدَق ، ثم الطِرِمّاح وجَميل وكُثَيِّر ، والشمّاخ وبِشر وعلي بن أبي طالب–رضي الله عنه–وأبي النجم ، وأبي وجزة ، ثم ابن ابن مُقْبل ، والجَعْدي ، وعمر بن أبي ربيعة ، ومُزاحم ، وعديّ ، وحسان ، والهُذَلِيّ – يريد به أبا ذُؤَيْب – والنَّمِر ويأتي في آخر سرد الشعراء الذين يستشهد بشعرهم قليلاً جملة من معاصري هذه الحقبة من أمثال يزيد بن الطَّثْرِية وابن الرقيات ، وأبي خراش وأبي جُنْدب ، والمتنخّل ، ومليح ، والبريق ، وابي العيّال من الهُذَليِّين(٢) ، وكعب بن زهيْر والبَعيث والقُطاميّ ، وليلى– ولعلها الأخيلِيّة – . ثم ابن هرمة ، الذي عدّه اللغويون العرب من ساقة الشعراء الذين يستشهد بشعرهم .

والذي يمكـــن ملاحظته في شواهد الزمخشري الشعرية أنه قديتمثل بشعر المولّدين حين لايجد شاهداً على ما فسّر من مواد اللغة. ولقد وقفت على جملة من أسماء بعض الشعراء المغمورين ، أورد لهم شعراً فيه مفردات مفسرة في « أساسه » . من هؤلاء مثلاأبو الغريب البصري (٣) في قوله :

ترنّحُ بالكلام عليَّ مهلاً   كأنك ما جدٌّ من آل يَـــدُرْ

ومنهم أناس عاشوا في عصره ، حين جاور في مكة ، قال : « وبات مُزَفْزِفاً

(٢) انظر : الاساس : ٣٨٥ و ص ٣٩٢ منه .
(٣) انظر : ص : ٣٧٥ (رنح) وانظر ص : ٣٩٩ (زعزع) .

قال :

وأنشدني سلامة بن عياش اليَنْبُعِيّ بمكة يوم الصدر:

فبت مزفزفاً قد أنشبتني
رسيسةُ وردٍ بينهمُ أحاحا

لعلمي أن صرفَ البين يُضْحي
يُنيل العينَ قرتَها لماحا (٤)

كما نقل شاهداً لابن فسوة عن الجاحظ (٥)

ومن الشعراء الذين يُعَدّون في زمرة المولّدين ، الأعراب الذين يفدون على قصور الخلافة ، فيمتدحون الخلفاء والوزراء والأمراء وقادة الجيش في العصر العباسي ، فلقد حاول الزمخشري أنْ يستفيد من شعرهم في تبيان دلالة مفردات اللغة ، ولا سيما الجانب المجازي منها فحين أراد أن يعطي دلالة (جَهير) (٦) نقل قول أعرابي في الرشيد :

جَهيرُ الرُّواء جَهيرُ الكلام جَهيرُ العطاسِ جَهير النَّعَمْ

ويحطو على الأين حطو الظليم
ويعلو الرجالَ بخلق عَمَمْ

ومن هذا القبيل ما ينسبه الى مجهول ، مثل قوله ، . « ولبعضهم :

زمانننا نحرُها لم يبد حجمُهما
بلى بدالهما حجم كلا بادي »(٧)

(٤) الاساس : ٤٠٢ (زف) .
(٥) نفسه : ٣٩٨ (زرع) .
(٦) مادة (جهر) : ص ١٤٤ .
(٧) مادة (حجم) : ١٥٦ .

والبيت ضعيف السبك ، لا يرتقي إلى عصور الاستشهاد كما يبدو . ومن ذلك مايرويه لبعض الحجازيّين الذين التقاهم ، كقوله : « وأنشدني بعض الحجازيين . . . » وأورد له بيتي شعر في مادة (أذن) :

ويرد في كثير من المواضع التي يستشهد فيها بالشعر أنه يعتمد على ما اعتمدت عليه مصادره المتقدمة ، ككتب سيبويه ، والجاحظ والمازني ، وابن الأعرابي ، والأصمعي وثعلب ، ويُصدّر هذه الشواهد – غالباً – بقوله : « وأنشد سيبويه .» أو « وأنشد الأصمعي . .» وأنشد ابن الأعرابي » و«أنشد الأصمعي .. و« أنشد ثعلب . . » و « أنشد الجاحظ . . »

ومن هذا القبيل قوله : » وبأسنانه حَبْرَةٌ وحِبِرٌ بوزن بِلِزٍ وأنشد المازني :

ولسـت بسعـديّ على فيـه حَبْرَةٌ

ولسـت بعبـديّ حقـيقتـه التمـر (٨)

ومـع هذه العناية الواضحة من الزمخشري بنسبة الشاهد ومحاولة إسناده الى مُنْشِده . فانّ الكثير من الشواهد الشعرية الأخرى ، اكتفى المؤلف في ايرادها بلفظ : « قال » أو « قوله» أو « قالت » ويمكن أن نفسر هذا المنهج من المؤلف بأنه اعتمد – غالباً – في ايراد الشاهد على المتقدمين من اللغويين ، فما كان منسوباً منها نسبه ، وما كان مهملاً . أهمله .

أو لعله أهمل نسبة الشاهد ، لكونه معروفاً عند الباحثين اللغويين – على عصره – . والذي يؤكد لنا هذا الذي نزعمُهُ أنّه صَدّر بعض الأبيات بلفظه (قالت) . وهي دالة على أن الذي نظم البيت شاعرة معروفة : ومن ذلك قوله في تفسير دلالة (زعزع) : قال : قالت :

فواللـه لـولا اللـه لا رَبَّ غـيره

لزُعْزِعَ مـن هـذا السَّرِيرِجَوانِبُهْ (٩)

(٨) الاساس : (حبر) : ١٤٩ وانظر مادة(جزل) .

(٩) مادة (زعزع) : ٣٩٩ .

فقد ميَّز القائلة من القائل كما ترى .

واغلب الظنّ أنّ الزمخشري كان يهمُّه من مثل هذه الشواهد بيان دلالة اللفظ ، وفصاحة الكلام ، وصحة التركيب ، وتوضيح موطن المجاز في الاستعمال

ولقد تبين لي من خلال (مئتي المادة) المذكورة أن المؤلف أهمل ما يزيد على تسعين شاهداً منها ، وهو مقدار كبير إذا ما علمنا أن (١٦٥) شاهداً فقط هي التي نسبها ، أي : بنسبة : ٥ر٥٤ ٪ من غير المنسوب .

وتأتي بعض نصوص الشعر منسوبة إلى شعراء منسوبين إلى قبائل أو يسميهم بكُناهم ، ومن أمثال ذلك قوله :

« ولقد أحسن أبو الحسن في قوله :

ومكـــة راووق الرجـــال ، فهـــاكـــه
مصفّى ، وخُذْ من شئت منهم مكدّرا »(١٠)

وقوله : « وقال رجل من الضّباب :

قـــد أدبـــر الليـــل وقضّى أربَـــــهْ
وارتفعـــت فـــي فلكهـــا الكوكبـــه
كأنهـــا مصباح ديـــر الرَّهـبَـــهْ » .(١١)

وقوله : « وقال رجل من جرم :

إنـــا إذا الحـــرب تساقيهـــا المـــــال
وجعلـــت تلفـــح ثـــم تختـــــال
يـــرهب عنـــا النـــاس طعـــن إيغـــــال
شـــزر كأفـــواه المـــزاد الشـــاشـــال » .(٣)

---

(١٠) مادة (روق) : ٣٨٣ .

(١١) نفسها : ٣٨٥ .

وربما سرد الشاهد الشعري في درج الكلام ، ولم يشر في صدره إلى قائل، ولم يذكر لفظة « قال » ، كما هو شأنه في سرد الشاهد القرآني . ومن هذا القبيل قوله :

« زنجر فلان لفلان ؛ إذا قرع بظفر إبهامه ظفر سبّابته ، يريد : ولا أعطيك مثل هذا .

وأرسلت إلى سلمى بأن النفس مشغوفة
فما جادت لنا سلمى بزنجير ولا فوفه(١٢)

وعلى الرغم من أن البيتين ذكرهما الخليل في العين (١٣) ، وأن تفسيره الزنجير . هو الذي نقله الزمخشري عنه ، فإن البيتين مولدان في الغالب ، وقد نقلهما الأزهري في التهذيب . وأشار إلى أن زنجيراً وزنقيراً دخيلان(١٤) ونقل صاحب اللسان كلام الأزهري(١٥) بتمامه . وتابع صاحب القاموس المحيط من تقدمه فلم يخرج عنهما في تفسير (فوفة) و (زنجر) . ولم يورد البيتين المذكورين (١٦) .

ويهتم الزمخشري في رواية شاهده الشعري بما يناسب منها المادة التي يفسرها ، ويتضح هذا المنهج في إيراده بيت عنترة العَبْسي :

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ؟
أم هل عَرَفْتَ الدّارَ بعد تَوَهُّمِ ؟

فقد أورد الشطر الأول منه في مادة : (ردم) شاهداً على قوله : « مُتَرَدَّم »

---

(١٢) الاساس : ٤٠٩ .
(١٣) العين : كتاب الجيم ــ في الرباعي .
(١٤) التهذيب رباعي القاف : زتقر .
(١٥) لسان العرب : (زنجر) .
(١٦) القاموس المحيط : (فوف) : ٣/١٨٨ و (زنجر) : ٢/٤٣ .
(١٦) الاساس : ٣٣٤ .

(١٦) ، ثم تناول الشطر الثاني في مادة (رمم) فجاء بالشطر شاهداً على (مترمم) قال : ومنه بيت عنترة : هل غادر الشعراء من مُتَرَمَّم(١٧) ؟

ولم يشر إلى أن : « من مُتَرَمَّم » هي رواية ثانية .

وغالباً مّا يصدّر الزمخشري شاهده الشعري بـ « قال » بلانسبة ، وقد ينسب البيت بقوله : « قال طُفَيْل . . » و« قال امرؤ القيس — » . إلا أنه يذكر مناسبة البيت ، أو غرض القصيدة التي جاء البيت فيها ، فيقول — مثلاً — « قال مزاحم في وصف ذنب البعير : (١٨)

مَروحةِ الدّاريّ ظلّ يُكِرُّها بكفِّ المُزَهّي سكرة الريح عوُدها

والزمخشـــري في توزيع شواهـــده الشعرية على موادّ كتابه ، واعٍ ما تقدم منها وما تأخر ، فهو يشير في أثناء سرده شاهده إلى تقدم الشعر ، أو تكراره في أكثر من موطن ، ومثله قوله : « قال ، وقد ورد سابقاً :

انا إذا الحربُ تساقيها المال
وجعلت تلفح ثم تختال
يرهب عنا . . . . . . الأبيات (١٩)

ويحرص على أن يورد البيت الشاهد بتمامه ، وربما تعدّى البيت الواحد الى أبيات . وهذه الحالة واضحة في عُظم موادّ « الأساس » . غير أنه قد يكتفي بجزء من البيت . ويصل هذا الجزء — أحياناً — إلى اقتصاره على كلمة أو كلمتين : إحداهما موطن الشاهد ، كقوله في (هيل) « قال أبو كبير : فَشَبّ غير مُهَبَّلِ » (٢٠) .

---

(١٧) مادة (رقم) : ٣٧٤ .

(١٨) زهو : ٤١٤ وانظر مادة (سقف) : ٤٤٨ للمسيب و : ٤٦١ وانظر (يبب): ١٠٧٢ .

(١٩) مادة (سقى) : ٤٤٨ — ٤٤٩ .

(٢٠) الأساس : ١٠٤٧ .

وهو جزء من شطر .

وقوله : « ومن المجاز : لبنه بالعصا والحجر : ضربه ، وهو من قوله :

تحيّةُ بينهم ضَرْبُ وجَيعُ » (٢١)

وهو شطر بيت لعمرو بن مَعْدِ يكَرِ بَ .

ويبدو منهجه في اختياراته شواهده بين التجزئة والتمام في (الرجز) أكثر من الشعر القريض ، فهو قد يسرد الشطر الواحد من الرجز (البيت الرجزي) وقد يثنيه ، أو يثلثه ، أو يتعدى ذلك . ومن يتصفح (الأساس) ، يتَرَهذه الظاهرة واضحة في تناول شاهده الرجزي ومن الظواهر التي يلمسها الباحث في (اساس البلاغة) أن مؤلفه لم يخله من نظمه الخاص في بعض المواضع من كتابه ، ففي تفسيره مادة (طما) أورد في (مجازلها) بيتاً للأعشّى ، ثم أعقبه ببيت من شعره ، قال : « وطما به الهم والخوف : أشتد ، ولعبد الله الفقير إليه : » (٢٢)

قد طمابي خوفُ المنيةِ لكين   خوفُ ما يَعْقُبُ المنيّةَ أطْمى

لم يترك المؤلف شواهده هملاً بلا تفسير أو شرح ، فقد حاول في الكثير مما أورد من شعر أن يبيّن دلالة (المفردة المستشهد (لها) . أو أن يعطي معنى البيت كاملاً . وربما نقل تفسير الشاهد من مصادره التي اعتمدها في رفد الكتاب وقليلاً مّا يترك الشاهد بلا عنايه به .

ومن الأمثلة على عناياته بشواهده الشعرية ما قاله في بيت أبي النجم مستشهداً به على دلالة (عرّف) . فقد صدّره بقوله : « وقال أبو النجم يصف مَرَحَ ناقته . وأنها كانت نشيطة الليلة كلها وما ذلّت إلا عند الصباح :

---

(٢١) نفسه : (لبن): ٨٤٥ وانظر : (لبق) : ٨٤٤ .

(٢٢) نفسه (طما) : ٥٩٥ . وانظر كذلك مادة (نطع) بيتين له صدرها بقوله: « ولجارالله العلامة رضي الله عنه : ــ » .

فما عرفتْ للذُلّ حتى تعطفت

يقرنٍ بدا من دارة الشمس خارج » (٢٣)

ومن نقوله للشاهد وتفسيره من غيره . قوله ينقل من الجاحظ :

إذا خرس الفحل وسط الحُجُول

وصاحَ الكلابُ وعُقّ الولَدْ

قال الجاحظ : معناه أن الفحل الحصان — إذا عاين الجيش وبوارق السيوف ، لم يلتفت لفت الحجور ، ونبحت الكلاب أربابها لتغير هيئاتهم ، وعقّت الأمهات أولادهن ، وشغلهن الرعب عنهم »(٢٤) .

وقوله يفسر «أحلام نائم» وقد استمد معناه مما عرفه هو نفسه من أهل المدينة أنّهم يُسَمُّونَ ثياباً غلاظاً مخططة (أحلام نائم » . ويعبرون بها مجازاً عن الأماني الكاذبة : « قال :

تبدلت بعد الخيزران جريدةً وبعد ثياب الخز أحلام نائم

يقول : كبرت ، فاستبدلت بقدّ في لين الخيزران قداً في يبس الجريدة وبجلد في لين الخز جلداً في خشونة هذه الثياب »(٢٥) .

ومن شواهده التي يفسر فيها المفردة المقصودة ، قوله :

« وتبسمت عن أشنب ذي ظلم . قال كعب بن زهير :

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنه مُنْهَل بالراح معلُولُ

قال أبو مالك : الظَّلْم ، كأنه ظُلْمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاء »(٢٦) .

---

(٢٣) الأساس : ٦٢٤ .
(٢٤) نفسه : (مجر) : ١٥٤ .
(٢٥) نفسه : (ملم) : ١٩٥ .
(٢٦) الأساس : (ظلم) :٦٠٦ .

ويلاحظ في بعض إيراداته لشواهده الشعرية . أنه قد يستطرد في تفسير موادّ تضمنها البيت الشاهد ، ويهمل موطن الشاهد من البيت ففي مادة (زجّ) ، أورد بيتاً لذي الرُّمَّة يصف حُمُراً ، فيقول :

وقد أسهرت ذا أسهم بات جاذلاً
له فوق زُجَّيْ مرفقيه وحاوح

من الوحوحة ، وهي صوت في الحلق ، وترديد نفس ، يقال : وحوح من شدة البرد » (٢٧) .

ومن هذا القبيل ما نقل عن الجاحظ ينشد لابن فسوة : قال :

ولولا دواء ابن المحل وعلمه
هررت إذا ما النّاس هَرَّ كليبُها
وأخرج بعد الله أولادزارع
مولعة اكتافُها وجُنُوبُها

هو ابن المحل بن قدامة ، كان يداوي من الكَلَب : والكلِبُ يَهِرُّ كالكلب ، ويقال : إنّ الكلَب الكلِب ، إذا عَضّ إنساناً ألقحه بأجر صغار ، فإذا دووي ... الخ (٢٨) » .

ومن الواضح أن الزمخشري – هنا – ناقل للنص من الجاحظ ، إلا أنه نقله باستطراده المعروف ، تيسيراً للفائدة وتتميماً لتوضيح معنى الشاهد ، وهو أمر يتساوق مع منهجه الثابت في تفسير الكثير من شواهده الأخرى في غضون الكتاب

وحاصل القول : ان الشاهد الشعري عند الزمخشري في (أساسه) يمثل صورة رائعة من التزام المؤلف تعضيد دلالة المفردات العربية عند الاستعمالات المختلفة ، والسياقات المتنوعة ؛ لأن الشاهد الشعري يعطينا المثال الصحيح

---

(٢٧) نفسه (زجج) : ٣٩٤ .
(٢٨) نفسه (زرع) : ٣٩٨ .

والدقيق ، لتحول دلالة المفردات بين الحقيقة والمجاز ، في الزمن والمكان . ولقد رأينا المؤلف كيف يربط بين دلالة اللفظ عند الناس ، أو أهل مدينة معينة أو العرب في باديتهم ، واستعمال الشاعر لذلك اللفظ في حالة من حالاته المتعددة المختلفة .

ولما كان الكتاب قد وضع أساساً لتوضيح الأوجه المجازية لاستعمال المفردة العربية ، لذا كان الزمخشري قد أصاب هدفه المطلوب بدقة متناهية .

الشـــاهد القرآني

يشغل الشاهد القرآني في الأساس مساحة كبيرة في ركني الدلالة : (الحقيقة والمجاز) ، وذلك لما للقرآن الكريم من منهج متميز في الفصاحة والبلاغة العربية ، ودقة في استعمال المفردة العربية المعبرة عن الغرض القرآني المطلوب .

واستشهاده بالآي القرآني الكريم ، يندرج — غالباً — في جملة الكلام ولا يميزه منه إلا القوسان اللذان يحصران الآية ، فلا يصدر الآية بقول ، ولا ينص على أنها آية ، وذلك أنّ الزمخشري يعتقد في نفسه أن القرآن الكريم لا يحتاج إلى التدليل عليه لوضوحه وبيانه ، ومعرفة القارئ به .

وتأتي النصوص القرآنية منبثّةً في أول النص اللغوي ، أو في حشوه ، أو في آخره ، بحسب الحاجه إليها .

ففي مادة (ألل)(٢٩) بدأ النص بالآية مباشرة ، قال : « ألل : [لا يَرْقبُون في مُؤْمِنٍ إلاًّ ولا ذِمَّةً] ، أي : قرابةً ، وعجب ربّكم من ألّكم .. الخ المادة . وهذا الضرب كثير في تضاعيف الكتاب ، وفي القليل النادر أن يقول : « وقد فسر قوله — تعالى — : [قوماً جبّارين] : بعظام الأجرام» (مادة : جبر) .

(٢٩) الاساس : (الل) : ١٨ وانظر (تلل) : ٨٢ (شرب) : ٩١ .

وقد يورد شاهده القرآني بعد إعطاء تفسير المادة ، ويردف ذلك بالآية ، قال : « ت / ب / ب : أو سعه سبّاً ، واسمعه تبّاً ، وتبّب القوم : ودعا عليهم بالتبّ : [وما زادُ وهم غير تَتْبِيتٍ] (٣٠) » .

وهذا النمط من الإيراد ، يجعل النص القرآني مندرجاً بكلامه من غير إشعار به ، ففي (جذذ) ، قال : « جذّ الحبل ، وعطاء غير مجذوذ وجعله جذاذاً وسقاهم الجذيذ والشراب اللذيذ ، وهو السويق »(٣١) .

فالمفردتان (مجذوذ) و (جذاذاً) قرآنيتان — ولكنه أدرجهما خلال تعبيراته من غير تنصيص .

وقد تتوالى الشواهد القرآنية ، اذا وجد فيها بغيته ، ففي مادة (خصم) يجد الزمخشري في آيات القرآن الكريم « اختصم » و(الخصام) و(خَصِمونَ) فيورد ما يناسب المادة المفسرة (٣٢) وقد يتبع الآيات بعض تفسيرات لمفرداتها ، يقول في مادة (كبر) : (٣٣).

« كبر الأمرُ ، وخطب كبير ، وكبرُ على ذلك ، إذا شقّ عليك (كبر على على المشركين ما تدعوهم إليه . . . . يقال : كبْرُ سياسة الناس في المال (والذي تولىّ كِبْرَه منهم) قرىء باللغتين (٣٤) . . . (ومكروا مكراً كُبّاراً) . . . وأكبرتهُ : أعظمته (فلمّا رَأَيْنَهُ اكبرنَهُ) : عظم في صدورهن . . »

وقد يكون القرآن . وحده — شاهداً للزمخشري من دون أن يعتمد على غيره من الشواهد العربية الأخرى ، ففي مادة (رجس) يورد تفسيراً للمفردات : «رِجْس» و «رَجِس» و «رَجُسَ» و «رجاسة» و «رَجَس» و «ارتجس» .

(٣٠) نفسه : (تبب) : ٧٥ وانظر (جثو) : ١٠٨ .
(٣١) نفسه (جذذ) : ١١٢ .
(٣٢) خصم / ص : ٢٣٤ — ٢٣٥ .
(٣٣) كبر / ص : ٨٠٦ — ٨٠٧ .
(٣٤) يريد كبره ، بكسر الكاف وضمها مع سكون الياء .

و «رَجْس» و «رجّاس» و «راجس» و «مرتجِس» و«مرجوسة»، ثم قال: ومن المجاز : (فاجتَنبوا الرِّجْسَ من الأوثان) ، و (وَقَع عليكُمْ من ربِّكُمْ رِجْسٌ وغضب » أي : عذابٌ: لأنه جزاء ما استعير له اسم الرجس» (٣٥) وبذلك يكون قد أنهى تفسير المادة بمشتقاتها ، ولم يورد لها شاهداً غير القرآن .

لم يهمل المؤلف عنايته بالقــراءات القرآنية ، واختلاف الأئمة فيهــا ، على الرغم مما في بعضها من شذوذ ، أو غرابة ؛ لأن الغاية عنده هي تحقيق فصاحة المفرده ، وصحة استعمالها في الكلام العربي ، ولما كانت القراءات القرآنية تمثل لهجات العربية في الجزيرة ، اتخذ منها مصدراً مهماً في رفد كتابه بالأمثلة اللغوية التي تؤكد له صحة الاستعمال .

قال : « تميم : البَدَنَةُ تُجْزِىء عنْ سبعة ، وأهل الحجاز : تَجْزي . وبهما قرىء : لاتَجْزي نَفْسٌ (٣٦) » يريد : أن قراءة الهمز هي تميمية ، وقراءة التخفيف ، او الياء ، هي حجازية ، ويتبع هذا الأختلاف في القراءتين اختلاف في أن قراءة الحجازيين تأخذ الفعل الثــلاثي (جزى يجزي » أصلاً لقراءتها ، في حين تأخذ قراءة التميميين الفعل الرباعي : « أجزأ يُجْزِىءُ » أصلاً القراءة ، وبذلك تكون القراءتان مختلفتين من جهتين : « الهمز وعدمه » و « الثلاثي والرباعي » من الفعل :

واذا كان المؤلف قد نسب القراءتين المذكورتين الى قبيلتين من قبائل العرب الفصيحة ، وهما تمثلان لهجتين مختلفتين في مظاهر البنية والتركيب والدلالة في العربية : فهو في مواطن أخرى ينسب القراءة الى أصحابها من المقرئين . وأئمة هذا العلم .

---

(٣٥) رجس : ٣٢٤ .

(٣٦) جزأ : ١٢١ .

يقول الزمخشري في مادة (رقص)(٣٧) : «ومن المجاز :) رقص البعير رقصاً ورَقَصاناً : خبَّ . . وأرقصوا في سيرهم وترقصوا : ارتفعوا وانخفضوا . وقرأ ابنُ الزبير : (ولأرقصوا خِلالكم) . . » . وهي قراءة غريبة وحين فسَّر مادة (وضع) عرض للآية نفسِها ، ولكنه أوردها بقراءتها المتواترة المشهورة (ولأَوْضَعُوا خلالكم) ، ولم يُشِرْ إلى القراءة المتقدمة (٣٨)

وقد يكون اختلاف القراءة في ضبط المفردة المقروءة ، كما يتضح في (مستنفرة) بالبناء على اسم الفاعل ، أو على اسم المفعول قال : «ن ، ف ر : نفرت الدابة نَفْراً أو نفوراً ونِفاراً ، واستنفرت ، ونفّرتها واستَنْفَرتها . وقرىء : (مستنفِرة ومستنفَرَة) . ونفر القوم . . »(٣٩) .

أو في رسم حرفها ، واختلاف الإعجام ، كما ترى في ذلك قوله : ع ، ر ش : اين ماعرسوه وماعرّشوه ؟ (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومُه ، وما كانوا يعرشون) وقرىء : يَغْرِسون » (٤٠) والمعروف عن المعنيين بالقراءات أنهم ينقلون في مثل هذه الآية القراءة في اختلاف باب الفعل (عرش) فمنهم من يروي قراءة الآية بـ (يعرُشون) – بضم الراء . ومنهم من يرويها بكسر الراء – يعرشون . .

والذي اعتمده الزمخشري – هنا – هو قراءة : « يغرسون المصحفة من : (يعرشون) للعلاقة الدلالية بينهما ، ولأنه صار تفسير المادة بلفظتي : « غرسوه وعرشوه ، فوجد مناسبة لذكر هذه القراءة .

وفي الجملة ، فان شواهد الزمخشري من القرآن الكريم تمثل اتجاها سليماً في تحقيق دلالات المفردات بين الحقيقة والمجاز . وهو منهج يحقق

---

(٣٧) رقص : ٣٦١ .
(٣٨) وضع : ١٠٢٧ .
(٣٩) نفر : ٩٧٧ .
(٤٠) عرش : ٦٢١ .

للمؤلف غايته من وضع كتابه (أساس البلاغة) بين المعاجم العربية التي لم يتهيأ لها هذا النمط من التأليف المعنيّ بدلالة المفردة العربية وتطورها خلال تأريخها الطويل في عصر ما قبل الإسلام وما بعده ، مما أضفاه عايها القرآن الكريم الكريم من دلالاَت جديدة في ظل حياة العرب بعد خروجهم من الجزيرة ، واستقرارهم في مواطن الحضارة العربية ومبادىء الدين الحنيف .

الشـــاهد الحديـــثي

لا يقل الشاهد الحديثي شأناً عن الشاهد القرآني والشاهد الشعري في «الأساس» ولئن كان الزمخشري يسرد الآية الكريمة في درج الكلام من دون أن ينص على أنها آية ، إنّ الحديث النبوي قد حظي باهتمام المؤلف ، وعنايته الواضحة، وخصوصاً التنصيص على أنه حديث .

فهو ينسب الحديث إلى راوية ، ويشير إلى أنه كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – وربما يكتفي بقوله : « وفي حديث » أو « وفي الحديث .. » .

والملاحظ في هذا الموضوع أنه يخلط بين الحديث النبوي والأثر(٤١) ويطلق لفظه « الحديث » على كل ماروي من النوعين دون تفريق ، وهذه سمة معروفة عند أكثر المتقدمين من علماء اللغة والنحو والمعجمات .

ومع ذلك لم يتخلّ الزمخشري عن منهجه الذي سلكه في الاستشهاد بالآيات القرآنية من عدم التنصيص في كثير من الأحاديث المستشهد بها .

يقول – مثلاً – : « جند : جنّد الجنود : جمعها ، « والأرواح جنـــود مجندة»(٤٢) . علاوة على أنه قد جزّأ من الحديث ما يهم المفردة التي يستشهد به لها . وأصل الحديث : « الأرواح جنود مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

---

(٤١) الحديث : ماتكلم به الرسول ، صلى الله عليه وسلم – ورويه الصحابة منسوبا اليه . والأثر : ما وقف على الصحابة ، ومن تبعهم .
(٤٢) جند : ١٣٨ والحديث في اللسان : ١٠٦/٤ (جند) .

وفيما يأتي جملة من نصوص « الأساس » تشتمل على أحاديث استشهد بها الزمخشري ، لنتبين من خلالها كيفية الاستفادة من الحديث في تقرير دلالة الكلمات ، حقيقة أو مجازاً .

- « ف / ر / س : .. ويقال : ليس بفارس ولكنّه يتفرّس .. وعن عمر ، رضي الله عنه : « لا تنخعوا ولا تَفَرْسِوا ، ودعوا الذبيحة تجِبُ » . والفَرْسُ : دق العنق .. » (٤٣) .

- « وفُلان يتابع الحديث ، إذا أحسن سِياقه ، ومنه حديث أبي واقد الليثي : « تابعنا الأعمال ، فلم نجد أبْلَغَ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا».. « وقرأ ابن عباس آية لم يعرفها ابن عمر ، فقال : « أتبع يا ابن عباس ، فقال : أتبعُك على أبيّ بن كعب »(٤٤) .

والنص الذي نقله - هنا - ليس حديثاً ، وإنما هو أثر من قول أبي واقد ، وقد رواه الزمخشري نفسه في « الفائق »(٤٥) ، بزيادة (شيئا) على قوله فلم نجد - شيئاً - أبلغ . وفسر معناه كاملاً فيه .

- « ث / ح / ث - في الحديث : « حتى تنهلك الوعول ، وتظهر التحوت» « أي : السِّفلة » (٤٦) ، ولم يتناول في هذه المادة شيئاً آخرَ غير الحديث المذكور وتفسير : لفظ « التحوت » الواردة فيه . ويعني ذلك أن الحديث في هذه المادة كان معتمده الأساسي لاغير . ويبدو أن الزمخشري قد استفاد من جملة الأحاديث التي فسرها في (الفائق) . فهذا الحديث بكامله ينسبه إلى أبي هُرَيْرَةَ ، قال : « ومنه حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه : « أنه ذكر أشراط الساعة ، فقال : وإن منها أن تعلو التحوت الوعول ، فقيل : ما التحوت ؟ قال : .. » الحديث(٤٧)

(٤٣) فرس : ٧٠٧ - ٧٠٨ وانظر الفائق : ١٠١/٣ وهو في : ١٠٥/٣ .
(٤٤) تبع : ٧٦ .
(٤٥) الفائق : ١٤٧/١ .
(٤٦) الأساس : ٧٧ .
(٤٧) الفائق : ١٤٨/١ .

— « ت /خ /م — ملعون من غير تخوم الأرض » قال :

يـا بنـيَّ التخوم لا تَظلموهـا ... إن ظلـم التخـوم ذو عُقّـال

وبلاد عُمان تتاخم بلاد الشِّحر .. » (٤٨) .

فالمؤلف بدأ المادة بالحديث ، ولم يشر الى أنه حديث ، وإنما سرده كما يسرد التفسير المعهود للمفردات ، ولم يفسر فيه مفردة . ولكنه في (فائقه) يقول : « النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ملعون من غير تخوم الأرض — وروى: تَخُوم ، التُخوم : بوزن هبوط وعَروض : حدّ الأرض ، وهي مؤنثة » .

وأورد البيت الذي ذكره في « الأساس » . مما يؤكد لناصحة مذهبنا إلى أنه استفاد من « الفائق » في (أساسه) . كما تبين لنا في مصادره (٤٩) .

— « د /ه /ن — دهَن رأسَهُ ودهَّنَهُ ... ومن المجاز أدْهَنَ في الأمر.. وما وردنا إلا المداهن ، وهي نُقَرُ الماء . وفي الحديث : « نشِفَ المُدْهُنُ ويبس الجعثن » (٥٠) ولم يزد على نص ما نقل من الحديث شيئاً .

مما تقدم يتبين لنا أن الزمخشري :

١ — يعتمد كثيراً على الحديث شاهداً في توثيق صحة المفردة وفصاحتها ! لأنها من كلام أفصح الخلق ، صلى الله عليه وسلم ، أو من كلام صحابته وهم عرب فصحاء ، لا ريبَ .

٢ — أنه يكتفي — أحياناً — بسرد جزء من الحديث ، ما دام يشتمل على المفردة المطلوبة .

---

(٤٨) الأساس : ٧٨ . والبيت اما لاحيحة بن الجلاح أو ابي القيس بن الاسلت (اللسان / عقل — تخم) .

(٤٩) انظر الفائق : ١٢٩/١ .

(٥٠) الأساس : ٢٩٠ .

٣ – أنه يهمل تفسير الحديث ، ومفرداته ، معتمداً على وضوح معنى المادة من السياق .

٤ – قد يكتفي بالحديث شاهداً من غير أن يستشهد بغيره من الشواهد الفصيحة ، كالقرآن ، والحديث ، وأقوال الفصحاء والبلغاء ، وهو ما يفعله مع شواهد القرآن ، أو الشعر ، أو أقوال الفصحاء أيضاً .

٥ – قد يردف الحديث بالحديث تقويةً وتأكيداً ، كما نراه في مادة (نأنأ) : قال : « وفي الحديث : طُوبى لمن مات في النأنأة » .

وقال عليّ ، رضي الله عنه ، لسليمان بن صُرَدَ : تنأنأت وتربصت ، فكيف رأيت الله صنع » ، أي : فتَرْتَ وقَصَّرْت » (٥١) .

سماعاته من معاصريه

يمثل هذا الجانب في (أساس البلاغة) ، مصدراً من أهم مصادره التي رفد بها كتابه ، وعضد به معاني ألفاظه ، ودلالاتها ، ولا سيما المفردات التي اكتسبت دلالات مجازية في استعمال المتأخرين ، ممن سبقوا عصره أو عاشوا في زمنه .

والحقّ أن هذا النمط من الكلام الذي ينقله إلى كتابه ، لا يمكن أن يتخذ شاهداً نازلاً منزلة القرآن والحديث والشعر وأقوال الفصحاء والأمثال ، ولكنه أمثلة تؤكد نوع التطور الدلالي الذي اكتسبته مثل هذه المفردات في استعمالاتها المعاصرة على لسان أناس يعتدهم من ذوي اللسن الفصيح ، أو المتعاطين الفصاحة في نظمهم ونثرهم .

وغالباً ما يصدر مثل هذه الأقوال المسموعة بقوله : « وسمعتهم يقولون .. » ، و « أهل الحجاز يعبرون عن هذا بقولهم .. » ، و « يسمى أهل مكة وصبيانها هذا

(٥١) الأساس : ٩٢٤ (نأنأ) .

بـ .. » إلى غير ذلك من التراكيب التي تدلّ على أنه إنما يورد مثل ذلك في كتابه ليؤكد ما آلت إليه المفردات العربية من دلالات ومعانٍ جديدة في استعمال المتأخرين .

فمن هذا القبيل قوله في مادة (أهل) : « وفلان أهلٌ لكذا ، وقد استأهل لذلك ، وهو مستأهل له ، سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً »(٥٢). وهذا الذي ينقله – هنا – من استعمال الحجازيين ، أكّده الأزهري في تهذيبه، وردّه غيره (٥٣) .

ولقد جاور في مكة – حرسها الله – والتقى عرباً من هُذَيْل وثَقِيف ، وغيرهما . ومن الطبيعي أنّ العصر الذي عاشه ، كان عصر توليد ، ولَحن وخطأ في القول ، ومع ذلك رأيناه يعتد بأقوال مثل هؤلاء العرب ، ويورد لهم أقوالهم وأحاديثهم بعضهم مع بعض . ومن ذلك قوله : « وسمعت ثَقيفاً وهُذَيْلاً يَتَزامَلُون ، ويُسَمّونَهُ الزَّمَل » (٥٤) يريد : يتراجزون فيما بينهم .

وقوله في موضع آخر : « وسمعتهم يقولون : أورنيه ، بمعنى أَرِنِيه » (٥٥)، ولم يعلق بشيء على مثل هذا الاستعمال ، فكأنه عدّه صحيحاً مقبولاً . ويبدو أن (أورنيه) التي نقلها عن العرب هي التي بقيت لها أصول في اللسان العامي اليوم حين يقول : « وَرّيني » ، ويريدون بها : « أرني » التي ذكرها .

ولم يكتف الزمخشري بنقل كلام عرب الجزيرة من المتأخرين ، بل نقل عن الصبيان ، وذوي الحِرَف والمِهَن والعملة ، وأهل المدن ما يدور على ألسنتهم من استعمالات ، تمثل ظواهر لهجية ، أو تحمل دلالاتٍ خاصة ، هي من متطلبات العصر الذي تعيش فيه مثل تلك التراكيب والصيغ .

---

(٥٢) أهل : ٢٦ .
(٥٣) ينظر درة الغواص للحريري ، والتهذيب للأزهري (هل) .
(٥٤) زمل : ٤٠٧ .
(٥٥) ورى : ١٠١٧ .

قال في : (دقن) : « ويقول أهل بغداد : في دقنك ، أي : في لحيتك(٥٦)

– وقال : « وفي حداء المكارين :

يـارب سـلمني وسـلّم جَمَلِي

وسـلم الشـيخ الـذي في المحملِ (٥٧)

– وقال : « وسمعتهم يقولون : هذا القميص يخدم سنة ، وهذا ثوب سخيف لا يخدم » (٥٨) . وهو تعبير مجازي لا يزال مستعملاً في لسان الناس ، ويؤدي المعنى الذي أدّاه عند الذين عاصروه .

– وقال في (الدُّقّة) : « ولا بد مع اللحم من الدُّقّةِ ، وهي الملح المبزّر. ورأيت العرب يسمون الكزبرة : الدّقّة وينشدون :

باتـت لهن ليلـة دُعْشُقَّـه   طعم السرى فيهـا كطعم الدقّه

مـن غائـر العـين بعيـد الشـقة

وسمعت باعةَ مكة ينادون عليها بهذا الاسم » (٥٩) .

وقال : « والذوين : وهم ملوك اليمن الذين أسماؤهم : ذو رُعَيْن وذو كلاع . وذو يزَن . وسمِعْتُ : ذا فيه ، أي : كلامَهُ وذاتَ فيهِ ، أي : كَلِمتَهُ » (٦٠) .

وقال : « ر / ن / ج – سمعت صبيانَ مكّةَ يُنَادُونَ على المُقْل : ولد الرانج . وهو الجوزُ الهنديّ » (٦١) .

---

(٥٦) دقن : ٢٧٨ .
(٥٧) حمل : ١٩٩ .
(٥٨) خدم : ٢١٩ .
(٥٩) دفق : ٢٧٧ .
(٦٠) ذوى : ٣٠٦ .
(٦١) رنج : ٣٧٥ .

وقال : « وسمعت منهــم من يقــول : سُرِقْتُ يا قــومُ . سُرِقَتْ غُرْفَتي » (٦٢) .

ومثل هذه العبارات والتراكيب كثيرةٌ مبثوثةٌ خلال الكتاب ، والتأمُّل فيها يدلُّ على أن المؤلف حاول استقصاء كل ما يسمعه من عامة الناس من قول مركّب أو مفرد ، ولكنه مشروط بصحته . وموافقته لقياسات العربية وأحكامها ؛ لأنّ خروجه عن قواعد العربية يعني نفيه عن منهجه في تجميع مادة هذاالكتاب ، ومنهجه في تثبيت شواهده الفصيحة الصحيحة .

اقوال الفصحاء والبلغاء وامثالهم

من الشواهد التي لها مكان كبير عند المعجميين المأثور من كلام فصحاء العرب ، وبلغائهم ، وما شاع من أمثالهم العربية . وهذا الضرب من الشواهد يعتمده أهل اللغة . ومؤلفو المعاجم أكثر من غيرهم ممن يؤلفون في الدراسات اللغوية ، كالنحو والصرف وعلل الكلام والبلاغة والأساليب ؛ لأنّ موضوع (دلالة المفردات) ، و (صحة الاستعمال) هما المُعَوَّل عليهما فيها .

وحين يقرأ المطالع في (أساس البلاغة يجد أن المؤلف قد نقل كلام فصحاء العرب قبل الإسلام ، وكلام فصحائهم بعد الإسلام ، ومن اشتهر ببراعة القول وحسن التصرف فيه حتى العصور المتأخرة عن عصر الاحتجاج . فقد نقل للنابغة. والنعمان بن المنذر ، والخنساء ، ومعاوية ، ودُرَيْد بن الصِّمَّة ، وعبد الملك بن مروان ، وابن عون ، والوليد بن عقبة ، وعلي بن أبي طالب ، ورجال من ثَقِيف ، ورجال من هُذَيْل (٦٣) ، وابنة الخُسّ ، وأم الهيثم الكلابية ، نصوصاً من أقوالهم ، وما سار من كلام على سبيل المثل والحكمة الشيء الكثير ،

(٦٢) سرق : ٤٣٦ .

(٦٣) ينظر مثلا ــ ص : ٤٠٧ من الاساس ، و ٣٧٦ منه .

من ذلك قوله (٦٤) « وقيل لبنت الخُسّ : ما أطيبُ العُراق ؟ قالت : عراقُ الغَيْث » ثم فسر ذلك بقوله : « وذلك ما خرج من النبات على أثر الغيث ؛ لأن الماشية تحبه . . . » .

ولقد حقق الزمخشري بنقوله فصيح الكلام عن البلغاء والفصحاء ما ذكره في مقدمة أساسه بقوله (٦٥) : « فَلَيت له العربية وما فصح من لغاتها ، وملح من بلاغاتها ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحلل في نواديها ، ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة تهامَةَ في أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السُّقاة على أفواه قُلُبِها ، وتساجعت الرعاة على شفاه عُلَبِها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة وما تزاملَتْ به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة »

ولعلنا نستطيع أن نتحقق شيئاً مما قرّره الإمام الزمخشري في مقدمته هذه حينما نقرأ قوله يروي ما حدث بين الحجاج والغضبان ، قال : وقال الحجاج للغضبان ، حين خرج من ديماسِه : سمِنْتَ . قال : أسْمَنَني القيدُ والرَّتَعَةُ »(٦٦) . علّقَ الزمخشري على لفظة (الرَّتَعة » بقوله : « بفتحتين كالمنَعَة والأَمَنَة » . وتعليقه هذا توكيد منه بفصاحة نطق الغضبان لهذه المفردة

اما الأمثال العربية . فليس بنا حاجة الى إثبات فصاحتها ؛ لأنها تمثل الصورة الحقيقية الناصعة لكلام العربي في باديته ولقد حرص العربي على نقل هذه الحكمة ، ونص المثل كما سمعه من أجداده ، وما تضمن المثل من مفردات لا يعدو أن يكون كلاماً فصيحاً سليماً . فاذا رأينا الزمخشري يقول بين حين وآخر : « وفي المثل . . » أو « وفي مثل . . » ، فانما يعني ذلك تسليمه بصحة اللفظ وفصاحته ، ومن ذلك :

---

(٦٤) نفسه : ٦٢٥ (عرق) .
(٦٥) مقدمة الأساس : ص : د .
(٦٦) الأساس : ٣٢١ (رشع) .

- وفي مثل : إحدى بنات ِ طبق شرُك على رأسك » (٦٧)
- وفي أول مادة (طبق) بدأها : « وافق شَن ٌ طبقةَ (٦٧)
- وفي مثل « حدأ حِدَ أ وراءك بندقه » لمن يخوف بشر قد أظلّه »(٦٨)
- وقوله : « أعدى من ذئب »(٦٩) .
- وقوله : « قيل لجُحا : على من فَحالتك ؟ قال على أمّي وأخَيّاتي » يضرب فيمن قوته على الضعيف »(٧٠) . فسر المثل .

ومن أقوال الفصحاء والبلغاء مما سار سيرورة المثل قوله : « ياجارية تمرةً تمرةً ، قالته أم سلمة ، لما كثر السؤال .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه أبَدّ بصره عند قوته ، وقال : إني لأرى حضرةً ما هم بإِنْسٍ ولاجنّ ، ثم قبض . . وقيل لأعرابية : علام تمنعين زوجك الفضّة ، فانه يعتلّ بك ؟ قالت : كذب والله ، إني لأطاطيء الوساد ، وأرْخي البادّ ، تريد أنها لاتضم فخذيها . . »(٧١) ونقل عن الخنساء قولها حين خطبها دريد : « أترونني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح وَمُرْتَثة شيخ بني جُشَم ». (٧٢) وقد سارّ هذا القول حتى صار كالمثل وخلاصة القول : إن ما ضم كتاب الاساس ، بين دفتيه من نصوص اللغة ، وكلام العرب الفصحاء شَوا هدَ على صحة التركيب وفصاحة المفردات ، يدل على حسن اختيار المؤلف لأصول البلاغة ، وإصابته أسسها التي ميّز بها بين حقيقة الدلالة ، ومجازيّتها وبذلك استحق أن يكون هذا الكتاب أساس البلاغة

(٦٧) الأساس : ٥٧٥ (طبق) .
(٦٨) حدا : ١٥٧ .
(٦٩) الأساس : ٦١٧ (عدا) .
(٧٠) نفسه : ٧٠١ (محل) .
(٧١) الأساس : (بدد) : ٣٥ .
(٧٢) الأساس : (رث) : ٣٢٢ .

مَسَائِلُ مَنْثُورَة
فى التَفْسيرِ وَالعَرَبِيَّة وَالمعَاني
لابن بري المتوفى سنة ٥٨٢ هـ

تحقيـق
الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الاداب ــ جامعة بغداد

المؤلـف

عبدالله بن أبي الوحش بَرِّي بن عبدالجبار بن بَرِّي المقدسي أصلاً المصري مولداً الشافعي مذهباً .

وكنيته أبو محمد . واشتهر بابن برّي . وبرّي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المكسورة وبعدها ياء : اسم علم يشبه النسبة(١) .

ولد بمصر سنة ٤٩٩ هـ وطلب العلم منذ الخامسة عشرة من عمره ، ونبغ في سنٍّ مبكرة فلفت إليه الانظار حتى اختير ليتولى التصفح في ديوان الإنشاء وهو في الحادية والعشرين من عمره . فكان (لا يصدر كتاب عن الدولة الى ملك من ملوك النواحي إلاّ بعد أنْ يتصفحه ويصلح ما لعله فيه من خلل خفي)(٢) .

وقد ولي هذا العمل خلفاً لمحمد بن بركات السعيدي المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ الذي كان قد تولاه خلفاً لابن بابشاذ المتوفّى سنة ٤٦٩ هـ .

---

(١) وفيات الأعيان ١٠٩/٣ . وينظر : الانساب ١٩١/٢ واللباب في تهذيب الانساب ١٤٥/١ .
(٢) وفيات الأعيان ١٠٨/٣ .

وتوفي ابن برّي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في عهد صـــلاح الدين الأيوبي(٣) .

شيوخـه :

- علي بن جعفر بن علي المعروف بابن القطاع المتوفّى سنة ٥١٥ هـ .
- مرشد بن يحيى المديني المتوفّى سنة ٥١٧ هـ .
- محمد بن بركات بن هلال السعيدي المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ .
- محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الحطاب المتوفّى سنة ٥٢٥ هـ .
- محمد بن عبدالملك الشنتريني المعروف بابن السراج المتوفّى سنة ٥٤٥ هـ .
- محمد بن حمزة بن أحمد المعروف بابن العرقي المتوفّى سنة ٥٥٧ هـ .
- أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الحطيئة المتوفّى سنة ٥٦٠ هـ .
- عبدالجبار بن محمد بن علي المعافري المتوفّى سنة ٥٦٦ هـ .
- علي بن عبدالرحيم السلمي المعروف بابن العصار المتوفّى سنة ٥٧٦ هـ .

---

(٣) ينظر عن ابن بري المصادر الآتية ، وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا :
معجم الأدباء ٥٦/١٢ .
انباه الرواة ١١٠/٢ .
التكملة لوفيات النقلة ٥٨/١ .
وفيات الأعيان ١٠٨/٣ .
اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ١٦١ .
سير اعلام النبلاء ١٣٦/٢١ .
مسالك الأبصار في ممالك الامصار ٢٤٥/٧ .
الوافي بالوفيات ٨٠/١٧ .
مرآة الجنان ٤٢٤/٣ .
طبقات الشافعية للسبكي ١٢١/٧ .
طبقات الشافعية للاسنوي ٢٦٧/١ .
البلغة في تاريخ ائمة اللغة ١٠٦ .
بغية الوعاة ٣٤/٢ .
شذرات الذهب ٢٧٣/٤ .

- عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي المتوفّى بعد سنة ٥٧٦ هـ .
- علي بن عبدالرحمن بن محمد الحضرمي .

تلاميـذه :

درس علي ابن برّي وروى عنه علماء كثيرون من لغويين ونحويين وقُرّاء ومفسرين ومحدثين ، واستفادت من علمه الأسرة الأيوبية ، وسأكتفي بالإشارة الى المشهورين منهم :

- أبو المحاسن مهلب بن الحسن البهنسي المصري المتوفّى سنة ٥٧٢ هـ .
- أبو الجيوش عساكر بن علي الصوري المقرىء النحوي المتوفّى سنة ٥٨١ هـ .
- عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الفقيه الحافظ المتوفّى سنة ٦٠٠ هـ .
- هبة الله بن جعفر بن سناء الملك القاضي المتوفّى سنة ٦٠٨ هـ .
- عيسى بن عبدالعزيز الجزولي النحوي المتوفّى نحو سنة ٦١٠ هـ .
- أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي الأديب المتوفّى سنة ٦١٣ هـ .
- سليمان بن بنين بن خلف الدقيقي النحوي المتوفّى سنة ٦١٤ هـ .
- عبدالخالق بن صالح المسكي النحوي المتوفّى سنة ٦١٤ هـ .
- أبو محمد عبدالمنعم بن صالح النحوي المعروف بالاسكندراني المتوفّى سنة ٦٣٣ هـ .
- علي بن هبة الله بن سلامة المصري الفقه المقرىء المتوفّى سنة ٦٤٩ هـ .

وممن خذ عنه من الأسرة الأيوبية :

- الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٨٩ هـ .
- الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٩٥ هـ .
- الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦١٣ هـ .
- الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٢٢ هـ .
- الملك الظافر مظفر الدين الخضر بن صلاح الدين الأيوبي . ت ٦٢٧ هـ .
- الملك الأعز يعقوب بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٢٧ هـ .

— الملك المفضّل قطب الدين موسى بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٣١ هـ .
— الملك الزاهر داود بن صلاح الدين الأيوبي ، ت ٦٣٢ هـ .
— الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل محمد بن أيوب ، ت ٦٣٥ هـ .
— الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي الأيوبي ، ت ٦٣٧ هـ (*) .

مؤلفاته :

المطبوعة :

١ — التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح .
٢ — حاشية على تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي .
٣ — حاشية على المعرّب .
٤ — شرح شواهد الإيضاح .
٥ — غلط الضعفاء من الفقهاء .
٦ — اللباب في الردّ على ابن الخشاب .
٧ — مسألة في جمع حاجة : منشورة في الأشباه والنظائر للسيوطي .

المخطوطة :

١ — حاشية على دره الغواص .
٢ — رسالة في لو الامتناع : انتهينا من تحقيقها .
٣ — فصل في شروط الحال وأحكامها وأقسامها : انتهينا من تحقيقه
٤ — مسائل سُئل عنها : انتهينا من تحقيقها .
٥ — مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني : وهو هذا الكتاب وسيأتي الحديث عنه.

المؤلفات التي لم نقف عليها :

١ — الاختيار في اختلاف أئمة الأمصار .

(*) ينظر : ابن بري وجهوده اللغوية ٧٠ — ٩١ ففيه احصاء شامل لتلاميذه .

٢ – جواب المسائل العشر ، وهي المسائل التي سأل عنها أبو نزار الملقب بملك النحاة : نقل عنه البغدادي في خزانة الأدب .

٣ – حاشية على المؤتلف والمختلف : نقل عنه البغدادي في خزانة الأدب .

٤ – شرح أدب الكاتب : ذكره البغدادي في خزانة الأدب .

٥ – الفروق : نقل عنه الزّبيدي في تاج العروس .

قصيدتان نسبتا اليه غلطاً :

١ – القصيدة الخالية : نسبها إليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح . وهو وهم ، لأنّ هذه القصيدة رواها ثعلب المتوفّى سنة ٢٩١ هـ . وهي في مراتب النحويين والصناعتين .

٢ – القصيدة الحالية : نسبها إليه مصطفى حجازي في مقدمة التنبيه والإيضاح اعتماداً على لسان العرب (حول) . وهذه النسبة غير قاطعة فقد جاء في اللسان : قال ابن برِّي : وهذه أبيات تجمع معاني الحال .

راي العلمــاء فيه :

قال القفطي في إنباه الرواة : كان جمّ الفوائد ، كثير الاطلاع ، عالماً بكتاب سيبويه وعلله . وبغيره من الكتب النحوية ، قيِّماً باللغة وشواهدها .

وقال أيضاً : وكانت كتبه في غاية الصحة والجودة . وإذا حشاها أتى بكلّ فائدة . ورُئي جماعة من تلاميذه متصدرين متميزين . وأكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان : الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية . كان علاّمة عصره ، وحافظ وقته ، ونادرة دهره .

وقال الذهبي في سير اعلام النبلاء : الإمام العلامة ، نحويّ وقته .

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : قرأ على مشايخ زمانه وانفرد بهذا الشأن وقصده الطلبة من الآفاق . وكان عالماً بكتاب

سيبويه وعلله قيّما باللغة وشواهدها . وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتاب عن الدولة الى ملوك النواحي إلاّ بعد أنْ يتصفحه ويصلح ما فيه من خلل خفي .

وقال الصفدي في الوافي بالوفيات : كانت عنايته تامة في تصحيح الكتب ، وكتب الحواشي عليها بأحمر . فإذا رأيت كتاباً قد ملكه فهو الغاية في الصحة والاتقان .

وقال ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين : كان قيّماً بكتاب سيبويه وعلله ، قيّما باللغة والشواهد . وكان مقدّماً في اللغة والعربية ، شائـع الذكر ، مشهوراً بالعلم ، لم يكن في زمانه مثله .

وقال ابن حجر في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : وشيخ العربية بمصر أبو محمد عبدالله بن بري مشهور .

وقال السيوطي في بغية الوعاة : شاع ذكره واشتهر ، ولم يكن في الديار المصرية مثله ... وكان قيّما بالنحو واللغة والشواهد ، ثقة .

• • •

الكتاب

تناول ابن برّي في هذا الكتاب مسائل في العربية والتفسير والمعاني وبلغت هذه المسائل ثماني وثلاثين مسألة أورد فيها آيات قرآنية كريمة مبيِّناً ما فيها من اعراب وتفسير وقراءات وأجاب على ما يشكل منها عند الدارسين .

واعتمد المؤلف في شرحه لهذه الآيات على أقوال العلماء الذين سبقوه وقد ذكر منهم : مقاتل بن سليمان وسيبويه والكسائي وأبا اسحاق الزجاج والزمخشري .

ولم يستشهد ابن بري إلاّ ببيت واحد من الشعر للكميت بن زيد.

وهذه المسائل أثر نادر من آثار ابن برّي كنت أسعى للحصول عليها منذ أكثر من عشر سنوات الى أن هيّأ الله ، عزّوجلّ ، الأخ الدكتور حسين تورال الذي تفضل فوافاني بصورتها ، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

ومخطوطة الكتاب نسخة فريدة تقع ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ وتحتفظ بها مكتبة شهيد علي في تركيا .

ويقع هذا المجموع في ٥٦ ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، وفي كلّ صفحة ١٥ سطراً .

وقد شغلت هذه المسائل الأوراق ١ب -- ١٢أ .

وكتب المجموع بخط واضح مقروء ، وتاريخ نسخة سنة ٧٠٠ هـ كما جاء في وجه الورقة ٣٣ .

وقد أرفقت بنشرتي هذه صوراً لعنوان المجموع وللصفحتين الاولى والأخيرة .

وأخيراً أرجو أنْ أكون قد أسديت خدمة للغة القرآن الكريم والحمد لله أوّلاً وآخيراً



صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم
الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وصحبه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
قال الشيخ الامام العالم العامل النسيب الكبير والحبر الاوحد
لسان العرب وجه العرب جمال الدين بن هشام رحمه الله
مسألة فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع
ما معنى التكرير في هذه الآية وهل يجوز ان تنوب او هنا
مناب الواو ام لا الجواب ان او لا تقع ههنا
موقع الواو لان هذا انما يعطي البدل كانه قال يجوز ان
ثلاث بدل من مثنى ورباع بدل من ثلاث ولو قيل انها
لا تكون الثلاث بدلا من المثنى وانه لا يكون لصاحب المثنى
ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع وانما جاء هذا بالواو
على جهة التخيير لمن فعل من نكاح النساء من هذه الزيادة
كما تقول لهم انكحوا مثنى وثلاث ورباع اي لكل واحد منكم

الصفحة الاولى

والكسائي زَهَدْتُ وزَهِدْتُ بكسر الها وفتحها
[illegible] الكلام في الالفاظ الكريمة والحمد [illegible]
رب العالمين وصلى الله على
محمد خاتم النبيين وسلم عليه

الفاظ مما يوهم فيه جماعة من ضعفا الفقهاء وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وآله
اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم المتقن المهذب الامين
الدين ابو محمد عبد الخالق بن صالح بن علي بن زيدان المسكي
اثابه الله قراءة عليه وانا اسمع في شوال سنة احدى عشرة
وستمائة بمصر [illegible] اخبرنا الشيخ الامام العالم
جمال العلماء ابو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن
بري النحوي رحمه الله قال [illegible] هذه الفاظ ذكرها
المتقدمون من علماء اهل اللغة مما يوهم فيه كثير من ضعفا
الفقهاء وغيرهم نقلتها عنهم كما ذكروها واتبعت ذلك

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمد وسلم عليه تسليماً

الحمدُ لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه، وسلام على المرسلين والحمدُ لله ربّ العالمين.

قال الشيخ الإمام العالم العامل السيد الكبير والحبر الأثير، لسان الأدب وحجة العرب جمال الدين بن برّي. رحمه الله:

مسألة

قوله تعالى: «فانكِحُوا ما طابَ لكم من النساءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ»[1].

ما معنى التكرير في هذه الآية؟ وهل يجوزُ أنْ تنوبَ (أو) هنا مناب الواو أم لا؟

الجواب:

انّ (أو) لا تقع ها هنا موقع الواو لأنّ هذا إنّما جاءَ على البدل، كأنّه قالَ سبحانه: ثُلاث بدلٌ من ثُناء، ورُباع بدلٌ من ثُلاث.

فلو قيل بـ(أو) لجازَ ألاّ تكونَ الثلاث بدلاً من الثُناء، وأنْ لايكون لصاحب المَثْنَى ثلاث. ولا لصاحب الثلاث رباع. وإنّما جاءَ هذا بالواو على جهة الحصر لما يحلُّ من نكاح النساء من غير زيادة، كما تقول: ادخلوا عليّ ثُناء وثُلاث ورُباع. أي: أبحتُ لكم (٢أ) أنْ تدخلوا على هذه العدة لازيادةَ عليها. فانْ شئتم فادخلوا اثنين اثنين وثلاثةً ثلاثةً وأربعةً أربعةً، ولا تزويدوا على ذلك.

---

(١) النساء ٣. وينظر في الآية: معاني القرآن للفراء ٢٥٤/١ ومعاني القرآن واعرابه ٨/٢ ومشكل اعراب القرآن ١٨٩ والتبيان ٣٢٨ والدر المصون ٥٦١/٣.

وعلى هذا قوله: « إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكينِ والعاملينَ عليها(٢)».
فجاء بالواو لحَصْر عدّة المستحقين للصدقة : للفقراء والمساكين والعاملين ، الى تمام الأصناف الثمانية من غير زيادة . وكذلك المُحَلّ لكم من نكاح النساء من جهة الاعداد ، مثنى وثُلاث ورُباع من غير زيادة على ذلك ، إلاّ أنّه يجوز في آية الصدقات أنْ تدفعَ صدقة لأحد الاصناف الثمانية ، ولا يجوز أنْ يجمعَ بينَ هذه الأقسام الثمانية من العدد من جهة أنّ الأبدالَ المعدولة في العدد لا يكون معناها إلاّ على الانفراد وإنْ حصل فيها العطف بالواو كما مثّلْتُ أوّلاً فيما تقدّم من قول القائل : ادخلوا عليّ ثُناء وثُلاث ورُباع ، أي : اثنين اثنين وثلاثةً ثلاثةً وأربعة أربعةً ، ولم يُرد الجمع بينها كلّها ، ولم يُرد (٢ب) ادخلوا عليّ تسعةً تسعةً .

ولو كانَ المعطوفُ يقضي الأمر فيه أنْ يكونَ بدلاً من المعطوف عليه فتكون الثلاثة بدلاً من الاثنين ، والأربعة بدلاً من الثلاثة لوجبَ مثل ذلك في قوله سبحانه : « إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها » فتكون الصدقة للمساكين بدلاً من الفقراء ، والصدقة للعاملين عليها بدلاً من المساكين ، وليس الأمر كذلك .

وإنّما يجيىء مثل هذا بالواو في كلام العرب على جهة الحصر للأصناف المعدودة ، أي المستحقين للصدقة : الفقراء والمساكين والعاملين عليها ، الى انتهاء الأصناف الثمانية من غير زيادة ، فمَن وُجدَ منهم دُفِعَتْ إليه الصدقة . وهذا كما تقول : كنتُ آكل في بلدي اللحمَ والتمرَ والزيتَ والسمنَ والعسلَ ، فحَصَرَ أصنافَ ما يأكله ، ولم يُردْ أنّه كانَ يجمعُ بينَ هذه كلّها في أكلة .

وكذلك قوله سبحانه : « فانكحوا ما طابَ لكم من النساء مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ » . أي : لينكح كلُّ (٣أ) منكم مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ من غير

(٢) التوبة ٦٠ وتمامها : « والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

زيادة على ذلك . أي الذي أُحِلَّ لكم من نكاح النساء هذه الأقسام الثلاثة : مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ من غير زيادة على ذلك ،كما تقولُ كُلِ الرطبَ أُحادَ ومثنى وثُلاثَ ، أي : كُلْ هذا الرطبَ واحدةً واحدةً واثنتين اثنتين وثلاثةً ثلاثةً .

ولو أتى بـ (أو) في هذه العدّة وقال : كُلْ مَثْنى أو ثُلاثَ أو رُباعَ ، لكان جائزاً ولا يلزم ما ذكره في الآية من أنّه لو أتى بـ (أو) عوضاً من الواو لجازَ ألاّ يكون لصـــاحب مثنى ثلاث ، لأنّ هذا الخطاب وإنْ كان لجماعة فانّما يُراد به واحدٌ واحدٌ ، كما قالَ سبحانه : « يُخْرِجُكُم طِفْلاً »(٣) أي : يخرج كُلاًّ منكم طفلاً . فاذا كانَ الواحدُ هو المأمور بذلك فلا يصحّ أنْ يُقالَ : إنّه لا يكون لصاحب المثنى ثلاث ، لأنّ صاحبَ المثنى هو صاحبُ الثلاث والرباع .

هذا ما ذكره شيخنا الإمام العلامة ابنُ برّي ، رحمه الله .

وأمّا ما ذكره الزمخشريّ (٣ب) في الكشاف (٤) فهو أنّه قال : اعلمْ أنّ معنى التكرير في قوله سبحانه : « مثنى وثُلاثَ ورُباع » أنّ الخطابَ للجميع يوجبُ التكرير ليصيبَ كلَّ ناكحٍ (٥) يريدُ الجمعَ ما أرادَ من العدَد الذي أطلقه (٦) ، كما تقولُ للجماعة : اقتسموا هذا المالَ ، وهو ألفُ درهم : درهمين درهمين وثلاثةً ثلاثةً وأربعةً أربعةً ، ولو أفردتَ لم يكن له معنى . وجاء العطف بالواو دون (أوْ) . كما جاء بالواو في المثال الذي ذكرته لك . ولو ذهبتَ تقول : اقتسموا هذا المالَ درهمين درهمين أو ثلاثةً ثلاثةً أو

---

(٣) غافر ٦٧ .

(٤) الكشاف ٤٩٧/١ . والزيادة منه . ويلاحظ ان الكلام لاحد تلامذة ابن بري .

(٥) بعدها في الأصل : منا لجمع . وليست في الكشاف .

(٦) في الكشاف : اطلق له .

أربعةً أربعةً علمتَ(٧)أنه إلا يسوغ لهم إلاَ أنْ يقتسموا(٨)على أحد[أنواع] هذه القسمة . وليس لهم أنْ يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع ولذهب(٩) معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دَلّتْ عليها الواو . وتحريره أنّ الواو دلّت على اطلاق أنْ يأخذ الناكحو من أرادوا نكاحها من النساء على (٤أ) طريق الجمع ، إنْ شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد ، وإنْ شاءوا متفقين]فيها] محظوراً عليهم ما وراء ذلك .

هذا ما ذكره الزمخشريّ .

وقد وهم بعضُ الناس في تأويل هذه الآية فجعله دليلاً على جواز التزويج بتسع نسوة على الجمع ، وأجراه مجرى اثنين وثلاثة وأربعة . وليس كذلك ، لأنّ المعنى : فانكحوا ما طابَ لكم من النساء اثنتين اثنتين ، وإنْ شئتم ثلاثاً ثلاثاً ، وإنْ شئتم أربعاً أربعاً . ولو كان هذا محمولاً على ظاهره لقيل : تسع ، عوضٌ من ثلاثة أشياء ، لأنّ الايجازَ تقليلُ الكلامِ من غير اخلال ، وإذا كانَ المعنى يمكنُ أنْ يُعبّرَ عنه بألفاظ قليلة ، ويُعبَّر عنه بألفاظ كثيرة ، فالألفاظ القليلة ايجازٌ ، فقول القائل : لي عند زيد عشرةٌ ، أوجزُ وأخصرُ من قوله : لي عنده خمسةٌ وثلاثةٌ واثنان ، في موضع : لي عنده عشرةٌ .

وبلاغةُ القرآن أعلى طبقات البلاغة إذ هو معجزٌ .

وقد قال بعضُ العلماء(١٠) : البلاغةُ ايصالُ المعنى الى القلب (٤ ب) في أحسن صورة من اللفظ . فأعلاها طبقةً في الحُسْنِ بلاغة القرآن ، ولم يُبح التزويج بتسع إلاّ لرسول الله ، صلىّ اللهُ عليه وسلم ، فانّه أُبيح له الجمعُ بينَ هذا العدد ، وهو أحدُ خصائصه ، عليه السلام .

(٧) من الكشاف ، وفي الأصل : لاعلمت.
(٨) الكشاف : يقتسموه .
(٩) الكشاف : وذهب .
(١٠) مواد البيان ٢/١٣٢ .

وإعرابُهـا :

الفاءُ جوابُ الشرط في قوله : « فإنْ خِفتُم » .

و « ما طابَ لكم » : (مـا) في موضع نصب بـ (انكحوا) .

و « من النساءِ » : متعلّق بـ (انكحوا) .

و (مـا) يجوز فيها وجهان :

أحدهما : أنْ تكونَ خبرية بمعنى (الذي) ، و (طاب) صلتها ، و(لكم) متعلّق بـ (طاب) . وهي على تقدير الصفة ، لأنّ (مـا) إذا كانت صفةً صلحت لمَنْ يعقل ، ثمّ تُقامُ الصفة مقامَ الموصوف . وقال بعض النحويين : المؤنث من العقلاء يجرى مجرى ما لا يعقل .

والثاني : أنْ تقدّر (مـا) تقدير المصدر . أي : فانكحوا الطيّب من النساء . وهذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه . أي : فانكحوا ذواتِ الطيّب لكم ، أي : ذواتِ الحلّ لكم ، لأنّ معنى قوله سبحانه: « ما طابَ لكم » . أي : (٥ أ) ما حلّ لكم ، ثمّ حُذِفَ المضاف .

« مثنى وثُلاثَ ورباعَ » : في موضع نصب على البدل من (ما) . ويجوز أنْ يكنَّ في موضع الحال من (ما) ، لأنّها بمعنى (الذي) .

واختُلِفَ في العلّة المانعة لهذه الأسماء من الصرف . قيل : المانعُ لصرفِها الصفةُ والعَدْلُ . وقيل : العَدْل والجمع . وهذا العَدْل ، أعني عدل النكرة عن النكرة . مختصٌ بالعـدد . والمسموع عن العرب العَدْل من واحدٍ الى أربعةٍ . كما جاء في القرآن . وربَّما جاء فيما دون ذلك نادراً .

قال الكُمَيْتُ(١١) :

فلـم يستريثوكَ حـتى رميـ ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا

(١١) شعره : ١٩١/١ . وينظر : مجاز القرآن ١١٦/١ .

وهذا النوع لا ينصرفُ في معرفةٍ ولا نكرةٍ .

والله أعلمُ بالصواب

* * *

سؤال

ما الحكمةُ في قوله في سورة الأنعام : « أعلمُ مَنْ يَضِلُّ »(١٢) بحذف الباء . وقالَ في سورة ن والقلم (١٣) بإثباته(١٤) ؟

فالجواب :

لأنّ ما (٥ ب) في سورة الأنعام معناه : يعلمُ أيّهم يطيعه ، من قوله : « وإنْ تُطِعْ أكثرَ مَنْ في الأرضِ يُضِلّوكَ عن سبيلِ اللهِ » (١٥) .

وما في القلم معناه : أعلمُ بما كانَ وبما يكونُ من أحوالِ مَنْ ضَلَّ ، بدليل قوله : « فستُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ . بأَيِّكُمُ المَفْتُونُ » (١٦) .

* * *

سؤال

ما الحكمةُ في قوله عزّوجلّ في سورة الأنعام : « فسوفَ »(١٧)، وكذلكَ في الزُّمَر(١٨) . وقالَ في سورة هود : « سوفَ » (١٩) ؟

---

(١٢) الأنعام ١١٧ . وينظر : مشكل اعراب القرآن ٢٦٦ والدر المصون ١٢٦/٥ .
(١٣) آية ٧ وهي : « ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين» .
(١٤) اي : باثبات الباء . وينظر : فتح الرحمن بكشف مايلتبس في القرآن ١٧٤ ــ ١٧٥ .
(١٥) الأنعام ١١٦ .
(١٦) القلم ٥ و ٦ .
(١٧) الانعام ١٣٥ : «قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون ...» . وينظر : فتح الرحمن ١٧٧ .
(١٨) الزمر ٣٩ : « قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون » .
(١٩) هود ٩٣ : « وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون ... » .

فالجواب :

لأنّه تقدّم في السورتين بأنْ أمَرَهم أمْرَ وعيدٍ بقوله : « اعملوا » أي : اعملوا فستجزون . ولم يكن في هود (قُل) فصارَ استئنافاً .

* * *

مسـألة

قوله : « وذروا ظاهِرَ الإثْمِ وباطِنَهُ »(٢٠) .

قيل : ظاهره : ما نفعله بالجوارحِ ، وباطنه : ما نفعله بالقلب .

* * *

مسـألة

قوله ـ عزّوجلّ : « كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ » (٢١) .

إنّما قَدّم ذِكْرَ الأكلِ لأمرين :

أحدهما : تسهيلاً لايتاء حقّه .

والثاني : تغليباً لحقّهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم .

* * *

مسـألة

ما الحكمةُ في قوله : « إنّ اللهَ لا يغفرُ » (٢٢) [ختمها] في أوّل السورةِ بقوله : « فقد افترى إثماً عظيماً » . وقال في آخرها : « فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً » (٢٣) ؟

---

(٢٠) الأنعام ١٢٠ . وينظر : تفسير الطبري ١٣/٨ وتفسير القرطبي ٧٤/٧ .

(٢١) الانعام ١٤١ . وينظر : تفسير الطبري ٥٢/٨ وتفسير القرطبي ٩٩/٧ .

(٢٢) النساء ٤٨ : «....ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » .

(٢٣) النساء ١١٦ : «.... ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » . وينظر في الآيتين : فتح الرحمن ١١٥ـ١١٦ .

فالجواب :

لأنّ الآية الأولى في اليهود (٦ أ) وهم عرفوا صحةَ نبوةِ محمد ، صلّى الله عليه وسلّم ، من التوراة فكذّبوا وافتروا على الله مالم يكن في كتابهم .

والثانية نزلتْ في مشركي العرب ، فلم يكن عندهم كتاب فيرجعوا إليه ، فكان ضلالهم أشدّ وبعدهم عن الرشاد أتمّ وإنْ كانوا كلّهم ضلالاً مفترين.

* * *

سؤال

ما الحكمةُ في قوله في سورة النساء : « إنْ تُبْدوا خيراً »(٢٤) وقال في الأحزاب : « شيئاً » (٢٥) ؟ .

فالجواب :

لأنّ ما في سورة النساء وقع في مقابلة السوء المذكور في قوله : « لا يحبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسوء » (٢٦) ، فاقتضتِ المقابلة أنْ يكونَ بازاء السوء الخيرُ .

وأمّا في الأحزاب فوقع بعد قوله : « واللهُ يعلمُ ما في قلوبِكُم » (٢٧) . فاقتضى العمومَ ، و (شيء) من أعمّ العموم .

* * *

مسألة

إنْ قيل : ما الفائدةُ في قوله تعالى : « إذا أثْمَرَ »(٢٨) وقد علم أنّه إذا لم يثمر لم يُؤكل منه ؟

---

(٢٤) آية ١٤٩ .

(٢٥) آية ٥٤ : «ان تبدوا شيئا » .

(٢٦) النساء ١٤٨ .

(٢٧) الأحزاب ٥١ .

(٢٨) الأنعام ١٤١ : «كلوا من ثمره اذا أثمر » . وينظر : فتح الرحمن ١٧٨ .

فالجواب :

وذلك لمّا أُبيح لهم الأكل من ثمره قيلَ : إذا أثمرَ ، ليعلم أنّ وقت الإباحة وقت اطلاع الشجر الثمرَ لئلا يتوهم أنّه لا يُباحُ إلاّ إذا أثمرَ وأينعَ .

* * *

مسألة

إنْ قيل : لِمَ (٦ ب) قدّمَ الشكرَ على الإيمان (٢٩) ؟

فالجواب :

وذلك أنّ العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر الى معرفة النّعم آمنَ به ثمّ شكرَ شكراً مفصّلاً . فكان الشكرُ متقدّماً على الايمان ، وكأنّه أصل التكليف ومـــداره .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين » (٣٠) .

ليس (جعل) هاهنا بمعنى (صيّر) . لأنّ ذلك يقتضي حالة سابقة نَقْلَ الشيء عنها الى حالة أخرى ، ولا الذي بمعنى (حَكَمَ) . ولا بُدَّ من أحد التقديرين . أحدهما : وجعلنا الشمسَ والقمرَ فيهما آيتين .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « ألمْ يجدْكَ يتيماً فآوى » (٣١) .

---

(٢٩) في قوله تعالى : « مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ...» الآيــة ١٤٧ من سـورة النسـاء . وينظر : تفسير الرازي ١١/٩٠ .

(٣٠) الاسراء ١٢ .

(٣١) الضحى ٦ .

قيل : وَجَدَكَ عديمَ النظير من الدرّ اليتيم فآواك الى كرامته ، واصطفاكَ لرسالته .

* * *

سؤال

[لِمَ] قال في الأنعام : « أَلَمْ يَرَوْا » (٣٢) . وقال في غيرها : « أَوَلمْ » (٣٣) ؟

فالجواب :

وذلك ما كانَ الاعتبار فيه بالمشاهدة ذَكَرَه بالألف وواو العطف أو فائه (٣٤) . وما كان الاعتبار فيه بالاستدلال (٧ أ) ذُكِرَ بالألف وحده . ولا ينقض هذا الأصل قوله : « أَلَمْ يَرَوْا الى الطيرِ مُسَخَّرَاتٍ »(٣٥) ، لاتصالها بقوله : « واللهُ أَخْرَجَكُم من بطونِ أمهاتِكم » الآية (٣٦) ، وسبيلُها الاعتبار بالاستدلال فبنى « أَوَلم يروا » عليه .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « سلامٌ عليكم طِبْتُم » (٣٧) .

في معناه ثلاثة أوجه :

أحدها : نعمتم

(٣٢) الأنعام ٦ . وينظر : فتح الرحمن ١٥٩ .

(٣٣) الرعد ٤١ وآيات أخرى . ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٨٤ .

(٣٤) كقوله تعالى : « أفلم يروا الى مابين أيديهم ...» سبأ ٩ .

(٣٥) النحل ٧٩ . وفي الأصل : اولم .

(٣٦) النحل ٧٨ .

(٣٧) الزمر ٧٣ . وينظر : زاد المسير ٢٠١/٧ .

الثاني كرمتم
الثالث : زكوتم

* * *

سؤال

[لِمَ] قالَ في براءة في أولها : « ثُمَّ تُرَدُّونَ »(٣٨) ، وقال في الثانية : « وسَتُرَدونَ » (٣٩) ، ثمَّ زاد فيها : والمؤمنون » .

فالجواب :

لأنَّ الآية الأولى خطاب للمنافقين ، ونفاقهم لا يطلع عليه غير الله والنبيِّ ، عليه السلام ، باطلاع الله له عليه .

والآية الثانية خطاب للمؤمنين . وأولها « اعملوا » أنَّ الطاعات والعبادات والصدقات . وهذه يراها المؤمنون كما يراها رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم .

وأمّا قوله في الآية الأولى : « ثمَّ تُرَدُّون » ، وفي الثانية : « وستردّون»

فالجواب :

وذلك لأن الأولى وعيدٌ . و (ثُمَّ) للتأخير . والثانية (٤٠) وعدٌ (٧ب) والسين أقربُ الى الحال من (ثُمَّ) . فوافق ما قبل الآية من قوله : « فسيرى اللهُ » ، فقرّبَ الثوابَ وبَعّدَ العِقابَ .

* * *

(٣٨) التوبة ٩٤ : « وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .
(٣٩) التوبة ١٠٥ : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .
وينظر : فتح الرحمن ٢٣٩ .
(٤٠) في الأصل : والثاني .

مسالة

قوله تعالى : « وعلى اللهِ قَصْدُ السبيلِ ومنها جائرٌ »(٤١) .

أي : على تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج والبراهين ، فقوله « ومنها جائر » أي : من السُبُل طُرُقٌ غير قاصدة للحق .

* * *

سؤال

إنْ قيلَ : لِمَ قالَ : « حتى إذا رَكِبا في السفينةِ خَرَقَها »(٤٢) . بغير فاء . وقال : « حتى إذا لَقِيا غُلاماً فقَتَلَهُ »(٤٣) بالفاء .

فالجواب :

وذلك لأنَّ خرقَها جُعِلَ جزاءً للشرط ، وجعل قتله من جُملة الشرط معطوفاً عليه ، والجزاء : « قالَ أقَتَلْتَ » .

فإنْ قِيلَ : فلِمَ خُولِفَ بينهما ؟

[فالجواب] :

وذلك لأنَّ خرقَ السفينة لم يتعقّب الركوب ، وقد تعقّبَ القتلُ لقاء الغلام .

* * *

مسالة

قوله تعالى : « وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين »(٤٤) .

---

(٤١) النحل ٩ . وينظر : معاني القرآن واعرابه ١٩٢/٣ وزاد المسير ٣٢/٤ .
(٤٢) الكهف ٧١ .
(٤٣) الكهف ٧٤ . وينظر : فتح الرحمن ٣٥٤ .
(٤٤) الاسراء ١٢ . وينظر : المحرر الوجيز ٢٦٧/١٠ .

فيه وجهان :

أحدهما : أنْ يُرادَ : أنَّ الليلَ والنهارَ آيتان في أنفسهما ، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين (٨أ) كاضافة العدد الى المعدود ، أي : فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مُبصرة .

والثاني : أنْ يُرادَ : وجعلنا نيري الليلِ والنهارِ آيتين ، يريد الشمسَ والقمرَ .

«فمَحَوْنا آيةَ الليل » : أيْ : جعلنا الليل ممحوَّ الضوء مطموساً مُظلماً لا يُستبانُ فيه شيء ، كما لا يُستبان ما في اللوح الممحو .

وجعلنا النهارَ مبصراً : أي تُبصرُ فيه الأشياءُ وتستبانُ . أو فمحونا آيةَ الليل التي هي للقمر حيثُ لم نخلقْ له شعاعاً كشعاعِ الشمس وتُرى به الأشياء رؤيةً بيِّنةً . وجعلنا الشَمسَ ذات شعاع يُبصرُ في ضوئها كلَّ شيء .

« لتبتغوا فَضْلاً من ربِّكم »(٤٥) : أي : لتتوصلوا بضياء النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « إنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أمثالُكُمْ »(٤٦)

قال بعضُ المفسرين : إنّما قال : (أمثالكم) للنسبة التي بينهم لأنّهم ما فهموا ما جاءَ به النبيّ ، صلّى الله عليه وسلم ، من الآيات ، ولا علموا ، فكذلك (٨ ب) الأصنامُ حجارةٌ لا تعقلُ ولا تفهمُ .

(٤٥) الاسراء ١٢ .
(٤٦) الاعراف ١٩٤ . وينظر : تفسير الرازي ٩٦/١٥ وتفسير القرطبي ٣٤٢/٧ .

وقيل : إنّما قال : (عبادٌ أمثالُكم) استهزاء بهم ، أي : قصارى أمرهم أنّهم يكونون أحياء عقلاً ، فإنْ ثبتَ ذلكَ فهم عبادٌ أمثالُكم لاتفاضل بينكم ، ثمّ أبطلَ أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال : « أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يمشونَ بها » الآيـــة (٤٧) .

قال مقاتل (٤٨) : المرادُ بهذه الآية طائفة من العرب من خزاعة كانت تعبدُ الملائكة فأعلمهم اللهُ أنّهم عبادٌ أمثالهم لا آلهة .

فإنْ قيلَ : ما الدعاءُ الأوّل ؟ وما الدعاءُ الثاني ؟

فالجواب :

أمّا الدعاءُ الأوّلُ فتسميتهم الأصنام آلهة ، كأنّه قالَ : إنّ الذين يدعون آلهة من دون الله .

وأمّا الثاني فطلبُ المنافع وكشف المضار من جهتهم ، وذلك مأيوسٌ من قبلهم ، وعبادةُ مَنْ هذه صفتهم جهلٌ وسخفٌ .

وقيل : (عبادٌ أمثالُكم) : وذلك أنّهم توهموا أنها تضرُّ وتنفعُ ، فقيل: ليس تخرج بذلك عن حُكْمِ خلق الله .

* * *

مســألة

قوله عزّ وجلّ : « ... ولا على أنْفُسِكُم أنْ تأكلوا من بيوتِكم »(٤٩).

---

(٤٧) الاعراف ١٩٥ .

(٤٨) المحرر الوجيز ٢٢٩/٧ . ومقاتل بن سليمان ، توفي ١٥٠ هـ . (تاريخ بغداد ١٦٠/١٣ ، طبقات المفسرين للداودي ٣٣٠/٢) .

(٤٩) النور ٦١ : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ...» . وفي الأصل : (ليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم) . وهو سهو .

إنْ قِيلَ : ما المُرادُ بقوله : (بيوتكم) ؟

(٩ أ) فالجوابُ :

وذلك أنّه أرادَ بيوت أولادِكم فنسبها اليهم ، لأنَّ الأولاد كسبُهم وأموالهُم كأموالهم ، يدلّ على ذلك أنّ الناس لا يتوقون أنْ يأكلوا من بيوتهم ، وأنّه عدّ القرابات ، وهم أبْعَدُ شيء من الولد ، ولم يذكر الولد .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ » (٥٠) .

إنْ قِيلَ : إنّما تذكر الكُنْية للتعظيم ، وهذا في محل تحقير .

فالجوابُ :

وذلك أنّه كانَ اسمه عبدالعزّى ، والله سبحانه لم يرض ذلك .

والثاني : أنّ المراد به النارُ ، فكأنّه قالَ : أبو النار ، مشبهه بما يؤولُ اليه فتكون النهاية في الحقارةِ .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « والصالحين من عبادِكم » (٥١) .

إنْ قِيلَ : لِمَ خصّ الصالحين ؟

قيل : ليخصّ دينَهم ويحفظ عليهم صلاحهم ، وأنّ الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودّة ، وكانوا مظنّةً للتوصية بنسائهم والاهتمام بهم .

• • •

(٥٠) المسد ١ . وينظر : تفسير القرطبي ٢٣٦/٢٠ والبحر المحيط ٢٥/٨ .

(٥١) النور ٣٢ . وينظر : المحرر الوجيز ٣٠٠/١١ .

مسألة

إنْ قيلَ : قد اختلفَ التنزيل في قوله تعالى : « مِنْ حَمَأٍ مسنونٍ »(٥٢) (٩ب) « من طينٍ لازبٍ »(٥٢أ) « من ترابٍ »(٥٢ب) .

فالجوابُ :

وذلك متّفقٌ في المعنى ومفيدٌ أنّه خلقه من تراب جعله طيناً ثُمّ حمأً مسنوناً .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كُنتم تَمْرَحونَ »(٥٣) .

قيل : الفرح : السرور ، والمرح : البَطَر ، فسرّوا بالامهال وبطروا بالنعم .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « وتواصَوْا بالحقِّ »(٥٤)

قيل: هو التوحيد . وقيل : هو القرآن . وقيل : هو اللهُ عزّ وجلّ . «وتواصَوْا بالصبر »(٥٥) على طاعة الله . وقيل : على ما افترضَ اللهُ . وقيل : على محارم الله واتباع الشهوات .

• • •

(٥٢) الحجر ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ . وينظر : تفسير القرطبي ٢١/١٠ .
(٥٢ أ) الصافات ١١ . (٥٢ب) آل عمران ٥٩ وآيات أخرى .
(٥٣) غافر ٧٥ . وينظر : تفسير القرطبي ٣٣٣/١٥ .
(٥٤) العصر ٣ . وينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٧٢ .
(٥٥) العصر ٣ .

مسألة

قوله تعالى: «ولقد كَتَبْنا في الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ» (٥٦) في الزّبور: أي في الكتاب، من بعد ذكرنا في السماء . وقيل: من بعدِ كَتْبِهِ في أمّ الكتاب . وقيل : في الزبور : يعني زبور داود .

من بعد الذّكْر : يعني التوراة .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « وإنّ للذين ظَلَمُوا عذاباً دونَ ذلكَ » (٥٧).

الذين ظلموا : همْ أصحاب الصغائر وأصحاب الحدود .

ومعنى دونَ ذلك: أقلّ (١٠أ) من ذلك، فانّهم مُخَفَّفٌ عنهم العذاب .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « ولا تموتُنَّ إلاّ وأنْتُمْ مسلمونَ »(٥٨).

وقع في ظاهر الكلام على الموت ، وإنّما هو في الحقيقة على ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموتُ عليه. والمعنى: الزموا الا سلام فاذا أدرككم الموتُ صادفكم عليه ، كما تقول: لا أراكَ هاهُنا (٥٩)، موقع حرف النهي عن الرؤية ، وأنت لم تَنْهَ نفسَكَ على الحقيقة بل نهيتَ المخاطبَ كأنّكَ قُلتَ : لاتقربنّ هذا الموضع فمتى جئته لم أرَكَ فيه . وهذا من سعة الكلام .

* * *

---

(٥٦) الانبياء ١٠٥ . وينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٧٠ .

(٥٧) الطور ٤٧ . وينظر : تفسير القرطبي ٧٨/١٧ .

(٥٨) آل عمران ١٠٢ . وينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس ٤٥٢/١ .

(٥٩) في كتاب سيبويه ٤٥٣/١ : لا أرينك ههنا .

مسألة

قوله تعالى : « لقد تابَ اللهُ على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ »(٦٠) .

في هذه التوبة وجهان :

أحدهما : استنقاذهم من شِدَّة القسوة .

والثاني : خلاصهم من مكايد العدوّ .

وقوله في آخر الآية : « ثُمَّ تابَ عليهم » ، وهذه غير الأولى ، وفيها أيضاً قولان :

أحدهما : أنّ التوبة الأولى في الذهاب ، والتوبة الثانية في الرجوع .

الثاني : أنّ الأولى في السفر ، والثانية (١٠ ب) بعد العود الى المدينة .

فانْ قيلَ في الأولى : إنّ التوبة الثانية في الرجوع احتملت وجهين :

أحدهما : أنّها الإذن لهم بالرجوع الى المدينة .

والثاني : أنّها بالمعونة لهم في امطار السماء عليهم حتى حيّوا .

فالتوبة على هذين القولين عامة .

وإنْ قيل : التوبة الثانية بعد خروجهم الى المدينة احتملت وجهين :

أحدهما : أنّ العفو عنهم في ممالأة من تخلّف عن الخروج معهم

والثاني : غُفران ما همَّ به فريقٌ في العدول عن الحقّ .

فالتوبةُ على هذين الوجهين خاصة .

* * *

مسألة

قوله تعالى : « ثُمَّ تابَ عليهم ليتوبوا »(٦١) .

---

(٦٠) التوبة ١١٧ . وينظر : تفسير الطبري ٥٤/١١ وتفسير القرطبي ٧٨/٨ .

(٦١) التوبة ١١٨ . وينظر : تفسير القرطبي ٢٨٨/٨ .

أي : ليستقيموا على التوبة ، لأنه قد تقدَّمت توبتهم وإنّما امتحنهم بذلك استصلاحاً لهم ولغيرهم .

وقيل : ثم تابَ عليهم ليتوبوا : أي : قَبِلَ توبتهم ليرجعوا الى حال الرضى عنهم .

وقيل : ليتمسكوا بها في مستقبلِ أوقاتهم .

مسألة

قوله عزَّوجلَّ : « انفروا خِفافاً وثِقالاً »(٦٢) .

قيل : خِفّة اليقين (١١ أ) وثقل اليقين .

وقيل : خِفافاً الى الطاعة ثِقالاً عن المعصية .

• • •

مسألة

قوله تعالى : « ثُمَّ كانَ من الذين آمنوا »(٦٣) .

جاء بـ (ثُمَّ) هاهنا لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة ، لا في الوقت لأنَّ الإيمان هو السابقُ المقدّم على غيره ولا يثبتُ عملٌ صالحٌ إلاّ بهِ .

• • •

مسألة

قوله عزّوجلّ : « قُلْ هو الرحمنُ آمَنّا بهِ وعليه توكّلْنا » (٦٤) .

إنْ قيلَ : لِمَ أخّرَ مفعول (آمنا) وقدّم مفعول (توكّلنا) ؟

(٦٢) التوبة ٤١ . وينظر : تفسير الطبري ١٣٧/١٠ وزاد المسير ٤٤٢/٣ .

(٦٣) البلد ١٧ . وينظر : البحر المحيط ٤٧٦/٨ .

(٦٤) الملك ٢٩ . وينظر : تفسير القرطبي ٢٢٢/١٨ .

فالجواب :

وذلك لوقوع (آمنا) تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيبَ ذكرهم ، فكأنَّهُ قيل : آمنا ولم نكفر كما كفرتم ، ثم قال : وعليه توكّلنا خُصوصاً لم نتكِلْ على ما أنتم متكِلون عليه من رجالِكم وأموالِكم .

* * *

مسـألة

قوله عزّوجلّ : « وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً »(٦٥) .

أحسنُ ماقيلَ في هذا قول سيبويه (٦٦) ، قال : عاينَ القومُ قدرةَ الله تعالى فقيلَ لهم : هكذا كان . اي : لم يزَلْ مُقْتَدِراً .

* * *

مسـألة

قوله تعالى : « خاشِعاً أبصارُهم »(٦٧) .

حال من الخارجين ، وهو فعل للابصار (١١ب) وذُكِّرَ كما تقولُ : يخشعُ أبصارُهم .

وقُرِيء : (خاشِعةً) على : تخشعُ أبصارُهم .

و(خُشَّعاً) على يخشعن أبصارهم ، وهي لغةُ مَنْ يقولُ : (أكلوني البراغيثُ) (٦٨) ، وهم طيِّيء .

ويجوزُ أنْ يكونَ في (خُشَّعاً) ضميرهم، وتقع (أبصارهم) بدلاً منه .

---

(٦٥) الكهف ٤٥ . وينظر : تفسير الطبري ٢٥٢/١٥ .

(٦٦) عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ . (مراتب النحويين ٦٥ وطبقات النحويين واللغويين ٦٦) .

(٦٧) القمر ٧ ، وفي المصحف الشريف : خشعاً . وينظر في قراءات هـذه الآية : السبعة في القراءات ٦١٧ ــ ٦١٨ وتفسير القرطبي ١٢٩/١٧ ــ ١٣٠ والبحر المحيط ١٧٥/٨ ــ ١٧٦ .

(٦٨) ينظر عن هذه اللغة : دقائق التصريف ١٤٥ والجنى الداني ١٨٢ ومغني اللبيب ٤٠٥ .

وتُقرىء : (خُشَّعٌ أبصارُهم) على الابتداء والخبر ، ومحلّ الجملة النصب على الحال ، كقوله : حاضراً الجودُ والكرمُ .

وخشوعُ الأبصار : كناية عن الذلّة والانخذال . لأنّ ذلّةَ الذليل وعزّةَ العزيز تظهران في عيونهما .

* * *

مسألة

إنْ قالَ قائلٌ : لِمَ قالَ : «إنّ في ذلكَ لآيةً لكم إنْ كنتم مؤمنين»(٦٩) وهي آية للجميع ؟

قيلَ : معناه : إنْ كنتم مؤمنين بالله ، إذْ كان لا يصحّ العلم بمدلول المعجزة إلاّ لِمَنْ آمَنَ باللهِ سبحانه ، لأنّ العِلمَ بالمُرسلِ قبلَ العلمِ بالرسول ، ولأنّ مَنِ استحقّ صفة مؤمنٍ عَلِمَ أنّ ذلك من ارادة الله .

* * *

مسألة

إنْ قيل : هل شكّ العُزَيرُ . عليه السلام . في قوله تعالى : « أنّى يُحيي هذه اللهُ بعدَ مَوْتِها »(٧٠) ؟

قُلنا : لا (١٢ أ) وذلك أنّه إنّما أرادَ : كيفَ يُحيي اللهُ أهلَ هذه القريةِ بعدَ موتِهم . قصَدَ بذلك المعاينة للكيفية فأُري ذلك في نفسه وحمارِهِ لا على طريق انكار قدرة الله تعالى .

* * *

---

(٦٩) البقرة ٢٤٨ وآل عمران ٤٩ . وينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٥٦/١ .

(٧٠) البقرة ٢٥٩ . وينظر : المحرر الوجيز ٢٩٠/٢ وتفسير القرطبي ٩٠/٢ .

مسـألة

قوله تعالى : « فاغفِرْ لنا ذنوبنا وقِنَا عذابَ النارِ »(٧١).

وإذا غفرَ ذنبه فقد وقاهُ عذابَ النار . وهل ذلك تكرارٌ أمْ هما مسألتان ؟

الجواب :

قيل : هما مسألتان :

احداهما (٧٢) : طلب ستر الذنوب بترك العتاب عليها وإخفائها عن أهل الحشر حتى لا يفتضح فيها .

والثانية(٧٣) : أن تحرسهم من عذابِ النارِ .

وقد يجوز أنْ تستر ذنبه ولا تعاقب عليه .

ويجوز أنْ تستر ذنبه وتعاقب عليه ضرباً من العقوبة ، فاذاً ستره ورفع جميع التبعة عنه فقد تمّ له مُراده .

* * *

مسـألة

قوله عزّوجلّ : « وكانوا فيه من الزّاهِدينَ »(٧٤) .

قال أبو اسحاق (٧٥) : ليست (فيه) داخلة في الصلة ، ولكنها تبيينٌ ، أي : زهادتهم فيه .

وحَكَى سيبويه (٧٦) (١٢ب) والكسائي (٧٧) : زَهَدْتُ وزَهِدْتُ ، بكسر الهاء وفتحها .

* * *

تمّ الكلام في الآيات الكريمة والحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد خاتم النبيين وسلّم عليه .

---

(٧١) آلعمران ١٦ . وينظر : تفسير الرازي ٢١٦/٧ ـ ٢١٧ .
(٧٢) في الأصل : احدهما . (٧٣) في الأصل : والثاني .
(٧٤) يوسف ٢٠ . وينظر : زاد المسير ١٩٧/٤ وتفسير القرطبي ١٥٧/٩ .
(٧٥) معاني القرآن واعرابه ٩٨/٣ . وابو اسحاق الزجاج ، ت ٣١١ هـ .
(٧٦) الكتاب ٢١٩/٢ .
(٧٧) علي بن حمزة ، ت ١٨٩ هـ . (نور القبس ٢٨٣ وانباه الرواة ٢٥٦/٢) .

المطبوعات الواردة والمهداة الى مكتبة المجمع

للدورة المجمعية ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠

القسم الاول

اعداد : صباح ياسين الاعظمي

مدير المكتبات

الكتب الدينية

* أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين .

تأليف ، ثناء الله الزاهدي ، نشر في باكستان بدون سنة طبع ، ٤٨ ص .

* بدائع الفوائد .

تأليف ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ج١ ــ ج٢ × م١ ، ٢٣٢ + ٢٩٠ ص .

* بدائع الفوائد .

تأليف ، ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ج٣ ــ ج٤ × م١ ، ٢٩١ + ٢٢٨ ص .

* تحقيق الغاية بترتيب الرواة المترجم لهم في نصب الراية .

تأليف ، الحافظ ثناء الله الزاهدي ، طبع في الكويت سنة ١٩٨٨ ، ٤٤٧ ص •

* توجيه القاريء الى القواعد والفرائد الاصولية والحديثة في فتح الباري •

تأليف ، الحافظ ثناء الله الزاهدي ، طبع في الكويت ، ١٩٨٦ ، ٣٦٥ ص •

* حديث رمضان •

تأليف ، ابي القاسم محمد كرو ، طبع في تونس ، ١٩٥٨ ، ١١١ ص •

* الخطيئة والتكفير •

تأليف ، الدكتور عبد الله محمد الغلامي ، طبع في جدة ــ المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٥ ، ٣٧٩ ص •

* السنن الصغرى •

تأليف ، الحافظ ابي بكر احمد بن الحسين ، تحقيق ، بهجة يوسف محمد ابو الطيب ، مطبعة الخلود ، ١٩٨٨ ، ٤٧٨ ص •

* كتاب الشهر (محمد) (ص) •

تأليف ، فتحي رضوان ، مطبعة التعاون الشرقي ، ١٩٣٨ ، ١٦٠ ص •

* المنتخب من احاديث سيد المرسلين •

اعداد ، عفاف عبد اللطيف ياسين العاني • بغداد ، ١٩٨٩ ، ١٨٢ ص ، ن٣ •

* تتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام ، وفي تحقيق مولد النبى (ص) •

تأليف ، محمود باشا الفلكي ، مصر ، ١٣٠٥ هـ ، ٦٤ ص •

* موضع اوهام الجمع والتفريق ج١ •

تأليف ، ابي بكر ، الخطيب البغدادي ، طبع في بيروت ، بدون سنة طبع •

* موضع اوهام الجمع والتفريق ج٢ •

تأليف ، ابي بكر ، الخطيب البغدادي ، بيروت ، بدون سنة طبع •

كتب التربية وعلم النفس

* الادارة التربوية في الجمهورية الاسلامية الموريتانية •

تأليف ، محفوظ بن عابدين سيدي ، من اصدارات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار • تونس ، ١٩٨٧ ، ٦٧ ص •

* الاعلام البيئي ، دراسة ونماذج •

ترجمة ، برعي حمزة ، ومنى الظاهر ، تونس ، ١٩٨٧ ، من اصدارات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ٢٣ ص •

* الاعلام وتحديات التنمية •

تأليف ، سيد رحيم وآخرون ، تونس ، ١٩٨٤ ، من اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ٥١ ص •

* برنامج ومناهج كليات التربية في دول الخليج العربي .

تأليف ، محمد اسماعيل ظافر ، الرياض ، ١٩٨٩ ، ٦٢٦ ص .

* تدريس العلوم في المدارس الثانوية في العراق .

تأليف ، الدكتور محمد جابر سليم ، وسالم الاحمدي ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٧٢ ، ٣١ ص .

* تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام .

تأليف ، محمود احمد السيد ، تونس ، ١٩٨٧ ، منشورات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ٤٤٢ ص .

* التعليم التقني في الوطن العربي ، الواقع والاتجاهات .

تأليف ، هاشم محمد سعيد عبد الوهاب ، منشورات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، تونس ، ١٩٨٥ ، ٦٤١ ص .

* دليل تقويم الحملات الشاملة لمحو الأمية .

اصدار ، الجهاز المركزي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، تونس ، ١٩٨٦ ، ١٥٧ ص .

* دليل حول واقع البرامج التربوية لرياض الاطفال بالوطن العربي .

تأليف ، عبد الله معاوية ، اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار طبع في الكويت ، ١٩٨٩ ، ٩٩ ص .

* دليل عمل الشباب في مجال محو الأمية وتعليم الكبار .

تأليف ، هاشم ابو زيد الصافي ، بغـداد ، ١٩٨٧ ، اصدار الجهـاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ٤٠ ص •

* خطط وتجارب عربية في مجال استخدام الحاسوب في التعليم (المنهاج والمرجـــع) •

تأليف ، مديح عمران وآخرون ، منشورات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، تونس ١٩٨٩ ، ٣١ ص •

* الخطة الشاملة للثقافة العربية •

اصدار ، المنظمة العربية للتربية والثقـافة والعلوم ، الجهـاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، طبع الكويت ١٩٨٦ ، حـ١ ـ جـ٥ × م٥ مع فهرس المحتويات ، ٢٠٧ + ٢٥٩ + ١٠٢٦ + ٨٥ + ٢١ ص •

* العلوم المتكاملة في مرحـلة التعليم الاساسي (٩ سـنوات) المنهاج المرجـــع •

تأليف ، مديح عمران وآخرون • منشورات الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، طبع في تونس ، ١٩٨٩ ، ٩٦ ص •

* الفكر التربوي في التراث العربي الأسلامي •

تأليف ، نوري جعفر وآخرون ، بغـداد ، ١٩٨٨ ، ١٣٤ ص •

* قرارات وتوجيهات مجلس التعليم العالي والبحث العلمي •

اصدار ، وزارة التعـليم العالي والبحث العلمي ، بغـداد ، ١٩٧٨ ، ٧٥٤ ص •

* العقل والجسم • دراسة نفسية فسيولوجية •

تأليف ، هربت بنسن ، ترجمة محمد جابر علي ، منشورات دار المأمون ، بغـداد ١٩٨٩ ، ١٦٧ ص •

* كلمات الى الشباب •

تأليف ، ابي القاسم محمد كروّ ، تونس ١٩٨٩ ، ١٦٠ ص •

* كلمات ومواقف •

تأليف ، الدكتور محي الدين صابر ، منشورات الجهاز المركزي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، حـ٣ ـ حـ٥ × م٣ ، ٢٣٩ + ١٦٨ + ١٨٧ ص •

* من اعلام التربية العربية الأسلامية •

اعـداد ، مكتب التربية لدول الخليج ، بالأشتراك مـع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الأسلامية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الرياض ١٩٨٩ ، ٣٦٠ ص •

* مشكلات تدريس اللغة العربية •

تأليف ، صالح جواد الطعمة ، مطبعة الموصل ، ١٩٧٢ ، ٩٢ ص •

* الملف الأعلامي التربوي (التعليم الأبتدائي ، طرائف التدريس في تعليم الكبار ، الأصلاح والتجديـد في التعليـم العالي ، التربية العلميـة والتقنية ، تدريس المعلمين أثناء الخدمة ، الأدارة التربوية ، التعليـم الثانوي في العالم ، التعليم المتعدد الأختصاصات ، التربية الغذائيـة في الثمانينات ، التعليم غير النظامي في البلدان النامية .•
تأليف ، املي بلاتك ، وكونرادت اليدون ، فليباغ لثباس ، وسفاتو

بلوك ، مريد بدبخ هيوز ، املي بلاتك ، روولف بيغفر ، قسم التربية في اليونسكو ، ومريم باكلين ، اربك ريمركرز ، ترجمة كمال رفيق الجراج وآخرون ، بغداد ١٩٨٩ .

* مكونات البيئة من تطوير التربية البيئية في مناهج التعليم العام بالوطن العربي .

تأليف ، مديح عمران ، اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، تونس ، ١٩٨٧ ، ٤٩ ص .

* الموسم الثقافي للعام الدراسي ١٩٨٥ — ١٩٨٦ .

تأليف ، الدكتور عبد الرحمن عطيات ، الاردن ١٩٨٨ ، ٣٢٥ ص .

* مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الأسلامية .

اصدار ، مكتب التربية لدول الخليج ، تونس ١٩٨٥ ، ٤٤٠ ص .

* النوعية التربوية في المراحل العلمية في البلاد الأسلامية .

تأليف ، عباس مدني ، من اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، طبع في الرياض ، ١٩٨٩ ، ٣٠٢ ص ، ن٢ .

كتب اللغة العربية

* الأصول العربية للدراسات السريانية .

تأليف ، كوركيس عواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي — بغداد ، ١٩٨٩ ، ٥٦٦ ص ، ن٢ .

* الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين .

تأليف ، ابن الأنباري ، كمال الدين ابو البركات ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار الفكر ، بدون سنة طبع ، ج١ — ج٢ × م٢ ٤٢٤ + ٨٨٠ ص •

* دراسات في اللغة والحضارة •

نشرته ، وزارة الشؤون الثقافية ، تونس ، ١٩٧٥ ، ١٤٣ ص •

* اللغة الألمانية لابناء العربية •

تأليف ، الدكتور فرانس شبات ، هلمودكلويفر ، القاهـرة ١٩٦١ — ١٩٦٢ ، ج٢ — ج٣ × م٢ ، ١٤٣+١١٢ ص •

* المرشد الى تمييز الظاء من الضاد •

تأليف ، احمد حامد الشربتي ، بغـداد ، ١٩٥٧ ، ٨٨ ص •

* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب •

تأليف ، الأنصاري جمال الدين بن هشام ، تحقيق مازن المبارك ، ومحمد علي حمدالله ، مطبعة دار الفكر — بيروت ، ١٩٨٥ ، ج١ — ج٢ ×م١ ، ١٠١٣ ص •

* محاكمة اللغتين •

تأليف ، امير نظام الدين ، طهران ، ١٣٢٧ هـ ، ٣٦ ص •

* النحو الأعدادي •

تأليف ، الدكتور احمد ناجي القيس ، مطبعة المثنى ، بغـداد ، ١٩٤٧ • ٢٣٩ ص •

* النحو والمعاني .

تأليف ، مجموعة من المؤلفين ، مطبعة الجامعة ، بغـداد ، ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ، ١٢٨ .

كتب الأدب العربي

* احزان سوني والرجل الذي ذهب الى شيكاغو .

تأليف ، جيمس بالدوين ، ترجمة نـاصرة السعدون ، منشورات دار المأمون للترجمة ، بغـداد ١٩٨٩ ، ١٢٥ ص .

* أربعة نساء .

تأليف ، ناجية حمدي ، مطبعة المعارف ، بغـداد ، ١٩٥٥ ، ٩٨ ص .

* أصوات وخطوات (مقالات في القصة العربية) .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ٢٧٢ ص .

* الأفواة ــ قصص .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ٢٠٧ ص .

* امرأة لكل الأعوام ــ قصص .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ١٨٤ ص .

* الأنهار ــ رواية .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ٢٨٦ ص .

* ايقونة ــ شعر •

ترجمة عاطفة رومايا ، بغداد ١٩٨٩ ، ٢١ ص •

* بحر الاداب •

تأليف ، الاخ بلاخ ، المطبعة العمومية ، القاهــرة ، ١٩٠٦ ، ١٧٢ ص •

* تاريخ التراث العربي (الشعر ، مقدمة ودراسات) •

تأليف فؤاد سزكين ، ترجمة ، محمد فهمي حجازي ، الرياض ، ١٩٨٣ ، حـ١ ــ حـ٤ •

* تشريح النص ، مقارنات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة •

تأليف ، الدكتور عبدالله محمد الفلاحي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ١٢٨ ص •

* التعريف بالادب التونسي •

تأليف ، رضوان ابراهيم ، تونس ، ١٩٧٧ ، ١٦٣ ص •

* جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام •

تأليف ، ابن زيد محمد بــن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق محمد علي الهاشمي ، منشورات جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، المدينةالمنورة، ١٩٨١ ، ج١ ــ ج٢ × م٢ ، ١٢٣٨ ص •

* جولة في ميدان قاحل (قصص اولى) •

تأليف ، الربيعي ، عبد الرحمن مجيد ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ٢٨٠ ص •

* جيهـان .

تأليف ، الريحاني ، أمـين ، مطبعة صادر بيروت ، بدون سـنة طبع ، ١٢٦ ص .

* الحماسة .

لأبي تمام حبيب بن اوس الطائي ، تحقيق ، عبدالله بـن عبد الرحيم عسيلان ، الرياض ، ١٩٨١ ، ٦٢٣ + ٥٨٣ ص ، ج١ ــ ج٢ × م٢ .

* خطوط الطول خطوط العرض .

رواية من تأليف ، عبدالرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ١٩٨٣ ، ٢٩٨ ص .

* الخيول ــ قصص قصيرة .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، طبعت في ليبيا سـنة ١٩٧٦ ، ١٣١ ص .

* دراسات في الرواية الأمريكية المعاصرة .

اعداد . مجموعة من النقاد ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٤٤ ص .

* دراسات الملتقى الثاني ١٩٧٢ في اللغة والادب والتاريخ .

تأليف ، لجنة من الاساتذة ، تونس ، ١٩٧٤ ، ١٨٦ ص .

* ديوان المجموعة الكاملة .

تأليف ، ابراهيم خليل العلاف ، مكة المكرمة ، ٧٠٢ ص ، ن٣ .

* روميووجوليت .

تأليف ، شكسبير ، نقلة الى العربية ، حسن احمد السلمان ، دار الكتاب بمصر ، بدون سنة طبع ، ١٨٦ ص .

* سر الماء ــ قصص مختارة .

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، طبع في بيروت ، ١٩٨٣ ، ٣٣٢ ص .

* شاعر نكبة بغداد .

تأليف ، خضر العباسي ــ مطبعة بغداد ، بدون سنة طبع ، ٤٥ ص .

* شرح ديوان ابي الطيب المتنبي (معجز احمد) .

تأليف ، ابي العلاء المعري ، تحقيق ، عبدالحميد دياب ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٦ ، ج١ ــ ج٤ × م٤ .

* شعر احمد السقاف ، مطبعة جديدة تضم جميع شعره في مطلع ١٩٨٩ .

تأليف ، احمد السقاف ، مطابع الكويت ، ١٩٨٩ ، ٤٨٠ ص .

* شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي (المجموعة الشعرية الكاملة ومسرحية) .

تأليف ، الدكتورة عاتكة الخزرجي ، طبع في الكويت سنة ١٩٨٦ ، ٤٢٥ ص .

* شقائق النعمان (ديوان شعر) .

شعر ، نعمان ثابت عبد اللطيف ، بغداد ، ١٩٣٨ ، ١٤٤ ص .

* شوقي وابن زيدون في نونيتهما •

تأليف ، ابي القاسم محمد كروّ ، تونس ، ١٩٥٦ ، ٦٤ ص •

* الشوق والفراق •

تأليف ، محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي ، تحقيق ، الدكتور جليل العطية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ١٨٨ ص •

* شهريار يجر •

شعر عبد الرحمن مجيد الربيعي ، منشورات عالـم الكتب ، ١٩٨٥ ، ٢٧٩ ص •

* صحت المرأة بين داتتي والمعري •

تأليف ، عفاف بيضوي ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٤٧ ، ١٨ ص •

* الظل في الرأس ــ قصص •

تأليف ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ٩٦ ص •

* عبد الرحمن مجيد الربيعي ــ بين الرواية والقصة القصيرة ، دارسـة نقديـة •

تأليف ، عبد الرضا على ، بيروت ١٩٧٦ ، ١٠٤ ص •

* عبيد بن الابرص ، شعره ومعجمة اللغوي •

تأليف ، الدكتور توفيق سعد •

* الفرسان الاثنى عشر المريون .

تأليف ، الايوبي ، عبد الرحمن نورجان ، مطبعة اللواء ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ٣١ ص .

* مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد .

تأليف ، رؤوف جمال الدين ، مطبعة النجف ، ١٩٦٦ ، ١٧٢ ص .

* الموقف من الحداثة ومسائل اخرى .

تأليف ، الدكتور عبدالله محمد الغلامي ، جدة ، ١٩٨٧ ، ١٦٠ ص .

* هذا جناه ابي علي

تألنف ، عبدالفادي الفاهراني ، مطبعة النيل بمصر ، ١٩٢٧ ، ٢٥ ص .

* هنري ميشو (مختارات)

ترجمة ، سامي مهدي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٢١٥ ص .

* وسام القمر — شعر — .

تأليف ، عاطفة روما يا ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ١٠٠ ص .

* الوشي المرقوم في حل المنظوم .

تأليف ، ضياءالدين بن الاثير ، تحقيق الدكتور جميل سعيد . بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٩ ، ١٦٢ ص ، ن ٢ .

* الوكر ــ رواية ــ .

تأليف ، عبدالرحمن مجيد الربيعي ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٨٣ ص .

كتب التاريخ والجغرافية

* احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

تأليف ، المقدسي البشاري ، من عمل ج. س. أ. رينكنج ، و. ر. ف. عزو ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، فرانكفورت ، ٣٣١ ص .

* اوراق من تاريخ اليمن واثاره (بحوث ومقالات) .

تأليف ، يوسف محمد عبدالله ، بيروت ١٩٨٥ ، ج١ ــ ج٣ ×م٣ ، ١٩١ + ١٣٩ + ١٩٥ ص .

* الباطنية وتياراتها التخريبية .

تأليف ، عبدالحميد العلوجي ، منشورات ومطابع دار الشؤون الثقافيــة بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢١٩ ص .

* بلاد شنقيط ــ المنارة والرباط .

تأليف ، خليل الخوني ، اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، تونس ، ١٩٨٧ ، ١٨٠ ص .

* التاريخ الدبلوماسي للمغرب :

ج١ ــ ق١ ، المقدمة من أقدم العصور الى اليوم •
ج٢ ــ ق٢ ، المقدمة من اقدم العصور الى اليوم •
ج٣ ، المغرب القديم والفتح الاسلامي •
ج٤ ، الدولة الادريسية •
ج٥ ، عهد المرابطين •
ج٦ ، عهد الموحدين •
ج٧ ، عهد بني مرين والوطاسيين •
ج٨ ، عهد السعديين •
ج٩ ، عهد العلويين ــ القسم الاول •
ج١٠ ، عهد العلويين ــ القسم الثاني •

تأليف ، الدكتور عبدالهادي التازي ، المغرب العربي ، ١٩٨٦ ــ ١٩٨٩، ج١ ــ ج١٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ص •

* تاريخ الحرب العظمى ــ الفصل الاول ــ بدأ الحرب .•

تأليف ، محمود نديم اسماعيل ، القاهرة ، بدون سنة طبع ، ٩٠ ص •

* تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم •

تأليف ، ابي المحاسن ، المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المصري : تحقيق ، عبدالفتاح محمد الحلو ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ٣٤٠ ص •

* التاريخ العام •

تأليف ، اديب التقي البغدادي ، مطبعة الحكومة ــ بغداد ، ١٣٤٠ هـ ، ١٣٤ ص •

* التاريخ لم يبدأ غداً .

تأليف ، نجم‌الدين السهروردي ، مطبعة شركة الحكومة ، ١٩٨٨ ، ٥١٠ ص .

* تراث الانسانية .

اعداد جمهرة من الكتاب والعلماء والادباء ، مطبعة الارشاد الحديثة ، مصر ، جا ـ جـ٨ ، ٥٠٤ ص ، ١٠١٢ ، ٥٠٨ ، ١٠١٦ ، ٤٥٦ ، ٩٧٥ ، ٤٧٠ ، ٩٩٩ ص .

* تاريخ قفصة وعلمائها .

تأليف ، لجنة من الاساتذة ، طبع في تونس ، ١٩٧٢ ، ٢٣٧ ص .

* ترجمة الرسالة الحميدية .

تأليف ، سورية على استق حسين، مطبعة درسعادت، ١٣٠٨هـ ٦٩٧ص.

* الحركات الهدامة في الاسلام ـ الراوندية ، والبابكية .

تاليف ، الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري ، منشورات دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٣٧ ص .

* دراسات في الادراة في العهود الاسلامية الاولى ، الاصول العربية الاسلامية ، وتقسيمات العراق الادارية .

تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ، ١٩٨٩ ، ن٢ ، ٣٥٦ ص .

* دولة الدخلاء .

تأليف ، محمد مهـدي البصير ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٣٥ . ٣٣ ص .

* رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر .

ترجمة ، الدكتور محمود الامين ، بغداد ، ١٩٥٣

* خلافة الفاروق عمر بن الخطاب .

تأليف ، فارس حسن شكر ، بغداد ، ١٩٨٩ ، منشورات الدار العربية ، ١٣٦ ص .

* سامراء عاصمة الدولة العباسية في عهد العباسيين .

تأليف ، احمد عبدالباقي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٥٨٣ + ٤٦٢ ص ، ط١ — جـ١ × م٢ .

* السفارات النبوية .

تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب — بغداد ، مطبعة المجمـع العلمي العراقي ، ١٩٨٩ ، ٦٢٥ ص ، ن٢ .

* طريق النهضة .

تأليف ، ابي القاسم محمد كروّ ، طبع في تونس ، ١٩٨٩ ، ١٧٣ ص .

* عصر اساطين العمارة ، وجهة نظر خاصة في العمارة الحديثة .

تأليف ، رينر بانهام ، ترجمة سعاد عبد علي مهدي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٥٩ ص .

* عصر القيردان .

تأليف ، ابي القاسم محمد كرو ، طبع في تونس ، ١٩٨٩ ، ١١٩ ص .

* العراق بين انقلابين .

تأليف ، عبدالفتاح ابو النصر الباخي ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ص ١١٥ .

* العراق في عهد المغول الايلخانيين .

تأليف ، الدكتور جعفر خصباك ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ٣٠٤ ص .

* العمارة والفنون في دولة الاسلام .

تأليف ، الدكتور سعد زغلول عبدالحميد ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ٥٨٨ ص .

* القبائل العراقية .

تأليف . يونس الشيخ ابراهيم السامرائي . بغداد ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٩ ، جا ــ جـ٢ ×٢م ، ٣٦٨ + ٧٠٩ ص .

* القضاء في العراق في العهد السلجوقي .

تأليف ، الدكتور جعفر خصباك ، مطبعة المعارف بغداد ، قطعة مستلة من مجلة الجمعية التاريخية العدد ٣ ــ ١٩٧٤ .

* قلعة كيانة في السليمانية .

تأليف ، توفيق وهبي ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ٢٥ ص .

* كربلاء في الذاكرة .

تأليف ، سلمان هادي الطعمة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ٤٧٢ ص .

* كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة •

تأليف ، محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني ، مطبعة مصر ، ١٩٣٩ ، ٤٤ ص •

* المحاربون القدماء في العراق •

تأليف ، توفيق حسين ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٥١ ، ٦٤ ص •

* المسلمون في الهند •

نقله الى العربية ، بطرس روفائيل ، مطبعة شركة الاعلانات ، ١٩٥٢ ، ٥١ ص •

* موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية) •

تأليف ، قحطان عبدالستار الحديثي واخرون ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ٥١١ ص •

* موسوعة البصرة الحضارية (المحور الجغرافي) •

تأليف ، قحطان عبدالستار الحديثي واخرون ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ٥٤١ ص •

* نهاية قصر الرحاب •

تأليف ، محمد حمدي الجعفري ، مطابع دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٣٧ ص •

كتب التراجم والسير

* ابو جعفر الرواسي نحوي من الكوفة •

تأليف ، الدكتور عبدالله الجبوري ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٨ ، ٧٨ ص •

* اربعينية فقيدة الادب والاذاعة السيدة ناجية ناصر .

اصدار ، وزارة الشؤون الثقافية تونس ، ١٩٨٨ .

* امة اجتمعت في انسان .

بقلم ، أقطاب عربية ، تونس ، ١٩٨٩ ، ١٦٣ ص .

* اناتول فرانس .

تأليف ، د. ول. دورانت ، طبع الكتاب بمصر ١٩٤٧ ، ١٨٦ ص .

* حياة الدكتور صن يات صن .

تأليف : أمين خان ، تعريب نور ناصيف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٦ ، ٣٢ ص .

* الرحلة الملكية عام ١٣٤٣ هـ .

تأليف ، يوسف ياسين ، المدينة المنورة ، بدون سنة طبع ، ١٠٦ ص .

* رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية .

تأليف ، الدكتور علي عبدالله الدفاع . جازان ــ السعودية ، ١٩٨٩ ، ٢٦٥ ص .

* رواد علم الفلك في الحضارة العربية والاسلامية .

تأليف ، الدكتور علي عبدالله الدفاع ــ جدة ــ المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٨ ، ١٤٤ ص .

* ساطع الحصري كما عرفته .

تأليف ، ابي القاسم محمد كرو . طبع في تونس ، ١٩٧٠ ، فضلة من مجلة الفكر ــ ع ٥ .

* سيرة الامير العباسية .

تأليف ، خضر العباسي ، مطبعة شركة الطبع ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ٤٠ ص .

* سيد الجزيرة العربية ابن سعود .

تأليف ، عمر ابو النصر ، مطابع بيروت ، ١٩٣٥ ، ٢١٤ ص .

* طبقات الصوفية .

تأليف ، ابي عبدالرحمن السلمي ، تحقيق ، نورالدين شريفة . القاهرة، ١٩٨٦ ، ٥٦٩ ص .

* عبدالرزاق كرباكة ــ شاعر الغناء والمسرح .

تأليف ، ابي القاسم محمد كرو ، مطابع تونس ، ١٩٦٥ ، ٤٦ ص .

* عبدالسلام محمد عارف ، سيرته ، محاكمته ، مصرعه .

تأليف ، احمد فوزي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٧٢ ص ، ن٢ .

* فتى الهواشم في حياته المدرسية .

تأليف ، عمر زكي ، بغداد ، بدون سنة طبع ، ٢٢ ص ٩٠

* المشيرفون رونشتد القائد الانسان واسرار الحرب العالمية الثـانية .

تأليف ، كونثر بلوتتريث ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢١٤ ص .

* مصطفى جواد ، حياته ، ومنزلته العلمية .

تأليف ، الدكتور محمد عبدالمطلب البكاء ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٢٣ ص .

* مصطفى كمال المثل الاعلى .

تأليف ، داجو برت فون مبكوس ، بيروت ، ١٩٣٣ ، ٣٦٦ ص .

* مصطفى كمال والحرب التركية واليونانية الاخيرة .

تأليف ، جميل رمزي القطان ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ١٨٨ ص .

* المعتمد بن عباد الاشبيلي .

تأليف ، الدكتور صلاح خالص ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ٢٦٠ ص .

* مذكرات السفح الى الوادي التي حوت اجوادي .
تأليف ، برهان الدين العبوسي ، بغداد ، مطبعة الامة ، ١٩٨٠ ، ١٥٦ص.

* الملك غازي ومرافقوه .

تاليف ، الدكتور محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٣٣٤ ص .

* الملك الظاهر بيبرس .

تأليف ، عبدالعزيز عبدالله الخويطر ، الرياض ، ١٩٨٩ ، ٢٢٦ ص .

* مولود مخلص باشاودووره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ إلعـراق المعاصر .

تأليف ، الدكتور محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢١٥ ص .

* هارون الرشيد .

تأليف ، فخري الزبيدي ، بغداد ، مطبعة اركانة ، ١٩٨٨ ، ١٧٣ ص .

كتب العلوم العامة

* احتياجات السقي لعباد الشمس تحت ظروف الماء .

تاليف ، ضياء الحق ، مطبعة شركة الاديب ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ٤٩ ص .

* الاساليب الحديثة في استخدام المياة الملحية في الري •

تأليف ، الدكتور اوغسطين بويوحنا ، مطبعة اوفسيت المشرق ، ١٩٨٦ ، ٢٩ ص •

* الاستهلاك المائي الاقصى وعلاقته بالتبخر •

تأليف ، الدكتور عامر داود سلمان ، مطبعة اوفسيت المشرق ـ بغداد ـ ١٩٨٦ ، ١٥ ص •

* افضل الطرق الاروائية في الزراعة •

ترجمة ، حسن مسحل الراوي ، اصدار ، الهيئة العامة للمساحة ، ١٩٨ ص ، بدون سنة طبع •

* الانسان والكيمياء •

تأليف ، عبدالمنعم ساني ، اصدار الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ٣٢٥ ص • تونس ١٩٨٨ •

* اهداف ودراسات التبخر النتحية والشد الرطوبي •

تأليف ، ضياء الحق ، شركة مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ٦٦ ص •

* تأثير الصخور الجبسية على نوعية مياة الثرثار •

تأليف ، الدكتور اوغسطين يوياحنا • مطبعة اوفسيت المشرق ، بغداد ١٩٨٦ ، ٢٨ ص •

* تاريخ طب الاطفال عند العرب •

تأليف ، الدكتور محمود الحاج قاسم ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٤٠ ص •

* حول مواصفات تضميم مرشحات المبازل •

تأليف ، الدكتور عامر داود سلمان ، شركة مطبعة الاديب ، بغـداد ، ١٩٨٥ •

* جغرافية النبات •

تأليف ، مارتن كلمان ، ترجمة الدكتور احمد عبدالله احمد بابكر • مؤسسة دار العلوم للطباعة ، ١٩٨٨ ، ٢٩٦ ص •

* دراسة في تاريخ الالات الفلكية العربية •

تأليف ، لوي املي سيدبو ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، باشراف فؤاد سزكين ـ جامعة فرانكفورت ، المانيا الاتحادية ، ٢٢٩ + ٢٢ ص مع صور ومقدمة بالعربية •

* دراسة امكانية استخدام المياة المالحة في ري القطن •

تأليف ، الدكتور نعمان حسن حمادي ، مطبعة اوفسيت المشرق • بغداد ، ١٩٨٦ ، ٥٣ ص •

* دراسة مفصلة عن نوعية المياة في العراق •

تأليف ، الدكتور نادر ميخائيل اسعد ، مطبعة اوفسيت المشرق • بغداد ، ١٩٨٦ ، ج١ ـ ج٢ ، ١٩ + ١٧٩ •

* دروس الكيمياء •

تأليف ، عبد الوهاب القنوات ، مطبعة الترقي دمشق ، ١٩٢٥ ، ٢٥٤ ص •

* دليل المفاعلات النووية •

تأليف ، الدكتور حمزة خضير الدجيلي ، والدكتور صالح مجيد الخفاق ،

الدار العربية للطباعة ١٩٨٧٠ ، ٣٧٠ ص ، ن٢ •

* الديناميكية الحرارية لطلبة السنة الثانية •

تأليف ، كاظم محمد ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ١٩١ ص •

* سوانح القريحة في شرح الصفيحة •

اصدار مركز احياء التراث العربي ــ جامعة بغداد ، طبع رونير ٥٨ ص •

* السيناريو •

تأليف ، سدفيلد ، ترجمة سامي مهدي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٤٤ ص •

* الطرق •

تأليف ، س • أي • بي • بروكس • ترجمة ، بشير داود فرجو ، مطبعة الموصل ، ١٩٣٥ ، ١٠٣ ص •

* طريقة مبسطة لتحديد معايير حول التربة •

تأليف ، الدكتور عباس ناصر الخفاجي ، شركة مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ٤٠ ص •

* العلوم عند العرب ، دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الاسلام •

تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ٢٥١ ص •

* علم الاحياء •

تأليف ، الدكتور بدري عويد العاني واخرون • مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٩ ، ٤٥٨ ص •

* الكوارث الطبيعية . آفة الجراد .

اصدار ، اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٤٠٩هـ ، ٢٧٨ + ١٢٢ص.

* كيمياء العناصر .

تأليف ، الهادي رزوق ، طبع في تونس ، ١٩٨٨ ، من اصدارات الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار . ، ٤٠٦ ص .

* المباني التراثية في بغداد .

تأليف ، سليمة عبد الرسول ، مديرية دار الكتب للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ١٧٥ ص .

* مساهمة الماء الارضي في الاحتياجات المائية للماحيل .

تأليف ، الدكتور عامر داود سلمان ، مطبعة اوفسيت المشرق ، بغداد ١٩٨٦ ، ٣٠ ص .

* المفاعلات النووية ونقل تقنيتها .

تأليف ، الدكتور طالب ناجي الخفاجي ، من اصدار مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٩ ، ٢١٩ ص .

* النبات وعلاقته بزيادة الاملاح .

تأليف ، الدكتور اوغسطين بوياحنا ، مطبعة دار اوفسيت المشرق بغداد ، ١٩٨٦ ، ٣٥ ص .

* نقل الرسوبيات النهرية في حوض الفرات .

تأليف ، الدكتور نادر ميخائيل اسعد ، مطبعة اوفسيت الشرق ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٨٦ ص .

* الوقاية من الاشعاع والتلوث .
تأليف ، قصي رشيد سعيد ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢١٠ ص ، ن٢ .

كتب العلوم الاجتماعية

* احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية .
تأليف ، لجنة في وزارة المعارف ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٢٧، ١٧٨ص .

* ازمة المساكن .

تأليف ، بكر دلير ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ٩ ص .

* دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي .
اعداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٧ ، ٤٥٤ ص .

* رسالة اجتماعية خالدة .
تأليف ، الشيخ جلال الحنفي ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٣ ، ١٦ ص .

* الزي في العراق في العهد السلجوقي .
تأليف ، الدكتور جعفر حضباك ، مطبعة المعارف بغداد ـ قطعة مستلة من مجلة كلية الاداب ـ بغداد .

* العدل الاجتماعي .

تأليف ، بكر دلير ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ١٧ ص .
العرب وابن خلدون .
تأليف ، ابي القاسم محمد كروّ ، طبع في تونس ، ١٩٨٨ ، ١٤٣ ص .

* فتاوى كبار الكتاب والادباء .

منشورات ادارة مجلة الهلال ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ١٥٩ ص .

* الوان من النشاط الاجتماعي .

تأليف ، عدالرزاق نعمان ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٤٧ ، ٨٦ ص .

* مطالعات في الشعبية .

منشورات جماعة الاهالي ، بغداد ، مطبعة الاهالي ، ١٩٣٥ ، ٤٥ ص .

* نداء في سبيل ايواء اليتامى .
اعداد ، جمعية الخدمات الدينية في النجف ، ١٩٥٤ ، ٨ ص .

* النهضة الافغانية الحديثة .

تأليف ، الدكتور عبدالوهاب العسكري ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، بدون سنة طبع ، ٦ ص.

كتب القانون والسياسة والاقتصاد

* انحلال الفيودلية وسقوطها .

تأليف ، الدكتور جعفر خصباك ، نسخة مصورة مستلة من مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد .

* الاقباط والقومية العربية ، دراسة استطلاعية .

تأليف ، ابو سيف يوسف . اصدار مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٧ .

* املاك السعدونيين •

اعداد المحامي ، محمود نديم اسماعيل ، مطبعة شفيق بغداد ، ١٩٥٦ ، ٢٣ ص •

* الانتخابات النيابية في العراق •

اصدار وزارة الداخليــة العراقية ، مطبعــة الحكومة بغداد ، ١٩٥٦ ، ٤ ص •

* بريطانيا ومشاريع الانماء •

اصدار مكتب المعلومات المركزي ــ لندن ، ١٩٥٢ ، ٢٣ ص •

* بيان الحكومة البريطانية عن الدفاع •

اصدار ، دائرة الاستعلامات في السفارة الهندية ، ١٩٥٥ ، ٣٧ ص •

* التجارة الخارجية وسائل العملة •

تأليف ، و• ج• وايمان • بدون محل الطبع وسنتة ، ٤٦ ص •

* التقدير الاقتصادي الدولي •

اصدار البنك المركزي العراقي ، العدد (٢) بغداد ، ١٩٨٩ ، ٤٣ ص •

* تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني •

تأليف ، الدكتور خالد جاسم الجنابي ، مطبوعات دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢١٠ •

* تنفيذ بيان ١١ آذار •

اعداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ١٩٧٢ ، ١٤٠ ص •

* ثورة ١٤ تموز وعبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية .
تأليف ، وليد محمد سعيد الاعظمي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٥٤ ص ، ن[٢] .

* الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق .

تأليف ، وميض جمال عمر نظمي ، منشورات مركز دارسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ٤٨٦ ص .

* الجيش الشعبي في ذكراه الخامسة والثلاثين .
اعداد ، وزارة الدفاع ، مطبعة دار الكشاف ، بغداد ، ١٩٥٩ . ١٣١ ص .

* حقائق في السياسة العربية .
من منشورات مجلس النواب ـ بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٥٥ ، ٨٢ ص .

* حولية الامم المتحدة نزع السلاح .
اعداد ، ادارة شؤون نزع السلاح للامم المتحدة ، م[١٢] ، نيويورك ، ١٩٨٧ ، ٧٧٩ ص .

* الخليج العربي ، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية .
تأليف ، الدكتورة فتحية النبراوي ، ومحمد نصر مهنا ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ٤٩٤ ص .

* رأي في طبيعة الفيودلية .
تأليف ، الدكتور جعفر خصياك (نسخة مصورة مستلة .
* سقوط النظام الملكي في العراق .
تأليف ، فاضل حسين ، منشورات دار آفاق عربية ، بغداد ، ١١٢ ص .

* السياسة الخارجية الفرنسية ازاء الوطن العربي .
تأليف ، بوقنطار حسان ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت ، ١٩٨٧ ، ٢٦٨ ص .

* الصراعات العربية — العربية ١٩٤٥ — ١٩٨١ .
تأليف ، احمد يوسف احمد ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ٢٣٤ ص .

* العراق بين الامس واليوم .
تألف ، الدكتور محمد فاضل الجمالي ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ٣٠ ص .

* العراق في عهد عبد الكريم قاسم ، دراسة في القوى السياسية والصراع الايدلوجي .
تأليف ، محمد كاظم علي ، مطبعة الادب البغدادية ، ١٩٨٩ ، ٣٩٧ ص .

* العسكريون العرب وقضية الوحدة .
تأليف ، مجدي جمال ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ٤٦٦ ص .

* عهد جديد من الصداقة المصرية البريطانية .
اصدار ، مكتب الاستعلامات البريطاني ، بدون محل وسنة الطبع .
٣٠ ص .

* عهد جديد من الصداقة العراقية البريطانية .

اصدار ، دائرة الاستعلامات في السفارة البريطانية ، ١٩٥٥ ، ٢٧ ص .

* القانون الدولي الخاص .
اعداد ، عبد الحميد عمر شامي ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٤٠ — ١٩٤١ ، ٣٤٤ ص .

* القانون الاساسي العراقي .

اعداد ، ديوان التدوين القانوني ، مطبعة الحكومة ــ بغداد ، ١٩٥٣ ، ١٣٩ ص .

* القانون الاساسي العراقي .

اعداد ، ابراهيم عيس ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٢٥ ، ٤٦ ص .

* قانون خدمة الشرطة وانضباطها (المعدل) .
اعداد ، اسماعيل الراشد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٤٣ ، ٤٢ ص .

* القوى الخمس الكبرى والوطن العربي ، دراسة مستقبلية .
تأليف ، ناصيف يوسف حسني ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧ ، ٢١٧ ص .

* القواعد الموحدة للفستجة .
تأليف ، صبحي جرجيس ابراهيم . منشورات البنك المركزي العراقي ، بغداد ١٩٨٢ ، ١٩ ص .

* القوانين والتعلمات للهيئة العليا للعناية باللغة العربية .
اصدار ــ الهيئة العليا . بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٤ ص ن٢ .

* مذكرات رستم حيدر .

تحقيق ، نجدة فتحي صفوة ، مطبوعات الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٨ ٨٥١ ص .

* مذكرات القادري في بيان الثورة العظمى .

تأليف صديق باشا القادري ، بغداد ، ١٩٢٥ ، ٢٦٤ ص .

* مشروع ايزنهاور .

أصدار وزارة الخارجية في جمهورية السودان ، طبع شركة ماكودكوديل ، بدون سنة طبع ، ١٨ ص .

* مصطفى البارزاني : الاسطورة والحقيقة .

تأليف ، الدكتوز فاضل البراك ، مطابع دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٩ ، ٣٥٣ ص .

* المعاهدة العراقية البريطانية وملحقاتها .

اصدار ، الحكومة العراقية ـ بغداد ، ١٩٣٠ ، ٦ ص .

* معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية ـ انكليزي ـ فرنسي ـ عربي تأليف ، الدكتور سموحي فوق العادة ، بيروت ١٩٨٦ ، ٥٥٠ ص .

* المنظمات الصهيونية أو الحية الصفراء .
تأليف ، كمال عبدالحميد ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ٧٣ ص .

* مؤتمر لندن بشأن قناة السويس .
اصدرته دائرة الاستعلامات في السفارة الهندية ، بغداد مطبعة الاسواق التجارية ، بدون سنة طبع ، ٤١ ص .

* ميثاق الامم المتحدة .

منشورات الامم المتحدة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ٧٧ ص .

* ميثاق جامعة الدول العربية .

اصدار ، جامعة الدول العربية ، مطبعة الحكومة ، بغداد : ١٩٤٥ ، ١٢ ص .

* نظام القضاء في الاسلام .

تأليف ، الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ٢٣٢ ص .

* وثائق انضمام العراق الى تصريح الامم المتحدة .

اصدار ، ديوان مجلس الوزراء ، مطبعة الحكومة ــ بغداد ، ١٩٤٣ ، ١٨ ص .

* الوقف الذري بين الالغاء والاصلاح .

تأليف ، المحامي عبدالرحمن خضر ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٣ ، ٣٥ ص .

كتب المعاجم

* القاموس العالي للتعلم ــ عربي ــ انكليزي ، مع سرد انكليزي .

تأليف ، حبيب انطوان سلموني ، بيروت ١٩٧٨ ، ١٢٥٢ + ١٩٧٩ ص.

* قاموس عربي ــ ايطالي ــ ايطالي ــ عربي .

اصدار ، دار عكاظ ، لندن ، ١٩٨٩ ، ١٢٠٣ ص .

* القاموس الوحيد . الماني ــ عربي ــ بالتشكيل الكامل وتصريف الافعال

اصدار ، رياض جيد ، منشورات دار الجيل ــ بيروت ، بدون سنة طبع ، ط ٤ .

* تقنية المصطلحات والضاغطات .

تأليف ، رياض يوسف النبا ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٦٠ ص .

* مختار الصحاح .

تأليف ، محمد بن ابي بكر الرازي ، بيروت ١٩٨٨ ، ٣١١ ص .

* مصطلحات علمية ــ انكليزي عربي .

اصدار ، لجان المجمع العلمي العراقي ــ بغداد ، مطبعة المجمع ، ١٩٨٩، مختلف الترقيم .

* معجم الالفاظ والمصطلحات المعربة .
اعداد ، اللجنة الدائمة لاستقرار الالفاظ الاجنبية ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ١٣٦ ص ، ن٢ .
* معجم التبريد وتكييف الهواء .
اعداد ، انور محمود عبدالواحد ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٧٢ + ١٢٤ ص .
* معجم تشكيل المعادن .
اعداد ، الدكتور انور محمود عبدالواحد ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٥٣ ص .
* معجم تكنولوجيا البلاستك .
اعداد ، حمدي ياسين الدسوقي ، وانوار اسماعيل ، القاهرة ١٩٧٨ ، ٢١٧ + ١١٤ ص .
* معجم تكنولوجيا الطباعة .
تأليف ، اسماعيل شوقي ، وعلي محمود رشوان ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٩٢ + ١٢٧ ص .
* معجم تكنولوجيا اللحام .
اعداد ، انور محمود عبدالواحد ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢١٧ + ١٢٦ ص.
* معجم الراديو والتلفون والفديو .
اعداد ، بدران محمد بدران ، وانور محمود عبدالواحد ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٠٩ +١١١ ص .
* معجم الحراريات والافران الصناعية .
اعداد ، حمدي ياسين الدسوقي ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ١٩٠ + ١٠٧ ص.
* المعجم العربي الاساسي للناطقين بالعربية .
اصدار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٩ ، ١٣٤٧ ص .
* معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات .
تأليف ، انطوان الدحداح ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ٣٣٣ ص .
* معجم مصطلحات تكنولوجيا الكيميائية .

اعداد ، يحيى مصطفى العجماوي ، وحسن محمود اسماعيل ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٦١ + ١٢١ ص .

* معجم مصطلحات الادب ــ انكليزي ــ فرنسي ــ عربي .
تأليف ، مجدي وهبة ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ٧٠٣ ص .

* المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، بحاشيته المصحف الشريف ، تأليف ، محمد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ٩٥٠ ص .

* معجم الهندسة للاتصالات السلكية واللاسلكية .
اعداد ، احمد مختار شافعي ، وانور محمود عبدالواحد ، القاهرة ١٩٧٨، ٢٧٧ +١٣٤ ص .

* المنجد في اللغة والاعلام .
اصدار ، دار الشروق ــ بيروت ١٩٨٨ ، ١٢١٤ ص .

* المورد ، قاموس عربي ــ انكليزي .
تأليف ، الدكتور روحي بعلبكي ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ١٢٥٥ ص .

كتب الفهارس والمراجع والتقارير

* التقرير السنوي ١٤٠٨ ــ ١٤٠٩ هـ .
اصدرته ، الجمعية الخيرية الصالحية في عنيزة . المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٣ ص .

* التقرير السنوي الثاني عشر حول منجزات مجمع اللغة العربية في الاردن لعام ١٩٨٨ .
اعداد ، مجمع اللغة العربية الاردني ، عمان ، ١٩٨٨ ، ٥٤ ص ، ن٢ .

* دليل عمل التوثيق والمكتبات والمعلومات في مؤسسات محو الامية وتعليم الكبار .
اصدار ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، طبع في بغداد ، ١٩٨٧ ، ٥٢ ص .

* دليل المترجمين ومؤسسات الترجمة والنشر في الوطن العربي •
اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧، ٧٣٤ص•
* دليل مطبوعات ادارة التربية ١٩٧٩ ــ ١٩٨٨ •
اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٨ ، بدون ترقيم •
* دليل الشركات العراقية المحدودة والشركات الاجنبية العاملة في العراق•
اعداد ، محمد جعفر الشبيبي، مطبعة الصالحية، بغداد ، ١٩٥٦ ، ٢٠٦ص•
* دليل المكتبة المركزية والمكتبات الفرعية •
تأليف ، عبدالجبار عبدالرحمن ، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٩ ، ٤٠ + ١٥ ص •
* العراق ١٩٨٨ ، الكتاب السنوي للجمهورية العراقية •
اعداد ، نخبة من الاساتذة والباحثين ، باشراف الدكتور ناجي الحديثي، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٨٦ ص •
* الفهارس العربية لكتاب تاريخ الادب العربي •
اعداد ، كارل بروكلمان ، صدر عن جامعة حلب ١٩٨٨ ، ٣٢٣ ص •
* فهرس الاطاريح الجامعية لكلية الاداب جامعة بغداد من عام ١٩٧٦ ــ ١٩٨٥ ، ج١ •
اعداد ، ندى نعمان السعدي ، بغداد ١٩٨٨ ، ٥٢٣ ص •
* فهرس الاطاريح الجامعية لكلية الاداب بجامعة بغداد ، ج٢ •
اعداد ، ندى نعمان السعــدي ، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٧٢ ص •
* الفهرست العدد الثاني عشر •
اصدار ، سمير الشيخ • مطبعة المتوسط ، ١٩٨٣ ، ٦٥ ص •
* فهرس مخطوطات الامام الصادق في الكاظمية •
اعداد ، عدنان علي كرموش ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٦٠ ص •

* فهرس المؤلفين .
تأليف ، عبديشوع الصوباوي ، حققه ونقله الى العربية الدكتور يوسف حبي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢٨٠ ص .
* الكتاب الاحصائي السنوي السادس .
اعداد ، دائرة التخطيـط والاحصاء ، مطبعة الجامعة الاردنية عمان ، ١٩٨٨ ، ٢٠٣ ص .
* الكشاف الاثري العراقي .
اعداد ، قحطان رشيد صالح ، مطبعة مديرية دار الكتب ، بغداد ١٩٨٥ ،
اعداد ، محمد عبد العزيز الذهب ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢٧٤ ص .
* كشاف الثورة الشهري ، العدد الاول ـ المجلد الاول .
اصدار ، دار الثورة للصحافة ـ بغداد ، ١٩٨٢ ، ٩٦ ص .
* كشاف مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة من ١٩٣٥ ـ ١٩٧٩ .
اعداد ، الدكتور عبدالله الجبوري ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٦ ، ٣٢٤ ص .
* كشاف البحوث الاكاديمية .
٣٠٠ ص .
* المخططات العربية التي صورها المعهد من دار المخطوطات في صنعاء .
اعداد ، محمد الشطي ، منشورات معهد المخطوطات العربية الكويت ١٩٨٨ ، ٦٠ ص .
* مخطوطات كنيسة القوش .
اعداد ، القس هرمز صنا ، ونوئيل قيا بلو ، مطبعة دار الحرية ، بغداد ١٩٧٧ ، ٢٧٢ ص .
* مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية .
اعداد ، ابي القاسم محمد كروّ ، تونس ، ١٩٨٨ ، ١٦٠ ص .

* مطبوعات الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ١٩٧٠ ــ ١٩٨٧ •
طبع في بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٣ ص •
* مكتبة المثنى ، الفهرست السابع •
اصدار ، مكتبة المثنى ، قاسم محمد الرجب ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ٥٦٤ ص•
* مكتبة المثنى ، الفهرست الثامن •
اصدار ، مكتبة المثنى ، قاسم محمد الرجب ، بغداد ١٩٦٨ ، ٦٦٦ ص •
* النشرة العربية للمطبوعات ، ١٩٨٤ •
اصدار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم ، تونس ، ١٩٨٦ ، ٤٢٣ + ١٠١ ص •
* مستقبل التربية وتربية المستقبل •
تأليف ، ر• م• افاكوف ، تونس ، ١٩٨٧ ، الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، ٤٣١ ص •

* * *

الفهرست

سعر النسخة دينار ونصف

وتضاف اليها اجرة البريــد

تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٨٦ لسنة ١٩٩٠

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

Volume 41
Part (1)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY



BAGHDAD
1410 — 1990